التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم

الجزء الأول

التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم

الجزء الأول

الأستاذ الدكتور
عبّـــاس عَليٌّ الفَحّام

الطبعَة الأولى / ٢٠٢٣م

مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع . نشر . توزيع

مؤسسة دار الصادق الثقافية (طبع- نشر- توزيع)

اسم الكتاب: التَّفسيرُ التَّحليليُّ للقُرآنِ الكَريم
الجزء الأول

اسم المؤلف: الأستاذ الدكتور عبّــاس عَليّ الفَحّام

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد: ١٢٥٠ لسنة ٢٠٢٣م

ردمك I.S.B.N.978-9922-702-09-4

رقم الطبعة: الأولى / ٢٠٢٣م

القطع الطباعي ١٧× ٢٤

عدد الصفحات: ٣١٤

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف والناشر

تحذير

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الاشكال دون إذن خطي من المؤلف والناشر.

This book or any part of it may not be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form without the written permission of the author and publisher.

مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع . نشر . توزيع

العراق – بابل – الحلة - شارع ابو القاسم - مقابل جامع ابن النما
هاتف: 009647801233129
E-mail:alssadiq@yahoo.com

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ

وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

الحشر: ٢١

صَدَقَ اللهُ العَليُّ العَظِيْم

المقدمة

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

الحمد لله كما هو أهله والصلاة والسلام على نبي الرحمة، محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين، وبعد،

إن الله أنعم على الناس بنعم لا تحصى، فأفاض عليهم الوجود، ودبر شؤونهم، وكفل أرزاقهم وسددهم، بأن بعث إليهم من يهديهم، تفضُّلا منه وتكرُّما، فبعث إليهم الرسل مؤيَّدين بمعجزاته، وأنزل عليهم الكتب لتوثيق شرائعه وتأييد أنبيائه، ولم تزل الأمم تنمو وتتطور، والأديان تواكب مسيرتها، حتى كانت أمة نبينا ﷺ آخر الأمم، ونبينا خاتم الأنبياء، وكتاب الله آخر الكتب، مهيمنا على الكتب السماوية كلها، ومكملا لها وناسخا لشرائعها، وكان معجزة الرسول ﷺ الكبرى في علومه كلها، في أخبار الغيب، وشريعته الكاملة، ونظمه العجيب، فانكب عليه الدارسون مبينين بديع فرائده، ودرر نظمه، مستنبطين منه ما ينظم شؤونهم، ويسدد خطاهم، فانبثقت منه وبسببه أغلب العلوم، كالفقه والأصول والتفسير والنحو ومختلف علوم العربية كالنحو والبلاغة والصرف، وحتى النقد والأدب، فقد كان القرآن سببا في رجوع علماء المسلمين إلى تراثهم لفهم النص القرآني المعجز.

كانت الأمم تسمي العرب قبل القرآن بالأميين، إذ لم يكن لديها كتاب سماوي يلم صفهم، ويوحد مجتمعهم، ويزيدهم علما وفهما في أصل وجودهم، وتنظيم علاقاتهم حتى بعث الله نبيه محمدا ﷺ بالقرآن العظيم، فأصبحوا به أمة حضارة، ومعلم تطور، وفي نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن الله بعث محمدا ﷺ وليس أحد من العرب يقرأ كتابا ولا يدعي نبوة. انتهى.

كان الكتاب العزيز وما يزال محط تدبر العلماء دائما يلتفون حوله وينهلون منه عذب الألفاظ وعمق المعاني، وكان علم التفسير من أظهر العلوم، التي وظفت لخدمة النص الإلهي المعجز، فوضعت التفاسير المختلفة المناهج والاتجاهات لمحاولة الكشف والتبيان للمعاني والنظم الفريد الذي أعجز بلغاء العرب وفصحاءهم.

وهذا التفسير الذي أنفقنا فيه شطرا كبيرا من سني العمر محاولة متواضعة في تاريخ المحاولات البشرية لفهم النص الإلهي، وقع اسمه (التفسير التحليلي للقرآن الكريم) متبعا خطوات المنهج التحليلي على وفق ما يأتي:

أولا: انصب الاهتمام بالمدونة الإلهية على النص تحليلا وتبيينا واستنتاجا، في محاولة إظهار المعاني النصية والسياقية من خلال تحليل التركيب، وتفكيك أجزائه بطريقين: جزئي من أصغر وحدة في بناء الجملة إلى كلياتها، وكلي من أعلاها إلى أصغر وحداتها، فكانت العناية بالتركيب من غير إهمال لأي وحدة من وحدات اللغة لها.

ثانيا: السياق ونسق البناء وقرائن الأحوال هو الأول في تبيان المعنى، لذلك جرى إهمال ما عداه مما يختلف معه من الروايات البعيدة عن معاني النص، أو الآراء المباينة، لأن التفسير ليس معرضا للآراء الشاذة أو الروايات الغريبة حتى تطرح وللقارئ أن يختار، بل ابتعد المنهج تماما عن ذلك، فلم نأخذ إلا بما يوافق البحث التفسيري التحليلي، سواء في أسباب النزول أو الروايات الحديثية والتاريخية وغيرها، أو الآراء اللغوية.

ثالثا: اعتمد التفسير في تتبع الدلالة القرآنية ما تشابه منه في التركيب القرآني نفسه، قدر ما يتاح، مستعينا بما ذكر في تفسيره من السنة النبوية الشريفة، وما سطرته درر أمير المؤمنين عليه السلام المجموعة في نهج البلاغة، والروايات المعتبرة لأئمة أهل البيت عليهم السلام، والصحابة الكرام، فضلا عن آراء المفسرين السابقين واللاحقين، أخذا بما يتناسب والبحث التفسيري.

رابعا: جرى اتباع المنهج القديم في الأخذ بأقوال المؤلفين وآرائهم في المصادر التفسيرية واللغوية والتاريخية ونحوها، وتوثيق المصادر قديمها وحديثها، بمعنى إلغاء الهوامش من الكتاب واختصارها أشد الاختصار في المتن، مراعاة للأمانة العلمية، وحفظا لحقوق السابقين، وإن وقع الحافر على الحافر أحيانا، فإنه يبقى الحق لمن سبق من غير تعمد لهضم حق أحد.

خامسا: لكل سورة في القرآن غرضها وموقفها، وإنما ترتبط الآيات فيها بنوع ارتباط يخدم الغرض الذي وضعت لأجله، وليس بخاف صعوبة الوقوف على بيان الجملة القرآنية وارتباطها في سياقها وارتباط الآيات

ببعضها، لتبيان الكشف عن المعاني، بقدر ما يهدينا الله تعالى إليه، وإلا فهيهات يحيط بشر بها، فذلك من معجزات الله في كتابه، ومنها مثلا العجز عن فك معاني رموز المقطعات الصوتية في كثير من سوره المباركة.

ومن هنا بدا إن آليات التحليل لوحدات اللغة كلها ومحاولة بيان طبيعة ارتباطها ببعض حجة بينة على كثير من العلوم التي تخدم الغرض القرآني، ولذلك تحتم:

ـ القول بألا تكرار لقصص القرآن، بل المواقف المختلفة للسور القرآنية استوجبت أخذ زوايا مختلفة من الذكر الاعتباري لأحوال الأنبياء والأمم، وبما يخدم غرض السورة، والتفسير تكفل ببيان ذلك.

ـ وجوب رجوع علماء اللغة والنحو بما وضعوا من قواعد إلى أساس النحو القرآني، لأن بعض المواقف النصية للقرآن تخالف قواعدهم.

ـ الرجوع إلى المدونة القرآنية الإلهية، لأنها أقدم وثيقة تاريخية على أحوال كثير من الأمم البائدة، والأمم الضالة.

ـ استيفاء البحث المقارن مع الكتب السماوية الأخرى، بوصف القرآن مهيمنا عليها وناسخا لها، لأن كثيرا مما أثبته القرآن الكريم محذوف في التوراة أو الإنجيل، ولاسيما الذي يعني أحوال أممهم القديمة.

وهذا المشار إليه، وغيره كثير، جزء مما عنّ من الوقوف التفسيري الدقيق لكثير من علماء التفسير، بعضه أشير إليه بإشارة عابرة، وبعضه الآخر

وقف عليه المفسرون وأفاضوا الكلام فيه، ولذا لا يمكن لدارس في النص المعجز أن يقدم على محاولة تلمس معانيه من دون أن تكون المكتبة التفسيرية حاضرة بين يديه، قديمها وجديدها، فبعضها يكمل بعضا، ولعل أقرب المصادر التفسيرية للمنهج التحليلي تلك التفاسير المعنية بالدلالة والسياق والتراكيب للنص الإلهي، من دون الانشغال بعرض الآراء المختلفة والشاذة أو الروايات البعيدة عن غرض النص.

رحم الله مفسرينا العظام، وحفظ الباقين منهم، بما دونوا وبينوا، وجعلنا من السائرين على خطاهم في خدمة المعجزة الإلهية الكبرى، وآخر دعائي أن أكون قد وفقت إلى اهتداء سبيل الصواب بإضافة قيمة علمية جديدة إلى مكتبة التفسير القرآني، والله تعالى أسأل أن يفتح لنا مغاليق الفهم، وييسر علينا ما تعسر من أمر، وأن يتقبل هذا العمل من عبده بأحسن القبول، إنه ولي حميد، والحمد لله رب العالمين.

عباس علي الفحام

جامعة الكوفة/ النجف الأشرف

سورة الفاتحة

مكية، وهي سبع آيات

اختصت السورة بأسماء كثيرة مستلة من روحها، كفاتحة الكتاب لافتتاح المصاحف بكتابتها، ولوجوب قراءتها في الصلاة، فهي كما قيل فاتحة لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة، وهي بعد أم الكتاب أو أم القرآن، فقد جمعت أصول ما نزل به القرآن الكريم من توحيد وتمجيد وذكر للمعاد، ومثل السبع المثاني كونها تتضمن سبع آيات مع البسملة، يثنّى بها في قراءتها في الصلوات الواجبة، وسميت كذلك بسورة الحمد، والصلاة، والشكر، والوافية والكافية والشافية والأساس، والكنز، والرقية.

وتعد سورة الفاتحة من السور القصار إذا ما نظرنا إلى بناء جملها القصيرة وقلة آياتها، وهي سورة مكية، وقيل مدنية، وقيل أنزلت مرتين مرة بمكة وأخرى بالمدينة.

والسورة تعليمية من الله تعالى لعباده، تنوع الخطاب فيها من الغيبة إلى خطاب الحضور ثم إلى الغائب في تغيرات دلالية واضحة حتمتها المعاني المراد كشفها، بدءا من قوله تعالى بصيغة الغائب (الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين) إلى قوله سبحانه بالتفات إلى صيغة الخطاب (إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم) ثم الرجوع إلى الغيبة (غير المغضوب عليهم ولا الضالين).

وقد علل كثر من المفسرين أن هذا العدول أو الالتفات في الكلام يعمل على تطرية السامع ويجنبه الملل لاسيما وأن سورة الفاتحة من أكثر السور تداولا على الألسن يوميا، غير أن ما تخفيه التراكيب المتنوعة في السورة المباركة شيء آخر، فتركيب الدعاء بصيغة الغيبة (الحمد لله) تركيب قرآني جديد ملأ الكتاب العزيز، فقد ورد في مواضع كثيرة من الآيات الشريفة، في ست عشرة سورة، بعضها مثل سورة الفاتحة افتتحت به السورة كسورة الأنعام، وسورة الكهف، وسورة سبأ، وسورة فاطر، وبعضها اختتمت به السورة كما في سورة الإسراء، وسورة النمل، وسورة الزمر، وسورة الصافات، وبعضها الآخر حكاية دعائية أفاضها الله على ألسنة الأنبياء كما في قوله تعالى عن النبي ﷺ (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آلله خير أما يشركون) [النمل ٥٩] وقوله (ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون) [العنكبوت ٦٣]، وقوله (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) [لقمان ٢٥].

وعن النبي إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق إن ربي لسميع الدعاء) [إبراهيم ٣٩]، وعن النبي نوح عليه السلام (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) [المؤمنون ٢٨]، وفي قوله تعالى (ولقد آتينا داوود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) [النمل ١٥]، وهي بعد دعاء أهل الجنة نحو قوله تعالى (وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا

الحزن إن ربنا لغفور شكور) [فاطر ٣٤]، وقوله سبحانه (وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين) [يونس ١٠]، وقوله سبحانه (ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) [الأعراف ٤٣].

وهو بهذا الاقتران بين لفظ الجلالة وبين حرف الجر (اللام) ـ الذي يفيد التمليك والاستحقاق، أي: وجوب حق الحمد بالله وحده ـ أبلغ أثرا من خطاب الحضور الذي لا يسمح بذكر لفظ الجلالة، لا في هذا الموضع ولا في أي موضع آخر من القرآن الكريم، وكأن هذا التركيب يهذب العبد في طبيعة الدعاء والتناجي مع خالقه سبحانه، فهو بعد أن يقر بالفروض الواجبة الثابتة المعاني لله وحده من الحمد وما تلاه من صفات ملك الله تعالى للعالمين وصفات الرحمة العامة (الرحمن) والخاصة (الرحيم) أهّله ذلك الإقرار بالخطاب لخطورة معنى العبودية والاستعانة فتغير الخطاب، فكان (إياك نعبد وإياك نستعين) صريحا واضحا لا تأويل فيه، وحادا في الإسناد وصارما في تقديم ضمير النصب (اياك) مرتين.

نعم هو إقرار وتهذيب للنفس قبل الطلب الدعائي (اهدنا)، يشعر الداعي بعظمة ما يطلب، فهذا اللفظ القرآني الذي لم يرد بصيغة التكلم مخاطبا به الله تعالى إلا في سورة الفاتحة غزير المعاني وكثير المشتقات، لما يحمل من فكر ايماني جديد، بل من صفات الأنبياء والمؤمنين الممدوحين كما في قوله تعالى (اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون) [يس ٢١]، وقوله

(أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) [البقرة ١٥٧]، وقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) [الأنعام ٨٢].

ولا ريب في ألا نفع للإنسان من دون عناية الله سبحانه ورعايته وأخذه لعبده نحو سبيل الهدى، مهما بلغ من العقل أو الثروة أو الجاه والسلطة ما بلغ، كل ذلك لا قيمة له إذا ما ترك المرء لنفسه من دون شمول برحمة الله تعالى، لأن طرق الضلالة كثيرة، والحياة في نهاية المطاف فانية، ولهذا نجد تفصيلا ثر المعاني في طبيعة هذه الهداية لهذا (الصراط) من جهة العباد المخلوقين لم يتكرر في السور الكريمة الأخرى، أما توصيف الصراط المقترن بالله تعالى فقد ورد في قوله سبحانه (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور) [الشورى ٥٢-٥٣].

إذن هو صراط موصوف بالرحمة والعناية الإلهية وتشديد في النفي للمشمولين بغير ذلك من الذين وقعوا تحت غضب الله تعالى أو من أهل الضلالة، أما في سورة الشورى فهو صراط موصوف بالنسبة إلى الله تعالى لاقتضاء السياق ذلك.

ولأن المقام مقام دعاء وتهذيب في تعليم العبد كيفية خطاب ربه كان أن اقتضى المعنى استعمال تركيب خطابي في مقام الرحمة (أنعمت عليهم)، في حين عدل عنه إلى خطاب الغيبة في موضع الغضب والضلال (غير

المغضوب عليهم)، ولم يكن سياقه مستمرا كسابقه فلم يقل: غير الذين غضبت عليهم، لاقتضاء الدلالة ذلك التركيب.

ويبدو أن لفظ (الصراط) منصوب على نزع الخافض هنا، بعد الفعل (اهدنا)، إذ في الغالب من مواضع استعمال هذا الفعل استعمال التعدية بحرف الجر (إلى) نحو قوله تعالى (واهدنا إلى سواء الصراط) [ص ٢٢]، ولاسيما مع الفعل المضارع (يهدي) نحو قوله تعالى (يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) [بقرة ١٤٢،٢١٣]، [النور ٤٦]، والظاهر إن الحرفين (إلى) واللام يتعاقبان في الاستعمال، فقد يتعدى بنفسه أو بـ (إلى) أو باللام، كقوله تعالى (قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق) [يونس ٣٥].

قال تعالى ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ﴾

البسملة جزء من السورة لأنها تعني الاستفتاح ببسم الله على ما في غرض كل سورة، إذ لكل سورة من سور الكتاب العزيز غرض تتناوله، وكان بها يعرف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الفصل بين السور النازلة عليه من الوحي، وتحمل في مضمونها الرد على المشركين الذين كانوا يستفتحون باسم اللات ومناة والعزى، بل والرد على أهل التثليث وغيرهم مما ينسب إلى الكتب السماوية، وبمقارنة بين البسملة القرآنية وغيرها يدرك السر في تكرارها في كل سورة والتبرك في ذكرها.

ونقل في الإتقان للسيوطي قوله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا قرأتم الحمد فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم، فإنها أم القرآن والسبع المثاني، وبسم الله الرحمن الرحيم إحدى آياتها. انتهى.

وفي عيون أخبار الرضا عن أمير المؤمنين عليه السلام: أنها من الفاتحة وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرؤها ويعدها آية منها، ويقول فاتحة الكتاب هي السبع المثاني. انتهى.

والباء في (بسم) تفيد الملابسة والإلصاق، والاسم ما دل على مسمى حسي أو معنوي، وأصله من السمة وهي العلامة، أو من السمو والرفعة واجتلبت همزة الوصل لتخفيف النطق، ومتعلق الظرف محذوف تقديره هنا: أقرأ، ومن هنا وجه حذف المتعلق كأنه أريد به الاستعانة ببسم الله على كل فعل

أو قول لتحرز الجميل منه لأن الله تعالى لا يصدر منه غير الجميل، وقد صح عن النبي ﷺ قوله: كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر الحديث. نقله الطبرسي والبيضاوي وغيرهما. انتهى.

ولذلك يتبرك باسمه تعالى، وقد نقل عن الصادق قوله ؑ: ينبغي الإتيان به عند كل أمر عظيم أو صغير ليبارك فيه. نقله صاحب الخصال. انتهى.

قوله (الله) اسم الجلالة العلم بالغلبة الدال على الذات المقدسة الواجب الوجود والمستجمع لجميع صفات الكمال الذي يوصف ولا يقبل أن يقع صفة ولا يشتق من اسمه ما يوصف به شيء منها، وأصله من أله بمعنى عبد، او من الوله وهو التحير فهو إله بمعنى المألوه المعبود، مثل كتاب بمعنى المكتوب أو بمعنى مما تحيرت بمعنى ذاته العقول، وقال الراغب: الله قيل أصله إله فحذفت همزته وأدخل عليه الألف واللام فخص بالباري تعالى ولتخصصه به، وأله فلان يأله: عبد، وقيل تأله، فالإله على هذا هو المعبود، وقيل: هو من أله أي: تحير وتسميته بذلك إشارة إلى ما قال أمير المؤمنين: كلّ دون صفاته تحبير الصفات، وضل هناك تصاريف اللغات، وذلك أن العبد إذا تفكر في صفاته تحير فيها ولهذا روي (تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله). انتهى بتصرف.

ونعرض عن باقي ما ذكر من أصل إله التي استندت إلى معنى الاحتجاب، ولفظ الله الوحيد في مفردات العربية المفخم اللام، التي تلين إذا سبقتها الكسر.

قوله (الرحمن الرحيم) كلاهما صفتان للفظ الجلالة، وهما اسمان من أسمائه العلى، واختصتا بالذكر من دون أسمائه سبحانه طلبا لرحمته في كل شيء التي تتضمن التفاؤل في التوفيق، ولفظ الرحمن صيغة مبالغة في كثرة الرحمة الشاملة لأهل الدنيا مؤمنهم وكافرهم، وأما الرحيم فهي صيغة مشبهة بالفعل متضمنة معنى الثبات ولذلك صح اختصاص أهل الإيمان والتوحيد بها في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾

قوله (الحمد لله) الحمد الثناء على الجميل الاختياري، وعن الفرق بين الحمد والشكر قال في المفردات: الحمد لله تعالى الثناء عليه بالفضيلة وهو أخص من المدح وأعم من الشكر، فإن المدح يقال فيما يكون من الانسان باختياره، ومما يقال منه وفيه بالتسخير فقد يمدح الانسان بطول قامته وصباحة وجهه كما يمدح ببذل ماله وسخائه وعلمه، والحمد يكون في الثاني دون الأول. والشكر لا يقال إلا في مقابلة نعمة فكل شكر حمد وليس كل حمد شكرا، وكل حمد مدح وليس كل مدح حمدا. انتهى.

وتعريف الحمد للجنس والاستغراق، واللام في (لله) تفيد معنى الاختصاص، والتصريح بلفظ الجلالة للتعظيم، ولينت لامه بسبب الكسر للتخفيف، ومعنى كون الحمد لله تعالى باعتبار أن جنس الحمد له سبحانه، وأن كل ما يكون منه جميل محمود، وتقديم الحمد على الظرف (لله) لأن المقام مقام الحمد لذلك رفع على الابتداء فدلت صيغته الإخبارية بالجملة الإسمية لتدل على

دوام ثبوت الحمد لله وثبوته، ولا مانع من تضمنه معنى الإنشاء في الثناء على الله، وفي خصوصية ذكر الله تمهيد لإيراد ما بعده من صفات علية لهذا الاختصاص بالحمد.

وفي نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام: الحمد لله الذي جعل الحمد مفتاحا لذكره، وسببا للمزيد من فضله ودليلا على آلائه وعظمته. انتهى.

وقوله (رب العالمين) أي: المالك الحقيقي المدبر للعوالم كلها كعالم الإنس وعالم الجن وعالم النبات وعالم الحيوان وهكذا، وجمعها بصيغة العقلاء على سبيل التغليب، ولفظ الرب معناه المالك المدبر، ولفظ العالم بفتح اللام كقالب غالبا ما يستعمل للدلالة على الآلة كقالب وطابع، فجعل العالم من باب النكتة البلاغية كالآلة للعلم بالصانع أو العلم بالحقائق، وجمعت الآية لفظي الألوهية والربوبية في أول افتتاح السورة إشارة إلى انفراده تعالى بهما وحده وأنهما لا ينفصلان كما ادعى المشركون توزيع ربوبيته على شركائه مما اتخذوا معبودين من الأصنام ونحوها، وجملة (رب العالمين) الصفة الأولى لله تعالى.

قوله تعالى ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾

مر تفسيرها في البسملة، والمراد بهما صدور آثارهما منه تعالى لأن حقيقتهما من الرحمة واللطف والعطف وهي انفعالات نفسية وعوارض طارئة تتنزه الذات الكاملة لله تعالى عنها، لذلك يراد بهما إثبات الغرض الاسمي من الوصف وهو إيصال الإحسان إلى مخلوقاته، وتقديم الرحمن

على الرحيم مع أن كليهما من صيغ المبالغة هو من باب تقديم العام على الخاص.

ومن العجيب ادعاء إخراج البسملة كجزء من السورة بسبب تكرار لفظ الرحمن الرحيم، والزعم بأنها مما يخل ببلاغة السورة، متناسين أن السورة برمتها تلقين من الله للعبد في كيفية التأدب في عبادته والثناء عليه سبحانه، وأنها سورة عبادية حافلة بمعاني الرحمة والعبادة والهداية والأخلاق في أخصر أساليب البلاغة، ومقسمة قسمين نصف منها لله ونصفها الآخر للعبد، ولفظا الرحمن والرحيم مقامهما الصفة الثانية والثالثة للفظ الجلالة المستحق للحمد.

قوله تعالى ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾

وفي قراءة أخرى ملك، وكلاهما يعنيان الملك الحقيقي لله تعالى، وإضافة لفظ الملك إلى يوم الدين الذي يراد به يوم القيامة لأنه اليوم الذي لا تخويل فيه للملك بأحد فقد انقضى دور عالم الدنيا، أما يوم الدين فهو يتحقق فيه إهلاكه لكل مالك سواه متصرف فيه تصرف الحاكم المطلق للبدء في الحساب والجزاء، وبذلك يفهم سر إيراد الفصل والإيعاد بيوم الجزاء بعد ما تقدم من معاني الربوبية والرحمة لله لئلا يكون ذلك إغراء للمكلفين بإهمال التكاليف الشرعية واتكالا على عطفه بعباده، وفي مضامين الصفات التي ذكرتها الآيات رد على مزاعم المشركين كتعدد الآلهة وإنكار المعاد.

قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾

تغيير الكلام من الغيبة فيما تقدم إلى خطاب الحضور إلى الله تعالى مشعر بأن الإقرار بذكر الحمد المستحق لله وما تلاه من صفات الربوبية أنزلت العبد من الإخبار والثناء على الله منزلة المستحق المؤهل لأن يخاطب ربه خطابا حضوريا، وتقديم ضمير النصب على فاعله في كلتا الجملتين للاختصاص، فقصر عبادته له سبحانه عليه وحده، فلا معبود سواه، وقصر الاستعانة في كل ما يتطلبه العبد من شؤونه عليه، وقدم العبادة على الاستعانة لأن العبادة الحقة سبيل إلى طلب الاستعانة، والعبادة معناه الخضوع والتذلل، ولا تكون إلا لله لاستحقاقه ذلك فهو الخالق الذي أفاض الوجود على من لا وجود له ولم يهمله بل خلقه ودبر له شؤونه، وللعبادة مقامات تتحصل بطبيعة عمق المعرفة بالله، وفي نهج البلاغة نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: إن قوما عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجار، وان قوما عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وان قوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار. انتهى.

والاستعانة طلب المعونة فيما لا يقدر عليه غيره سبحانه، وهي غير الإعانة ولذلك استعملت، والوصل بينهما لما بينهما من اتفاق في الحكم والمعنى، والفاعل للفعلين مقدر راجع إلى المؤمنين.

قوله تعالى ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾

فعل الهداية ظاهره الأمر وتأويله الدعاء بطلبها من الله تعالى، ومعناه الإرشاد إلى الثبات على الدين، وتعديته بنفسه إلى مفعولين يؤيد معنى الإيصال والتبليغ، وجملته غرض السورة وما مهد له من تقديم فروض التحميد، والصاد في لفظ الصراط أصله السين مشتق من السرط وهو الابتلاع، وصفته بالاستقامة لضمان مؤداه إلى القصد الصحيح، وخصوصية ذكر الصراط المستقيم من دون غيره من الألفاظ القريبة من معناه كالسبيل والطريق لأنها أخص في المعنى من مرادفاتها فهي تكاد تكون مصطلحا قرآنيا لمعنى الدين وطريق الحق وولاة أمره من النبي ﷺ، ولاسيما بالنظر التفصيلي لما بعده من الآية، وإسناد لفظ المستقيم إلى الصراط مجاز عقلي للمبالغة.

قوله تعالى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾

قوله (صراط الذين أنعمت عليهم) تقييد للفظ بأسلوب البدل من قوله (الصراط المستقيم) فائدته التأكيد والتمكين، فهو طلب صراط خاص ليس كأي صراط بل من نوع الذين شرفوا بنعمة ربهم عليهم وهم الذين ذكرهم الله تعالى، فاستحقوا تعريف الصراط بهم في قوله (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين) [النساء ٦٨]، والنعمة لفظ جامع لكل ما فيه راحة العيش،

و(على) مجاز استعلائي وضمير جمع الغائبين عائد إلى المؤمنين مفهوم من سياق الآية.

وللصراط في تفسير أئمة أهل البيت خصوصية مستفادة في التفريق بينها وبين مرادفاتها، فعن الصادق ﷺ في المعاني أنه قال: هي الطريق إلى معرفة الله وهما صراطان صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الصراط في الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه مر على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه في الآخرة فتردى في نار جهنم، وهذا التحديد للصراط ينطبق عليه المصداق في تعريفه.

قوله (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) خفض (غير) لأن الجملة صفة لاسم الموصول (الذين أنعمت)، ولفظ الغضب صفة انفعالية يراد به بيان ما يترتب عليه من آثاره كالعقاب والإبعاد من رحمة الله، لذلك تغير الكلام من خطاب الحضور في قوله (أنعمت عليهم) إلى صيغة المفعول (المغضوب عليهم)، فلم يقل: غير الذين غضبت عليهم، إذ لا يصح نسبة الغضب إليه سبحانه في مقام الإنعام والرحمة، وتعريف لفظ المغضوب يراد به عموم من يغضب الله عليهم فيطردهم من رحمته.

وقوله (ولا الضالين) جملة عطف لنفي أهل الضلال من جملة المنعم عليهم، واللام في (الضالين) للجنس، والضلال يطابق لفظ الهداية في المعنى، ويراد به إضاعة سبيل الهداية ويدخل فيه الشرك والكفر.

ونقل في عيون الرضا تفسير سورة الفاتحة عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: قال الله عز وجل: قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل، إذا قال العبد: بسم الله الرحمن الرحيم قال الله جل جلاله بدأ عبدي باسمي، وحق علي أن أتمم له أموره، وأبارك له في أحواله، فإذا قال: الحمد لله رب العالمين، قال الله جل جلاله: حمدني عبدي، وعلم أن النعم التي له من عندي وأن البلايا التي دفعت عنه بتطولي، أشهدكم أني أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا، وإذا قال الرحمن الرحيم، قال الله جل جلاله: شهد لي عبدي اني الرحمن الرحيم اشهدكم لأوفرن من رحمتي حظه ولأجزلن من عطائي نصيبه، فإذا قال: مالك يوم الدين قال الله تعالى: أشهدكم، كما اعترف بأني أنا المالك يوم الدين، لأسهلن يوم الحساب حسابه، ولا تقبلن حسناته ولا تجاوزن عن سيئاته، فإذا قال: إياك نعبد، قال الله عز وجل: صدق عبدي ، إياي يعبد اشهدكم لأثيبنه على عبادته ثوابا يغبطه كل من خالفه في عبادته لي، فإذا قال: وإياك نستعين قال الله تعالى: بي استعان عبدي والي التجأ، اشهدكم لأعيننه على أمره، ولأغيثنه في شدائده ولآخذن بيده يوم نوائبه، فإذا قال: اهدنا الصراط المستقيم إلى آخر السورة، قال الله عز وجل: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل، وقد استجبت لعبدي وأعطيته ما امل وآمنته مما منه وجل. انتهى.

سورة البقرة

مدنية، وهي مائتان وست ثمانون آية

سميت السورة بالبقرة لورود قصة ذبح البقرة من قوم موسى عليه السلام، ويبدو أن السورة لم تتنزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم دفعة واحدة وإنما تدرجت بحسب المناسبة أو الحادثة، ولذلك تعددت ألوان الخطاب فيها لتعدد موضوعاتها، فكانت الفنون البلاغية المختلفة من معان وبيان وبديع حاضرة في أسلوب تصوير معانيها وتشكيل جملها، ويمكن الوقوف على السورة إجمالا بمحورين هما: الأول: يتعلق بمضامين السورة، فبسبب طول السورة وكثرة مضامينها يمكن حصرها بما يأتي والله أعلم:

أولا: سورة البقرة من السور التي نزلت في المدينة، أي بعد الهجرة وإرساء معالم الدولة الجديدة وتنظيم المجتمع الجديد.

ثانيا: حفلت السورة بالتشريعات المدنية والدينية، المدنية التي نظمت تفاصيل حركة المجتمع، والتشريعات الدينية التي فصلت تنظيم علاقة العبد بربه وعلاقته بأخيه ومجتمعه.

ثالثا: في السورة تذكير بسير الأمم الماضية تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتسرية عنه وعبرة واعتبار.

رابعا: ذكرت السورة المباركة بني إسرائيل كثيرا، لما لهم من أثر واضح في المدينة، وفي طبيعة صناعة الفتن والدسائس بين أهلها، فكل من بني

النضير وبني قريضة ساندوا فريقا من قبائل المدينة من الأوس والخزرج لإحداث الوقيعة بينهما.

خامسا: سددت السورة كثيرا من خطى مجتمع المدينة الجديد ممثلا بشخص النبي ﷺ، وذلك بتركيز الضوء على الجوانب المظلمة في النفسيات المعقدة من حياة اليهود بسرد تاريخي موثق بالأحداث والأسماء والوقائع.

سادسا: عملت السورة المباركة على فضح دسائس اليهود وكشف ما دلسوا وكذبوا وحرفوا بشأن البشارة بالنبي ﷺ.

سابعا: أرست السورة المباركة الفكر التنظيمي في مختلف الميادين التجارية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية لمجتمع الإسلام الجديد.

أما المحور الثاني فيتعلق بأداء مضامين السورة وصياغاتها، وهو على النحو الآتي:

أولا: تنوع الموضوعات حتّم تعدد صياغاتها، فالجمل أشكال معانيها، ولأن أغلبها من الحقائق كانت صياغاتها مطابقة تمام الانطباق لمعانيها، فلا خيال جامح ولا ايغال باستعمال المجازات.

ثانيا: شكلت الجمل الطويلة أنموذجا للسورة، بسبب جدة المعاني وكثرتها في التشريع والأحكام التي يراد لها بسط الفكرة وإشباعها وفرشها.

ثالثا: يكاد يغيب التنغيم الصوتي من السورة المباركة بسبب طول الجمل واهتمامها بعرض المعاني الحقيقية من تشريع وقصص للأمم الماضية، إلا

ما ورد من فواصل توخت ـ مما توخت ـ التقاط الأنفاس، لأن القرآن كتاب يقرأ دائما، فكانت أغلب الفواصل كأنها استراحات للنفس تقف عليها برهة ثم تواصل المضي في عالم إعجازي وروحاني، لذلك كانت الفواصل في أغلبها تفضل الوقوف على النون المسبوقة بحرف مد، وتلك سمة قرآنية صوتية.

رابعا: شكّل الكشف الدلالي البلاغي عنصرا مهما في الكشف عن المعاني، ولاسيما في عرض طبائع النفس المتلونة للمنافقين والمنحرفين من اليهود وغيرهم، لذلك كان علم المعاني من أكثر الفنون البلاغية قدرة على النظر في خبيئات المعاني وكشفها.

خامسا: يعد المثل القرآني بأسلوب البيان في الصورة التمثيلية المركبة طريقة فريدة في الكلام العربي العالي الفصاحة لم تكن معهودة من قبل على هذا النحو المعقد من تركيب الأجزاء في كل طرف، وهو لا شك استوجبته المعاني الجديدة التي نزل بها القرآن من قصص الأمم الماضية أو عرض التشريعات الجديدة أو قضية المنافقين واضطراب نفسياتهم إزاء الدين الجديد.

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ﴾

افتتحت السورة بالحروف المقطعة، وهذه الحروف الاستفتاحية لا تعرف أسرارها وستظل كذلك، واستهلالاتها في القرآن الكريم جاءت في تسع وعشرين سورة بعدد حروف الهجاء العربي، فبالحرف الواحد افتتحت ثلاث سور هي سورة (ق)، وسورة (القلم)، وسورة (ص)، وبحرفين عشر سور مع الحواميم هي سورة طه، وسورة النمل، سورة يس، سورة غافر، سورة فصلت، سورة الشورى، سورة الزخرف، سورة الدخان، سورة الجاثية، وسورة الأحقاف، وبثلاثة حروف ثلاث عشرة سورة هي سورة البقرة، سورة آل عمران، سورة العنكبوت، سورة الروم، سورة لقمان، سورة السجدة، سورة يونس، سورة هود، سورة يوسف، سورة إبراهيم، وسورة الحجر، ويدخل فيها الطواسيم وهي سورة الشعراء، وسورة القصص، وبأربعة حروف وهي سورتان: سورة الأعراف، وسورة الرعد، وبخمسة حروف وهي سورة واحدة هي سورة مريم.

معنى الحروف المقطعة:

لا أحد يعرف ـ على نحو القطع ـ معنى استهلال السور الكريمة بهذه الحروف الرمزية، إذ لم يرد عن النبي ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام والمفسرين تفصيل لذلك، لذا تعسر الإجابة الشافية على التساؤلات

حولها نحو: لماذا التركيز على حروف دون غيرها؟ لم شمل سورا بعينها؟ لماذا تتكرر مقاطع دون غيرها؟ ما سر تنوع أعداد الحروف المستهلة؟ هل لها ارتباط بمضمون السورة؟

ومن التفسيرات المتداولة حول هذه الظاهرة القرآنية: أنها تضم اسم الله الأعظم، وأنها ظاهرة فريدة للفت الانتباه وشحذ العقول لمعرفة كنهها، وأنها تمثل تحديا بيانيا للعرب خاصة، كونها تشير إلى لب اللغة المتكونة من الحروف التي أعجزتهم عن الإتيان بمثل آيات الكتاب العزيز.

وقد تفسر على أنها عناية خاصة لإثارة المسامع، وهو أمر شمل السور القرآنية كلها، فمرة يكون الافتتاح بأساليب الإنشاء كالقسم، والنداء، وأسلوب الشرط، ومرة بحروف مقطعة لإثارة السامعين وشدهم إلى مضامين الكتاب العزيز، على طريقة شعراء العرب في العناية بافتتاحيات قصائدهم.

ومما يلحظ على أغلب السور الكريمة التي استهلت بالحروف ومنها سورة البقرة أنها تعقب بذكر القرآن الكريم في دلالة على تفسير ارتباطها ببنية لغة القرآن الإعجازية وطاقته التي لا تنفد، واستمرار سيرورته عبر الأزمان والعصور إلى يوم القيامة.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾

قوله (ذلك الكتاب) اسم الإشارة (ذلك) للبعيد محله الابتداء ويراد به التنويه بالقرآن العظيم في حد كماله ونسخه للكتب السماوية الأخرى، ويستعمل

غالبا لاستشفاف معاني العظمة، فالقرآن من علم الله الذي لا ينال لما فيه من أسرار وعلوم عصية على البشر، ولفظ الكتاب مصدر بمعنى المكتوب للقراءة والتلاوة والتوثيق، ولامه للعهد، ويمكن أن يكون لفظ الكتاب خبرا والجمل بعده حال، أو يكون بدلا من المشار إليه وهو القرآن.

قوله (لا ريب فيه) الجملة مقامها الخبر، وتحتمل الحال، وفي مضمونها تأكيد غيب القرآن وإنكار إنكار المشركين بادعاء افترائه على الله لأنه كتاب معجز في أخباره وبيانه وغيوبه وبلاغته فلا تعقيد فيه ولا تناقض، لهذا أسباب الشك منفية عنه، وتفيد (لا) نفي الجنس، وفي معنى الريب قال الراغب في المفردات: يقال رابني كذا وأرابني، فالريب أن تتوهم بالشيء أمرا ما فينكشف عما تتوهمه. انتهى.

والريب أسوأ الشك، لأن الشك في معناه التردد فهو اعتدال النقيضين عند الإنسان، والظرف (فيه): تفيد (في) الظرفية المجازية، والهاء عائد إلى الكتاب.

قوله (هدى للمتقين) أي هاديا للمتقين، ولكن استعمل المصدر مكان اسم الفاعل للمبالغة في حصول الهداية بالقرآن حتى صح أن يكون هو عين الهدى كون هداه لا ضلال بعده، وخص المتقين لأنهم الذين انتفعوا بالقرآن من دون غيرهم، ويمكن أن تكون(هدى) واقعة حالا في حال كون لفظ الكتاب خبرا، أو تكون خبرا ثانيا، والمتقون من الاتقاء وأصلها الوقاية، وهم الموصوفون بالتقوى، والتقوى من المصطلحات القرآنية التي تعني

ورع المؤمنين عن الدخول في الشبهات بالامتثال التام لأوامر الله تعالى المبينة في الشريعة والانتهاء عن نواهيه طلبا لمرضاته سبحانه، ويعد اللفظ ومشتقاته من أكثر الألفاظ القرآنية شيوعا في الكتاب العزيز وما ذاك إلا لإعظامه والاهتمام به.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾

قوله (الذين يؤمنون بالغيب) لما ذكرت الآية السابقة المتقين شرعت منه إلى تفصيل أوصافهم، فذكرت أهم صفة تنبني عليها أعمال الجوارح وهي الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه وبالمعاد وسماه غيبا لأنه غائب عن الحس، ويفيد استعمال الموصول وصلته في الآية التنويه بالمؤمنين، ودلالة الأفعال المضارعة استمرار الفعل منهم وتكراره، ويراد بفعل الإيمان الاصطلاح بدلالة تعديته بالباء، فلو أريد به مجرد التصديق لعدي باللام كقوله تعالى (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم) [البقرة ٧٥]، وروي في التبيان عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: إن الإيمان هو التصديق بالقلب والعمل بالأركان والقول باللسان. انتهى.

قوله (ويقيمون الصلاة) خصت الصلاة دائما في الكتاب العزيز بتميز من الذكر الإفرادي من سائر العبادات ـ كما سنرى ـ وذلك لشرفها وعظمتها فهي سر ارتباط العبد بربه، ومظهر إيمانه وما تمثل من خضوع وتذلل لله تعالى.

وفي القرآن الكريم تعبير فريد موح، فحين يذكر الصلاة، يخصها بلفظ الإقامة، أي: جعلها قائمة لأن أصل الفعل من أقام متعد بالألف، وهو لفظ موح يعني الديمومة والثبات، (قام على الأمر) بمعنى دام وثبت كما ذكر صاحب الكشاف، وهو لفظ يخص الخيمة والبناء والعمل والحركة والإنشاء، وهو ما يريده هذا التركيب، أي ترجمة الصلاة إلى واقع حركي وسلوك يومي دائم للمصلي، لأن الصلاة من أكثر العبادات التي يمارسها الفرد أكثر من مرة يوميا، فهي أكثر من الصوم والحج وغيرها من الفروض العبادية، وينبغي ألّا تكون مجرد حركات رمزية من قيام وقعود، بل سلوك اجتماعي منبثق عن ايمان بمن يصلي له العبد، ومن هنا جاء قوله تعالى (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) [العنكبوت ٤٥]، في إشارة الى ارتباط الصلاة بالعمل، أي ارتباط النظرية بالتطبيق، بل وجاءت في بيان صفة المتقين مباشرة بعد وصفهم بالإيمان بالغيب، فهو إشارة إلى الترابط الدقيق بين الاعتقاد وبين العمل به، وكثيرا ما يعقب إقامة الصلاة ذكر الإنفاق في التنويه بالمؤمنين لما فيهما من حركة وعمل وايمان مطلق.

ولفظ الصلاة اسم جامد وقيل مأخوذ من الصلة، ومعناه الدعاء والخضوع منقول الدلالة من الجاهلية إلى الإسلام إذ أصبح لفظا شرعيا عباديا له خصوصيته غير المعروفة قبل الإسلام من توقيت وأعداد وقيام وقعود وتسليم وما يتخللها من دعاء وقراءات.

وعن أهمية الصلاة جاء في نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام موصيا أصحابه: تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقربوا

بها، فإنها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا، ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا: (ما سلككم في سقر)؟ قالوا (لم نك من المصلين) وإنها لتحت الذنوب حت الورق، وتطلقها إطلاق الربق وشبهها رسول الله ﷺ بالحمة تكون على باب الرجل فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات فما عسى أن يبقى عليه من الدرن، وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ولا قرة عين من ولد ولا مال، يقول الله سبحانه (رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) وكان رسول الله ﷺ نصبا بالصلاة بعد التبشير له بالجنة لقول الله سبحانه (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها) فكان يأمر أهله ويصبر عليها نفسه. انتهى.

قوله (ومما رزقناهم ينفقون) صفة ثالثة للمتقين، وهي البذل في سبيل الله في الصدقات وأمور الجهاد، وحذف متعلق فعل الإنفاق لأنه أريد به مطلق الإنفاق في الخير، وتأخيره عن الإيمان والصلاة لأنه من آثارهما المترتبة عليهما، و(مما) مكونة من لفظين هما (من) التبعيضية، و(ما) الموصولة، والرزق كل ما يستفاد من موجودات الحياة وينتفع به، وإسناده إلى الله تعالى لتزكيته وتطيبيه لأنه مقتض حلال الرزق وطيبه.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ ﴾

قوله (والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك) صفة رابعة للمتقين المؤمنين خوطب فيها النبي ﷺ، وهي الإيمان بالقرآن الذي ساواه بالإيمان بالكتب السماوية السابقة على القرآن كالتوراة النازلة على النبي موسى عليه السلام والإنجيل الذي جاء به عيسى عليه السلام، وذلك لأن من تمام الإيمان ألّا يجزأ كما فعل اليهود حين آمنوا بموسى عليه السلام وكفروا بعيسى عليه السلام ومحمد ﷺ، أو كما فعل النصارى حين آمنوا بموسى وعيسى وكفروا بالرسول ﷺ، ولا يخفى التعريض المتضمن في الكلام بغير المسلمين، والإيمان معناه التصديق، والباء في (بما) للملابسة، و(ما) اسم موصول، وفعل النزول مستعار من مقام الرفعة ولا يراد به النزول المكاني، وتفيد (إلى) في (إليك) الغاية التي انتهى إليه نزول القرآن وهو النبي ﷺ بدليل كاف الخطاب المتصلة بحرف الجر، ويراد باستعمال اسم الموصول وصلته في التكنية عن القرآن أو عن الكتب السابقة زمنيا على القرآن في الآية التنويه بها، وتفيد (من) معنى التقوية الزمنية فهي زائدة لهذا المعنى، ومعنى (قبلك) أي: الكتب التي سبقتك دهرا من الزمن كالتوراة التي نزلت على موسى لا التوراة المحرفة، وصحائف الإنجيل الموحى إلى عيسى عليه السلام.

قوله (وبالآخرة هم يوقنون) صفة خامسة يتحقق بها لفظ المتقين، وهي الايقان بيوم المعاد، واليقين ـ كما قال الراغب: من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها، ويقال علم يقين ولا يقال معرفة يقين، وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم. انتهى. وتقديم الظرف (بالآخرة) على عامله، وذكر ضمير الفصل (هم) أساليب تأكيد بالقصر لمعنى الإيمان باليوم الآخر الذي ينكره

المشركون دائما، قال في المجمع: وإنما خصهم بالإيقان بالآخرة ـ وإن كان الإيمان بالغيب قد شملها ـ لما كان من كفر المشركين بها، وجحدهم إياها، في نحو ما حكي عنهم في قوله: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا) فكان في تخصيصهم بذلك مدح لهم. انتهى.

ولفظ الآخرة متضمن معنى الدار الآخرة فهي آخر دورة خلق الإنسان وغايته التي يسعد بها أو يشقى، وهي نقيض الدار الأولى ويراد بها الحياة الدنيا.

قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾

قوله (أولئك على هدى من ربهم) استئناف إخباري لذلك فصل الكلام، ويراد باسم الإشارة الجمعي تعظيم المؤمنين وإيجاز جمع صفاتهم، وحرف الجر (على) للاستعلاء المجازي من تمكن الهدى في نفوسهم واستقرارهم فيه، وتنكير لفظ الهدى للتعظيم، وقوله (من ربهم) تأكيد في تحقق هدى الله لهم الذي لا ضلال بعده، وجملة الظرف من الجار والمجرور محلها الخبر.

قوله (وأولئك هم المفلحون) جملة تأكيد لظفر المؤمنين برضا الله وفلاحهم نتيجة لما آمنوا وعملوا، ولذلك استحقوا أن يذكروا مرتين تأكيدا لعلو قدرهم وحبا بذكرهم فضلا عن ضمير الشأن (هم)، فتكرر المسند إليه (أولئك) مرتين وكان يمكن حذفه في بناء الجملة والاكتفاء بالمسند اليه الأول.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ ﴾

قوله (إن الذين كفروا سواء عليهم) الفصل لاستئناف الكلام عن صفة الكافرين بعد أن بينت الآيات السابقة صفة الكتاب المبين وصفات المتقين، وغالبا ما يدل التعبير باسم الموصول وصلته (الذين كفروا) على الإشارة إلى كفار مكة الأوائل وعتاتها وأئمة الضلالة فيها، فهم ميؤوس من إيمانهم محجوب عنهم كل بصيص هدى لذلك وقع الخبر بهذا المعنى فقال (سواء عليهم) أي الحال واحدة في عرض دعوة التوحيد عليهم أو عدمها، ولفظ السواء معناها التساوي، وحرف الجر (على) لتمكن الكفر منهم، والضمير (هم) راجع إليهم، وفي الجملة تأويلات نحوية أخرى لمن يريد المراجعة، وإنما أخذنا بسياق المعنى.

قوله (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) الجملة الاستفهامية تفسيرية لاستواء مشركي مكة بدلالة الخطاب الموجه إلى النبي ﷺ، والإنذار معناه تحذيرهم من عاقبة الكفر وفيه دعوتهم إلى سبيل التوحيد، فهو إنذار بتخويفهم من عذاب الله يقابله دعوتهم إلى هدايته سبحانه للفوز بنعيمه، وتفيد (أم) معنى المعادلة بين المعنيين المتناقضين مما قبلها وبعدها.

وقوله (لا يؤمنون) جملة تأكيد لنفي الإيمان عنهم، بالإخبار عن اليأس من ترك الكفر لاعتياد قلوبهم على الكفر وتمكنه منهم، وفيها إخبار غيبي عن

موت عتاة المشركين على الكفر، كأبي جهل وعتبة ونحوهما لأن السورة نزلت في المدينة قبل يوم بدر.

قوله تعالى ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ ﴾

قوله (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) العدول في الكلام من خطاب النبي ﷺ إلى الإخبار عن الكافرين يقوم مقام التعليل، لاستواء حال الكفر والإيمان في نفوسهم، ولذلك فصل الكلام عما سبقه، والمعنى: أن ذلك الكفر الشديد منهم، لأن الله سد عنهم أبواب المعرفة فلا يصل إلى قلوبهم شيء من بصيص الهدى والإيمان، والختم معناه الطبع وهو استعارة للمنع، وخص القلوب والسمع والأبصار بالختم لأنها مدارك الإنسان في تمييز الحق من الباطل ومسارب الاهتداء إلى التوحيد، ويطلق لفظ القلوب دائما ويراد به أحاسيس الإنسان ومداركه ونفسه، ولفظ الغشاوة استعارة للاحتجاب من الغطاء وتنكيرها لنوعيتها فهي أغطية خاصة تمنع انسراب الهدي التوحيدي في دعوة النبي ﷺ من الوصول إليهم فلا تسري إلى قلوبهم ولا تصل أسماعهم ولا تراها أبصارهم، وما ذاك الختم الإلهي إلا نتاج لأفعال الكافرين وشدة صدهم عن التوحيد فهو ليس من قبيل الختم الابتدائي، وفي الآية تصوير لعناد الكافرين وتعنتهم في البقاء على حالة واحدة من الاستكبار والاستنكاف عن التوحيد، ويبدو ان لشدة المعنى احتيج مثل هذه الصورة لبيان الحالة التي عليها الكافرون من الإعراض وركوب

العناد بشكل مجاف للحقائق، فالصورة البلاغية التي يرسمها القرآن الكريم للكافرين دائما ما تجردهم من صفة الآدمية وهي صفة التفكر والتعقل، التي بها يميز الإنسان من الحيوان، وقد تكررت هذه الصورة في مواضع كثيرة من السور القرآنية الكريمة، وهو تصوير حسي مجازي استعاري لحالة (الختم) فالختم والكتم إحكام واستيثاق من الشيء متضمن معنى السد والمنع، ولتأكيد ذلك (الختم) أسند الى الله تعالى إمعانا في تصوير الحالة المجبولة لإصرار الكافرين، أي الاستيثاق والإحكام لغلق منافذ المعرفة التي تميز الذات العاقلة من غيرها وهي (القلوب أي العقول والمسامع والأبصار) باستعارة لفظ (الختم)، ولكنه ختم بنوع خاص من الأغطية غير ما يعرفه الناس لذلك استعمل منكرا، إنها أغشية التعامي عن آيات الله الواضحة، وأغطية تغلق منافذ العلم، لذلك كانت النتيجة مؤكدة وواضحة لحالتهم (ولهم عذاب عظيم).

قوله (ولهم عذاب عظيم) أي: مآل الكافرين اللازم لهم هو النار، وتقدم الظرف (لهم) للأهمية لأن الكلام عن الكافرين، وتنكير العذاب للتهويل، ووصفه بالعظيم لشدته، والمراد به نار جهنم.

ويبدو التسلسل الموضوعي للنظم في الآيات واضحا إذ بدأ بتوصيف الكتاب العزيز وأعقبه بذكر المؤمنين، ثم اختصره بتصوير حالة اليأس من عناد الكافرين، بينما سنجد إطالة بينة في تصوير حالة التلون للمنافقين بسبب تعقيد نفوسهم وكثرة حيلهم وخطورة تغلغلهم كما سيتضح من الآيات اللاحقة.

قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ ﴾

قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر) العطف على جملة الكافرين في قوله (إن الذين كفروا) لأن الآية تذكر فئة أخرى من الناس بين الكفر والإيمان وهم المنافقون الذين ظاهرهم الإيمان وباطنهم الكفر، وتفيد (من) التبعيض، وتعريف الناس للعهد يراد به فئة معينة من منافقي أهل المدينة، وتقديم الظرف للتعجب والتشويق للاستعلام عن هذه الفئة، وخبره اسم الموصول (من يقول) وصلته لبيان تفصيل أحوالهم، فهم يدعون الإيمان بالله بمجرد لفظ القول الذي لا يتعدى اللسان إذ لا مكان له في القلب ولا استقرار، وذكر الإيمان باليوم الآخر لتمييز أنفسهم من المشركين المنكرين أشد الإنكار للمعاد، وتعدية فعل الإيمان بالباء للملابسة.

قوله (وما هم بمؤمنين) جملة حالية، أي يدّعون الإيمان بالله وبالمعاد في حال من نفيه عنهم، ونفي الإيمان عنهم متضمن تثبيت الكفر لهم، والعبارة شديدة التأكيد، و(الباء) في (بمؤمنين) زائدة لتقوية النفي، وحذف متعلق الإيمان لتقدمه وهو قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر، وعبر بفعل القول عن ظاهر إيمان المنافقين للإيحاء بتغير أحوالهم وتذبذب الإيمان في نفوسهم، بينما نفاه عنهم يقينا بالجملة الإسمية لأنه أثبت وأدوم لاستقرار حقيقة الكفر في قلوبهم.

قوله تعالى ﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ ﴾

قوله (يخادعون الله والذين آمنوا) الفصل لوقوع الجملة مقام الحال من ضمير الفعل (آمنا)، والمخادعة مبالغة في الخداع أي: يعملون عمل المخادع، وأصله الإخفاء والإبهام قال الراغب: الخداع إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه. انتهى. والمراد مخادعة أولياء الله ورسله، وإنما صرح بلفظ الجلالة للإشارة إلى أن معاملتهم كمعاملته، وخداعهم لله وللمؤمنين يراد به نفاقهم الذي ظاهره شيء وباطنه شيء آخر.

قوله (وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) جملة حالية، تؤكد رجوع فعل الخداع على أنفسهم لأن عاقبته وخيمة عليهم وهم لا يعلمون وقوعهم فيه، فالنفاق وإن حقق للمنافق غرضا قريبا غير أنه موقع صاحبه في مهلكة العذاب الأبدي، ولفظ النفس يراد بها الذات، والقصر بالنفي والاستثناء يراد به حصر وجودهم بالمكر والحيلة، ونفي الشعور كناية عن نفي الإدراك.

وفي الآية صور بلاغية موحية باستعمال التكرار بأسلوب الجناس الناقص لتسليط الانتباه على أصل سلوكهم القائم على الكذب والاحتيال، والأول جاء بالمبالغة في لفظ (المخادعة) لفرط انحرافهم، والمفارقة أنهم لا يخدعون أحدا سوى أنفسهم، لأنهم مكشوفون لدى النبي ﷺ والمجتمع، وهم أكثرهم

من اليهود الذين اعتنقوا الإسلام ظاهرا لأجل الفتك به من الداخل، لذلك كان عدم شعورهم كونهم ماضين إلى هاوية ما يعملون دون أدنى إدراك منهم.

قوله تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠ ﴾

قوله (في قلوبهم مرض) الاستئناف لتعداد مساوئ المنافقين، والضمير في (قلوبهم) عائد على معنى المنافقين المفهوم من قوله تعالى (ومن الناس)، والتقديم للأهمية وإثارة الانتباه، ولفظ المرض نقيض الصحة استعارة للنفاق تشبيها لاعتلال نفوسهم، كون النفاق من أمراض القلب، وتنكيره لتهويله.

قوله (فزادهم الله مرضا) الفاء للعطف، ونسبة الزيادة إلى الله على سبيل جزائهم، لأن قلوبهم التي تمكّن منها مرضُ الصدِّ عن التوحيد رفع الله رحمة هديه لها وتركها لاختيارها، فازدادت توغلا في المرض وهو النفاق والكفر، وتنكير لفظ المرض لتكثيره مرضا على مرض، وفعل الزيادة استعارة تفيد التهكم، لأن أصل معنى اللفظ يكون لما ينتفع به.

قوله (ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) العطف لأنه نتيجة لما جره النفاق عليهم من عذاب أليم، والتقديم (لهم) لأنهم المخبر عنهم، ووصف العذاب بالأليم للمبالغة ويراد به المفعول أي المؤلم، والباء في (بما) للسبب، وتفيد (ما) المصدرية أي بسبب كونهم، والتعبير بمضي الكون لإفادة استقرار

صفة الكذب فيهم قديما، ودلالة مضارع فعل الكذب استمراره منهم، وتكرار فعله في أقوالهم وأفعالهم.

وفي الآية صور نفسية متلاحقة لحال المنافقين، فالمرض استعارة لحالة عدم الاعتدال التي تصيب الإنسان، وهي نقيض الصحة التي قد تستعار للاستقامة والاعتدال، فمن يمرض لن يكون معتدلا سويا في مشيته وتصرفه، استعيرت الصورة لبيان تذبذب المنافقين واعتلال نفوسهم بالغيظ والحقد، أو استعارة لسوء المعتقد والغل والحقد الكامن في نفوس المنافقين، أما زيادة الله إياهم المرض، فهو من باب المجاز العقلي، بإسناد الفعل إلى مسببه، إذ كانوا كلما سمعوا بنزول الوحي على النبي ﷺ ازدادوا كفرا.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾

قوله (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) الآية وما يتلوها بيان حال المنافقين في سوء سلوكهم، والنهي الوارد في فعل الشرط من المسلمين عن الإفساد في الأرض يراد به نهي المنافقين عن التسبب بخلل النظام الاجتماعي بصد الناس عن الإيمان أو ببث النميمة والبغضاء أو باختلاق الأكاذيب وتشويه صورة الدين، لتوهين الإسلام في أعين الناس، فتلك أخلاق المنافقين في المدينة، و(في) للظرفية المجازية، وتعريف الأرض للعهد يراد بها المدينة.

قوله (قالوا إنما نحن مصلحون) حكاية إجابة المنافقين تدل على شدة قلبهم للحقائق، فيسمون فسادهم إصلاحا، وأورد جواب (إذا) على ألسنتهم بقصرين بـ (إنما) وبضمير الفصل (نحن) لبيان رسوخ النفاق في نفوسهم، والجملة تقابل التي قبلها في المعنى.

قوله تعالى﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ١٢ ﴾

تفيد (ألا إنهم هم المفسدون) الاستفتاح والتنبيه لما بعدها، لذلك استؤنف ما بعد بحرف النسخ (إن)، والضمير (هم) تأكيد بالقصر مثلما الألف واللام في لفظ المصلحين قصر ثان للفساد على أنفسهم، والجملة رد على مقالهم.

قوله (ولكن لا يشعرون) أي: لا يعلمون بأن ما يفعلونه الفساد لا الصلاح لاعتياد الشيطان على تزيين أفعالهم ورؤية الحق باطلا والباطل حقا.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ١٣ ﴾

قوله (وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) الظاهر من السياق أن فاعل قيل المقربون من المنافقين ممن يؤمن جانبهم، لذلك نصحوهم بالإيمان الصادق بالله ورسوله لا بالنفاق، فضربوا لهم الشبه بإيمان الصادقين من الناس وهم المؤمنون بمحمد ﷺ، فيكون التعريف في لفظ الناس للعهد لا للجنس لإفادة

معنى المؤمنين، وإنما سموا ناسا لغلبتهم في المدينة، ويراد بفعل الإيمان التصديق الحقيقي للإيمان بالله ورسوله لا الإيمان اللفظي.

قوله (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) أنكر المنافقون هذا النصح، فجعلوا من ضربوا لهم المثل في التشبيه سفهاء للانتقاص من قدرهم، لأنهم يرون أنفسهم مستعلين على المؤمنين بسبب رسوخ عقيدة الكفر في قلوبهم. والاستفهام مجاز يفيد الإنكار، والسفهاء جمع سفيه وهو الجاهل من الناس ذو الرأي الضعيف، وفي تشبيههم المؤمنين بالسفهاء حط من قدر أهل التوحيد ونيل من عقيدة الإسلام، وهو ما يدل على خطورة هذه الفئة التي تعيش بين المؤمنين في المدينة وهي تكيد لهم وتتحين بهم الفرص.

قوله (ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) الجملة رد من الله تعالى على مقالهم، ورد الصفة عليهم بأقوى وألزم لأنها صيغت بأسلوب الجملة الإسمية المؤكدة بـ (إن) وقصرين (هم) وأل التعريف، لأنها أدل على لزوم صفة السفه بأنفسهم، وذلك لأن التردد وصفة التذبذب في اتخاذ الموقف الصريح من طاعة الله ورسوله لا يفعله عاقل مكتمل الرشد.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

قوله (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) سلوك مشين آخر للمنافقين تصوره الآية الكريمة، وهو ازدواجية التعامل مع المسلمين والكافرين، والمراد

باللقاء القرب بحيث يرى بعضهم بعضا وهو ما يدور من كلام وتعامل، قال في المجمع: وأصل اللقاء: الاجتماع مع الشيء على طريق المقاربة، والاجتماع قد يكون لا على طريق المجاورة كاجتماع العرضين في محل. انتهى.

ومعنى تصريحهم للمؤمنين بالإيمان الكناية عن إظهار انتمائهم إلى عقيدة التوحيد وحرصهم على مصالح الإسلام والمسلمين وكأنهم يتفرسون في الوجوه الشك بحقيقة إيمانهم ونفاقهم، فيعمدون إلى تأكيد إيمانهم بالتوحيد وبالنبوة من سبب أو من دون سبب، وقد كان ذلك من سلوكهم، فكانوا مثلا يقسمون كثيرا، ويؤكدون مرارا لدفع الشبهة عنهم، والقرآن دقيق جدا في الكشف عن حقيقتهم، فيعبر بلفظ القول عن إيمانهم، إشارة إلى أنها لقلقة ألفاظ لا تتجاوز اللسان، وأورد مقول قولهم بالجملة الفعلية، للإشارة إلى تذبذب الإيمان في نفوسهم وتغيره وعدم استقراره، والجملة تمهيد لما بعدها وهو إظهار نفاقهم.

قوله (وإذا خلوا إلى شياطينهم) أي: إذا أمنوا أن يسمعهم آخر من غير فئتهم من المنافقين الذين كنى عن رؤوسهم وأئمتهم بالشياطين لأن الشيطان منبع الشر والفساد، والخلاء كما ذكر الراغب: المكان الذي لا ساتر فيه من بناء ومساكن وغيرهما، وقال: خلا فلان بفلان صار معه في خلاء، وخلا إليه صار معه في خلوة. انتهى.

قوله (قالوا إنا معكم) إخبار ببيان حقيقة انتمائهم إلى الكفر والشرك فمعنى المعية التي اجتهدوا في إثباتها لقادتهم من أهل الكفر تبرؤهم من عقيدة التوحيد وولاؤهم إلى الشرك، وفي تغاير صياغة المقولين دلالة ضمنية فحين يلقى المنافقون المؤمنين خاطبوهم بالجملة بالفعلية كما تقدم، وفي حال اختلائهم برفقائهم من المنافقين وأهل الشرك خاطبوهم بما يبين عن حقيقتهم ورسوخ الكفر في قلوبهم فحكت الآية عنهم باستعمال الجملة الإسمية المؤكدة بأشد التأكيدات لأنها أدل على ثبات المعنى ودوامه.

قوله (إنما نحن مستهزئون) قطع الكلام لأنه تقرير لما قبله، أو جواب سؤال مقدر عن كيفية الجمع بين الإيمان والنفاق، وإثبات كونهم مستهزئين مستخفين بأهل التوحيد أورد بأشد التأكيدات بالقصر بـ (إنما) وضمير الفصل (نحن) لأنهم استشعروا إنكار التصديق من رؤوس نفاقهم وقادتهم، والاستهزاء الخفة بقدر الآخرين واحتقار شأنهم، غالبا ما يكون بالقول، وتعديته بالباء تفيد السببية.

وكفل استعمال (إذا) في بناء الجمل إطالة أكبر في إظهار ما انطوت عليه نفوس المنافقين من مراءاة وكذب وتلون، لاشتمالها على فعل الشرط وجوابه الذي لا يراد به الشرط بقدر تضمنه معنى الظرفية، وللحوار الذي أسبغه لفظ القول في قيل وقالوا، فهم من جهة العمل عابثون حاذقون بصناعة الفتن وتهييج الحروب لذلك قيل عنهم (فاسدون) لخروجهم عن الاستقامة والمنفعة، ومن جهة الاعتقاد الصحيح مُدّعون كاذبون، وفوق ذلك يراؤون باستهزاء.

وتضمن تغاير جملتي المقول بين الفعلية والاسمية في الآية الأخيرة (قالوا آمنا.. قالوا إنا معكم) معنى خفيا يكشف التلون والتذبذب الذي يكتنف المنافقين وحققته صورة لقائهم بالمؤمنين كون الفعل يتضمن التغير والتجدد، بينما حقق بناء الجملة الاسمية (إنا معكم) حالة ثبات عنادهم وإصرارهم بمجرد اختلائهم بأصحابهم من المنافقين والكافرين وإظهار مكنوناتهم الصريحة الباطلة.

قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

قوله (الله يستهزئ بهم) رد من الله برد الاستهزاء على المنافقين، بالنيابة عن أوليائه لأن الله يدافع عن الذين آمنوا، واستهزاء الله تعالى مجاز في تركهم في غوايتهم ومدهم بأسباب الضلالة أكثر حتى يرتكسوا فيها أبعد فيكون في ذلك هلاكهم وعذابهم الأبدي.

قوله (ويمدهم في طغيانهم يعمهون) جملة تفسير لاستهزاء الله بهم، وهو إمدادهم بما يزيد في أسباب تمردهم واستكبارهم ليكون سبيلا لهلاكهم، والمد الزيادة، والطغيان الإسراف وتجاوز الحد، والعمه العمى والتحير وجملته واقعة حالا.

قوله تعالى ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾

قوله (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اختصر شأن المنافقين بلفظ الإشارة لتمييزهم وإحضارهم في الذهن بكل ما تقدم من تصويرهم، وهو يقابل الإشارة للمؤمنين في قوله (أولئك على هدى من ربهم).

صورة الاشتراء صورة استعارية حسية، لأن (الاشتراء) يتضمن إعطاء بدل وأخذ آخر، وهي تكشف حجم خسارة الصفقة حاضرا ومستقبلا، وهي نتيجة حتمية لأمثال المنافقين، لذلك كانت صفقة غير رابحة وتجارة بائرة خاسرة، في عالم الدنيا لأن التاجر الحذق هو الذي يحسن تعاملاته المالية فيضمن سلامة رأس المال والربح، والمنافقون أضاعوهما كليهما، وهي من باب المجاز العقلي الإسنادي، لأن التاجر من يربح وليست التجارة، وفي الصورة البلاغية مجاز يأخذ بعنق آخر، وانسجام تصويري فريد بين أدوات الانتفاع المادي مثل (الاشتراء، الربح، التجارة) وقد مثلته الأخيرة كصورة مرشحة عن الأولى.

قوله (فما ربحت تجارتهم) جملة تفريع على ما تقدمها، وهي خسارة صفقة المنافقين، والربح الزيادة في راس المال وهو دليل التجارة الناجحة وإسناد التجارة إليه مجاز عقلي للمبالغة لأن التاجر يربح لا التجارة.

قوله (وما كانوا مهتدين) تفريع ثان لأنه معطوف على ما سبقها، والمراد إضاعتهم المقصود من إصابة العمل وهو تأكيد لخسرانهم في معاملتهم التجارية، والاهتداء يقصد به إضاعة الصواب بدلالة السياق وليس الاهتداء الشرعي.

قوله تعالى ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

قوله (مثلهم) أي: حال المنافقين في ترددهم واضطراب نفوسهم في اختيار وجهين من التعامل مع المؤمنين، ولفظ المثل معناه الشبه.

قوله (كمثل الذي استوقد نارا) أي: كحال من اجتهد وتكلف في إيقاد النار، والاستيقاد مبالغة في قصد إشعال النار بالوقود، وتنكير النار للتعظيم.

قوله (فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم) الفاء للتفريع، وتعدية فعل الإضاءة بالهمزة لبيان تسليطه على (ما) الموصولة، ويراد بها إنارة جهات المكان الذي فيه المستوقد، ويراد بالظرف (حوله) المكان دون شرط الجهات كلها، وذهاب الله بنورهم بمعنى انطماسه وإطفاؤه، وضمير الجمع في (بنورهم) مع أن المستوقد واحد رجوع بالحالة المشبهة إلى أصل المنافقين في تفنن إبداعي لافت، وفي الكلام خروج على مقتضى الظاهر لإفادة إدماج حال المستوقد بحال المنافقين المضروب لأجلها المثل فلم يقل: ذهب الله بناره، بل رجع إلى ضمير المنافقين وأخذ من النار النور ليشير إلى ذهاب الإيمان من قلوبهم، والتصريح بلفظ الجلالة لأن الإطفاء لم يكن بسبب طبيعي من ريح ونحوه.

قوله (وتركهم في ظلمات لا يبصرون) الجملة تأكيد لما قبلها، والترك يدل على التخلي ورفع المعونة، ذكر عن الرضا عليه السلام في العيون قوله في الآية:

إن الله لا يوصف بالترك كما يوصف خلقه لكنه متى علم أنهم لا يرجعون عن الكفر والضلال منعهم المعاونة واللطف وخلى بينهم وبين اختيارهم. انتهى.

و(في) للظرفية المجازية، وجمع الظلمات ليدل على شدة الظلمة بانطفاء النور، ونفي الإبصار عنهم تأكيد لنفي اهتداء الطريق، وحذف متعلق الفعل لنفي عموم المبصرات، وجملة نفي الإبصار موقعها الحال.

قوله تعالى ﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ ﴾

قوله (صم بكم عمي) ارتفع اللفظ على أساس تقدير ابتداء قبله، أي: المنافقون صم بكم عمي، فعلى هذا يكون من الاستعارة التصريحية التي حذف فيها لفظ المستعار له، والصم جمع أصم وهو الفاقد لحاسة السمع، والبكم جمع أبكم وهو العاجز عن النطق، والعمي جمع أعمى وهو من فقد حاسة البصر، والمراد من ذلك انعدام جهات المعرفة المسببة للجهالة المطبقة.

قوله (فهم لا يرجعون) تفريع على رسوخ الجهل وانعدام الإدراك بنفي رجوعهم عن الكفر إلى التوحيد.

قوله تعالى ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾

قوله (أو) يفيد الحرف الترديد في اختيار مثل آخر لبيان حالة ثانية للمنافقين وهي ترددهم وحيرتهم في الاختيار.

قوله (كصيّب من السماء) والصيب الماء الغزير النازل من السحاب، وتنكيره لتكثيره، و(من) للتبعيض، والسماء كل ما يستظل الإنسان ويعلوه وتعريف اللفظ للعهد، أي من بعض جهاتها.

قوله (فيه ظلمات ورعد وبرق) أي في الصيب، وتنكير الألفاظ للنوعية، والظلمات شدة الظلمة، والرعد صوت الصاعقة الشديدة، والبرق ضوؤها النازل منها.

قوله (يجعلون أصابعهم في آذانهم) الجعل بمعنى الوضع وواو الجمع عائد إلى المنافقين، ويراد بالأصابع أجزاؤها وهي أناملها العليا بدلالة ما بعدها فهي مجاز مرسل ذكر الكل وأريد الجزء، و(في) للظرفية المجازية، ولفظ الآذان جمع أذن وهي آلة السمع، التي يسد بها الإنسان أسماعه إذا خاف سماع شيء مرعب.

قوله (من الصواعق) أي: بسبب الصواعق وهي النيران النازلة من آثار شرر السحاب الممطر، فـ (من) هنا معناها السبب، والصواعق جمع صاعقة وهي الوقع الشديد من السحاب يسقط معه نار تحرق.

قوله (حذر الموت) النصب لأنه مفعول له بمعنى يجعلون أصابعهم في آذانهم لحذر الموت.

قوله (والله محيط بالكافرين) إخبار متضمن معنى قدرته تعالى على إهلاك الكافرين، والإحاطة استعارة من التمكن من العدو وأخذه فلا يقوى على الإفلات.

قوله تعالى ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

قوله (يكاد البرق يخطف أبصارهم) فصل الجملة لوقوعها حالا وذلك لاتصال التشبيه التمثيلي ببعض، وكاد من أفعال المقاربة لحصول المعنى، والبرق الضوء المنبعث من شرر تلاقي السحاب الممطر، ووصفه بخطف أبصار المنافقين كناية عن شدة ضوئه شدة تعشي أبصارهم، والخطف أخذ في استلاب.

قوله (كلما أضاء لهم مشوا فيه) أي: إضاءة البرق بعد خفوت لمعانه وضعف شدته، ينبعث منه ضياء يهتدون به طريقهم فيمشون فيه، والصورة تمثيل لحيرة الكافرين.

قوله (وإذا أظلم عليهم قاموا) فاعل الإظلام هو البرق، والكلام كناية عن إمساكه عن الوميض، وإسناد الإظلام إليه مجاز عقلي للمبالغة لأنه المتسبب فيه، وحرف الجر في (عليهم) لتمكن الظلمة منهم، وفعل القيام كناية عن الحيرة والذهول.

قوله (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم) الكلام كناية عن قدرة الله على طمس منافذ إدراكهم كالسمع والإبصار، وضمير جمع الغائبين عائد إلى أصحاب الصيب المراد به تشبيه حال المنافقين.

قوله (إن الله على كل شيء قدير) إخبار متضمن معنى التهديد للمنافقين، يدخل فيه بتأكيد قدرته على فعل ما سبق بتأكيد قدرته من تمكنه من عموم الأشياء، والإظهار للفظ الجلالة في موقع الإضمار للتعظيم، وتقديم المتعلق (على كل شيء) للاهتمام، ولفظ القدير صيغة مبالغة من القدرة والقوة.

وضرب الأمثال من فصاحة العرب وبلاغتهم، ولكنه في التعبير القرآني من الظواهر البيانية الجديدة التي حفل بها الإعجاز القرآني، كلما أراد زيادة في كشف خبيئات المعاني وتجلية لرفع الأستار عنها، حتى تريك المتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كأنه مشاهد، كما قال صاحب الكشاف. انتهى.

وفي الآية الكريمة مجموعة من الصور البلاغية المتنوعة التي حتمها عمق المعاني، فالصور أشكال تنتجها معانيها، وليس هناك نفوس مركبة الثنائيات معقدة الاتجاهات كنفوس المنافقين، لذلك جاءت بأكثر الصور الحسية البالغة في كشف خبايا نفوسهم، وتصوير هيآتها، وما انطوت عليه من فساد الاعتقاد.

فقد رسم التشبيه التمثيلي صورة مركبة ذات أجزاء متعددة لحال المشبه به، شحنت فيه كثر من المعاني بغية الكشف عن الحالة المعقدة لنفسية المنافقين، من التردد والتلون والادعاء الكاذب ومعرفتهم بالحق ثم الإعراض عنه، فحال المنافقين في ذلك كحال المستوقد نارا وقعت منكرة للتعظيم الذي يعيش نورا مؤقتا وسط الظلام الحالك، إذ سيعود إلى تخبطه وحيرته في عدم اهتدائه إلى الطريق، وأعقب صورة التشبيه التمثيلي صورة بلاغية منسجمة مع ما قبلها باتحاد معانيهما دون وصل بينهما، بأسلوب التشبيه البليغ لأن المبتدأ في حكم المنطوق به فقد ذكر من قبل وهم (المنافقون) فهم (صم بكم عمي) انغلقت عليهم مفاتح الهداية إلى الطريق، ثم رسمت بأسلوب تمثيلي آخر صورة الهلع والخوف والحيرة التي عليها المنافقون، فهو إطالة استوجبها المعنى واقتضى تفصيلها الحال، فصورهم وسط منظر ماطر مخيف شحنت فيه عناصر الهلع كلها من (صيب، ظلمات، وبرق ورعد) وجاءت نكرات لأنها أشياء لم يعهدها إنسان من قبل ولم يعرف لها نظيرا، إلى درجة أن شدة أصواتها تحمله على أن يضع أصابعه وليس أنامله في أذنيه لهول ما يصل إليه من رهيب الصوت، وهو من المجاز

المرسل الذي يفيد الكل ويراد به الجزء، وكنى الأدب القرآني الرفيع عن الصفة (السبابة) التي يعتاد الإنسان وضعها في أذنه بالاسم العام (الإصبع) ترفعا عما يستقبح ذكره.

ويفيد التعريف للفظ (السماء) في أن المطر النازل كان من كل آفاقها، ولم يكن من أفق واحد تصويرا لشدته.

ويظهر قوله (كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا) صورة الحيرة وضياع الفرصة في اهتداء الطريق، فهم ينتظرون لمحة برق يهتدون خطوة ثم يعودون واقفين مكانهم حيارى، وهكذا هم المنافقون بهذه الصورة المعبرة التي رسمتها أبدع الكلمات، وفي صور التمثيل تدرج واضح من الأسهل إلى الأغلظ، ولذلك وقعت الصورة الأشد متأخرة.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ﴾

قوله (يا أيها الناس) لما عددت الآيات السابقة ثلاثة أصناف من الناس المتقين والكافرين والمنافقين وخاطبتهم بما يخصهم، استأنفت الكلام استئنافا بيانيا بطريقة الالتفات بدعوة الناس إلى عبادة التوحيد وهي طريقة المتقين، فجاء الخطاب العام لتنبيه عموم الناس لأهمية الخبر بعده، والالتفات فن بياني متعدد الخطابات يتضمن دلالات خفية، ويحمل السامع من الغيبة الى

خطاب الحاضر وبالعكس، ما يشد انتباهه ويطري مسامعه ويبعد عنه الملل، وهو أسلوب شائع في النص القرآني المعجز.

قوله (اعبدوا ربكم) وهو الغاية من نداء الناس، والعبادة الخضوع والتذلل والإقرار بتوحيد الله، ولفظ الرب معناه المالك القهري لرقاب الناس والمدبر شؤونهم، وإضافته إلى ضمير كاف المخاطبين ليكون حجة عليهم.

قوله (الذي خلقكم والذين من قبلكم) اسم الموصول وصلته لبيان علية أمر العبادة، وهو خلق الله لم وإيجادهم وتدبير أمورهم، وجملة العطف لبيان قدرة الله تعالى في كون من سبقوا المخاطبين مربوبين لله أيضا.

قوله (لعلكم تتقون) أي: رجاء أن تحذروه تعالى باتقاء عذابه، واستعمال لعل ليس للشك وإنما لترقيق الموعظة وتقريبها من نفس الموعوظ.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

قوله (الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء) الفصل لأنه صفة للرب في سياق قوله (الذي خلقكم)، والمراد بيان منن الله تعالى على خلقه واستحقاقه في التفرد بالعبادة، والجعل بمعنى التصيير من حال إلى حال، و(لكم) لأجلكم، وهم الناس المخاطبون، وتعريف الأرض للجنس، وتشبيهها

بالفراش من التشبيه البليغ الذي حذف فيه وجه الشبه وأداته، وأنزل المشبه (الأرض) منزلة المشبه به (فراشا) في صفة الاستواء والراحة والسكينة والتقلب والجلوس والنوم، لأن ميزة الأرض رغم كرويتها أنها تجمع بين التكور والاستواء، ما يحقق لها الاستقرار، وعدم اغتياص الأحمال عليها داخل جوفها، لذا صلحت لاتساعها وتباعد أطرافها أن تكون مكانا مناسبا للعيش، وتشبيه السماء بالبناء كونها بمنزلة الخباء الذي يستظل به المرء، فالسماء محيطة به ويأمن بها ويأمل منها كل خير.

قوله (وأنزل من السماء ماء) منة أخرى امتن بها سبحانه على خلقه، وهي إنزال المطر من السحاب، وتفيد (من) التبعيض، وتعريف السماء للعهد، وتنكير الماء للتكثير.

قوله (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) فرع على إنزال الماء إخراج النبات من الأرض، وفعل الإخراج استعارة لما ستر في الأرض من نبات، والباء في (به) للسببية، والهاء عائد إلى الماء، و(من) زائدة لتأكيد الإخراج، والثمرات جمع ثمرة وهي نتاج النبات مما يؤكل من الفواكه ونحوه، والرزق ما ينتفع به أكلا أو مالا، وانتصب اللفظ على الحالية، وفي الآية تنبيه في خلقه الناس وتدبيره لشؤونهم بأن رزقهم من ثمرات الأرض.

قوله (فلا تجعلوا لله أندادا) وقع التفريع بعد ذكر ما امتن الله على عباده من الخلق والتدبير، ولذلك نهاهم عن اتخاذ معبودين غيره، والأنداد جمع ند ويراد به المثل في الألوهية والعبادة وهو عبادتهم الأصنام.

قوله (وأنتم تعلمون) جملة حالية، أي: في حال من العلم بأن الأصنام لا تضر ولا تنفع.

قوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾

قوله (وإن كنتم في ريب) انتقال في الحديث عن دلائل نبوة النبي ﷺ، وهو القرآن المعجز الذي أنكره المشركون، فاحتجت الآية عليهم بتعجيزهم بالإتيان بمثله في حال شكهم بصحة انتسابه إلى الله، والخطاب في (كنتم) للمشركين وممن سواهم من المنكرين، و(في) للظرفية المجازية، والريب أسوأ الشك.

قوله (مما نزلنا على عبدنا) أي: بسبب تنزيلنا القرآن على عبدنا محمد ﷺ، و(مما) مركبة من (من) ومعناها التبعيض، و(ما) الموصولة، وصلتها فعل التنزيل وهو مجاز من الرفعة والعلو، وفي دلالته التدرج والتنجيم في نزول السور القرآنية، وهو يفترق عن دلالة الفعل (أنزلنا) التي تعني النزول دفعة واحدة، وفي الأول تحقيق لمنطق العدالة في التحدي، فثمة فرق بين التحدي ببعضه، وبين القرآن كله، و(على) تفيد تمكن التنزيل من صدر النبي ﷺ واستقراره في قلبه، ولفظ العبد وإضافته إلى ساحة الجلالة عناية وتشريف بالنبي ﷺ، واقترانه بالله يثبت ضمنا صحة ما يدعي من الرسالة.

قوله (فأتوا بسورة من مثله) جملة جواب الجزاء، والإتيان الإحضار وتعديته بالباء للمصاحبة والأمر يراد به التعجيز، والسورة مأخوذة من السور وأصلها الإحاطة بكلمات الله النازلة في غرض محدد ومناسبة ما، وتنكيرها لإفادة الإفراد أو النوعية، والقيد في (من مثله) معناه من مثل القرآن في إخباراته وغيوبه وأحكامه ونظمه وبلاغته، وتفيد (من) البيان، والمثل الشبه، والهاء في اللفظ عائد إلى القرآن المفهوم من قوله (مما نزلنا) أو عائد إلى الضمير في (عبدنا) في كونه رجلا لم يتلق تعليما ومعارف إلهية على يد معلم.

وقد تحدى القرآن الناس بأن يأتوا بمثل القرآن فقال (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين) [الطور ٣٤]، ثم تنزل وتحداهم أن يأتوا بعشر سور فقال (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) [هود ١٣]، ثم تنزل فتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فقال (فأتوا بسورة من مثله).

قوله (وادعوا شهداءكم من دون الله) زيادة في تعجيز الإتيان بمثل سورة من القرآن، وهو دعوتهم أصنامهم التي يزعمونها آلهة إلى الحضور لتعينهم على أمر التحدي، كما هي عادتهم في دعائهم لطلب النصرة أو دفع المضرة، ولا يخلو الأمر من تهكم بهم، وفي الكلام إدماج لتنبيههم من غفلتهم باتخاذ الأصنام آلهة من دون الله، والإدماج من فنون المحسنات البديعية، ويعني الخروج على مقتضى الظاهر من الكلام، ولفظ الشهداء يراد به الحضور لأن من يشهد الشيء فقد حضره، وقوله (من دون الله) أما

معناه بين يدي الله، أو بمعنى من أصحابكم من دون حزب الله من الذين يؤمنون بكم.

قوله (إن كنتم صادقين) الشرط تعجيز آخر، لأنه تهييج لحماسهم في التحدي بتعلق الصدق على دعواهم في أن القرآن من البشر لا من الله، وحذف متعلق لفظ الصادقين لأنه مفهوم من سياق الآية.

وفي الآية الشريفة تقسيم عقلي لخيارين منطقيين للمشركين، فهم أما أن يقبلوا بالتحدي ويحضروا شهودهم بما يعتقدون، وإما أن يذعنوا بعجزهم ويخافوا الله تعالى، وفي الآية الشريفة إعجازان: الأول إثبات صحة المتحدى به وعجز الآخر، والثاني التحدي المفتوح في عدم إمكان الإتيان بمثله، لا الآن ولا في المستقبل.

وفي الآية والتي قبلها تدرج في تعداد الحجج بعد النداء (يا أيها الناس) التي توجب عقلا عبادة الله تعالى، بدأت بالحجة الأولى في إيجاد الخلق من العدم (الذي خلقكم) ثم ضمن لهم متطلبات العيش الآمن المريح في الأرض (الذي جعل لكم فراشا والسماء بناء)، ثم كفل لهم بعد خلقهم وطبيعة حياتهم وجود الماء والإطعام (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم)، لذلك صح عقلا النهي عن جحود الخالق المنعم (فلا تجعلوا لله أندادا)، وحق لهم التوبيخ المتضمن في (وأنتم تعلمون).

قوله تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾

قوله (فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا) الفاء للتفريع على ما تقدم من أوامر التعجيز والتحدي، والنفي التأبيدي لفعل الإتيان بمثل سورة القرآن إخبار غيبي دليل على معجزة القرآن في الأزمان كلها، لا في زمن النزول فحسب.

قوله (فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة) الجملة جزاء لحرف الشرط، ومضمونها التحذير من عاقبة إعراضهم عن الدليل الإعجازي المؤيد للنبوة والتوحيد، والاتقاء الاحتماء بصيانة النفس عما يؤذيها وصيانتها بالإيمان بالله ورسوله والإذعان لأوامره ونواهيه، وتعريف النار للعهد، واسم الموصول (التي) وصلته لبيان تهويل النار، والوقود ما يتقد به لإضرام النار، وتعريف الناس للعهد ويراد بهم الكافرون المعاندون، والحجارة كناية عن أصنامهم التي يعبدونها من دون الله، واقترنت بالناس في النار لإبطال ادعاء الألوهية لها.

قوله (أعدت للكافرين) الجملة الفعلية مقامها الصفة للنار، والإعداد التهيئة لاستقبال الكافرين زيادة في التهويل والتخويف، واللام في لفظ الكافرين للاستحقاق، والكفر أصله الستر، ويراد به ستر الرحمة عنهم.

قوله تعالى ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾

قوله (وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات) التعقيب بالترغيب بعد الترهيب والعكس صحيح هو أسلوب قرآني شائع في الكتاب العزيز، والبشارة ما يظهر على بشرة وجه المبشر من سرور وانبساط، والخطاب في أمر التبشير للنبي ﷺ تشجيعا للمؤمنين في الدنيا ومجازاة لهم على ثباتهم على التوحيد، إذ ربطوا معتقدهم بعملهم الصالح المترجم لما اعتقدوا وآمنوا، وقوله (عملوا الصالحات) بمعنى: عملوا الأعمال الصالحات، ولفظ الصالح وصف جامع لمعاني الخير والإحسان.

قوله (أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار) الجملة تفسيرية للتبشير لذلك فصلت عما قبلها، واللام في (لهم) للاستحقاق، وجنات جمع جنة وهي البستان الكثيف الشجر الذي يجن ما تحته ويظله، ويفيد تنكيرها التكثير والنوعية لمراتب من نالها واستحقها، فقد تكون جنات تين أو عنب أو نخيل، بينما أفاد التعريف في لفظ (الأنهار) التكثير، و(من) زائدة لتأكيد الجري.

وتوصيفها بجري الأنهار من تحتها متضمن سرعة الجري وصفاء الماء وديمومة الخضرة فإن ذلك مما تميل إليه فطرة الإنسان، وإسناد فعل الجري إلى الأنهار مجاز عقلي لأن الماء في الحقيقة هو الذي يجري لا مكانه وهو النهر، ويراد به المبالغة في صفة جري الماء وفيضه حتى كأن من يراه يرى المكان هو الذي يجري وليس ماؤه، وذكر الماء مع الشجر يساوي ذكر الروح مع الجسد إذ بهما تكتمل الحياة.

قوله (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل) فصل الكلام لكمال الاتصال بما قبله فإنه صفة للجنات، والرزق ما ينتفع به من الأكل، والهاء في (منها) عائد إلى الجنات، و(من) زائدة للتأكيد، وقولهم إشارة إلى رزق مثلها في الدنيا.

قوله (وأتوا به متشابها) أي: جيئوا بالثمرة في حال من التشابه في اللون واختلاف في الطعم.

قوله (ولهم فيها أزواج مطهرة) أي: للمؤمنين في الجنات نساء زوجات طهرن في الأخلاق والأبدان.

قوله (وهم فيها خالدون) جملة حالية، أي: في حال من دوام هذه النعم، فإن النعم تتم بالبقاء وتنتقص بالفناء.

وفي الآية الشريفة تصوير للكمال المطلق لجمال الحياة، عاش المؤمن في عالم الدنيا بعض لذته فعرفه، ولذلك جرى ذكر عناصر كماله في عالم الجنة وهي: جمال الطبيعة من نبات وماء، وجمال القرين من نساء شملتهن

العناية الإلهية عما يدنسهن من عيوب خلقية أو خلقية، ثم الخلود لتلك النعم التي يسعد بها المؤمن.

قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦ ﴾

قوله (إن الله لا يستحي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها) فصل الكلام لاستئنافه بمثل جديد غير الأمثال السابقة، والتصريح بلفظ الجلالة للتعظيم، والاستحياء كما قال في التبيان: أصله الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفا من مواقعة القبيح. انتهى.

وأصل الفعل يستحيي فحذفت الياء الثانية للثقل، والنفي الداخل على الفعل بمعنى لا يدع ولا يترك المثل بأحقر المخلوقات وهي البعوضة، والضرب يستعمل

للخيمة ويستعار للمثل لإفادة تمثيل المعنى كأنه يشاهد، و(ما) زائدة للتأكيد، ونصب لفظ البعوضة لأنه مفعول ثان، والبعوضة مفرد البعوض حشرة معروفة تعرف بصغرها وحقارتها وضعفها، والفاء في (فما) للترتيب، و(ما) موصولة، والظرف (فوقها) أي: ما هو أعلى منها في درجة ضعفها

وصغرها وخواصها، قال في المجمع: وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال: إنما ضرب الله المثل بالبعوضة، لأن البعوضة على صغر حجمها، خلق الله فيها جميع ما خلق في الفيل مع كبره، وزيادة عضوين آخرين، فأراد الله تعالى أن ينبه بذلك المؤمنين على لطيف خلقه، وعجيب صنعه. انتهى.

قوله (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم) تفرع على ما سبق إيراد جملتين عن المؤمنين والكافرين، فبدأ بالمؤمنين بأن ضرب المثل بالبعوضة حق واستدلال على كمال قدرة الله تعالى فالمخلوقات عند الله في حال واحدة من الضعف، والفاء في (فأما) للتفريع، وتسمى (أما) الشرطية التفصيلية، والفاء في (فيعلمون) واقعة في جواب (أما)، والهاء في (أنه) عائد إلى ضرب المثل، والتعبير عنه بالحق بمعنى الصدق والحقيقة الصادرة من ربهم وأن ثمة حكمة من صدوره من الله تعالى.

قوله (وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا) التفريع الثاني الذي أنكر فيه الكافرون معنى التمثيل بالبعوضة، لقصور فهمهم عن الاستدلال بها إلى المعنى المراد، والاستفهام بـ (ماذا) غر حقيقي أفاد الإنكار، واسم الإشارة (هذا) أفاد الحكاية عن تحقيرهم لضرب المثل، وتنوين الفتح للفظ المثل على التمييز على أساس إبهامه.

قوله (يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا) يحتمل فصل الكلام أن يكون ردا على الاستفهام الإنكاري للكافرين، والإضلال إضاعة سبيل الحق، والباء في (به) تفيد السببية، والهاء تعود إلى ضرب المثل، ولفظ الكثير صفة

لموصوف محذوف تقديره ناسا كثيرا، ونسبة الإضلال إلى الله نسبة مجازية يراد به المجازاة على أفعالهم الاختيارية، وذلك بخلق أسباب الضلال ورفع رحمته عنهم وليس هو من قبيل الإضلال الابتدائي، لأن ذلك خلاف العدل، والله تعالى لا ينطبق على ذاته غير العدل، ولما كان المثل واحدا من الفتن التي يختبر فيها العبد في التوصل والاستدلال على الحقيقة كان ذلك مظنة المؤمنين يعلمون أنه الحق فيزدادون إيمانا وتمسكا بعقيدتهم، بينما الكافرون يزدادون عتوا ونبوا عن ربهم لما ختم على إدراكهم وصول الفهم إليهم، وفعل الهدي بمعنى إصابة طريق الحق، وبين الجملتين في الآية تقابل بديعي لافت.

قوله (وما يضل به إلا الفاسقين) الجملة تأكيد لإضلال الفاسقين المستحقين لذلك، وأصل الفسق خروج التمرة من قشرها، فالفاسقون هم الخارجون على العهد والمواثيق، وفي الكلام إشارة إدانة إلى اليهود، فقد كانوا هم وراء الغمز بالمثل، إذ كانت قريش تفزع إليهم بشأن أخبار القرآن للتشغيب عليه وتشويه معانيه.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٢٧ ﴾

قوله (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) عدت الآية مجموعة من التوصيفات للفاسقين المار ذكرهم في الآية السابقة، فالصفة الأولى خيانة العهد بعد ميثاقه منهم، وهو خيانتهم الله ورسوله، وأصل النقض الحل وضده الإبرام، والعهد العقد وإضافته إلى لفظ الجلالة لتعظيمه، و(من) زائدة للتأكيد، والميثاق استعارة من الربط الشديد تشبيها للعهد بالحبل الذي يربط به الكلام ويعقد لأن العهد في العادة يكون باللفظ بعقد اليمين.

قوله (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) وهي الصفة الثانية لهم وهي مخالفة أوامر الله في صلة أوليائه والبراءة من أعدائه، والقطع استعارة للفصل والمباينة، واستعمال (ما) الموصولة وصلتها لبيان شناعة المخالفة.

قوله (ويفسدون في الأرض) أي: تسببهم في كل خلل في نظام المجتمع وذلك بإفساده وبث الفتن والدس والنميمة بين أفراده.

قوله (أولئك هم الخاسرون) الفصل لاستئنافه الإخباري بتأكيد خسرانهم في الدنيا والآخرة، فأفاد الضمير (هم) القصر، وأل التعريف قصرا ثانيا بحصرهم بالخسران.

ويرجح السياق أن يكون الإخبار عن أحبار اليهود ويدخل فيه الكافرون والمنافقون، وقد رسمت الآية الكريمة تصويرا حسيا بأسلوب مجازي استعاري، لأن (النقض) يعني الفسخ والفك، فكأنه شبه العهد بالحبل ثم حذفه المشبه به وأشار إليه بما يخصه وهو (النقض) على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا الأسلوب من لطائف أسرار البلاغة، لأنه يعمل الذهن ويكده

وصولا إلى لذة المستور من اللفظ المستعار بدلالة ما يرمز إليه، وتكررت الصورة مرة ثانية بالمعنى نفسه باستعارة (يقطعون) ورشحت الاستعارة بلفظ (يوصل)، وسمي العهد بالحبل وشبه به لما في ذلك من قوة وثبات الوصلة بين المتعاهدين.

قوله تعالى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

قوله (كيف تكفرون بالله) رجوع بالخطاب إلى قوله (يا أيها الناس)، ويراد بالسؤال بـ (كيف) التعجيب والإنكار ولاسيما بعد عرض دلائل توحيده سبحانه فيما سبق من الآيات. والكفر الجحد بتفرد الله بالألوهية ونعمه وآلائه.

قوله (وكنتم أمواتا فأحياكم) الواو للحال، ومعنى كونهم أمواتا أنهم خلقوا من نطف لا حياة ولا روح فيها بعد، فأحياهم الله بنفخ الروح فيما انعقد من تلاقح الزوجين، والفاء للترتيب، وفعل الإحياء استعارة لإفاضة الوجود على الجامد المنعدم الحياة.

قوله (ثم يميتكم ثم يحييكم) تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، وفعل الإماتة إشارة إلى انقضاء أجل الحياة المضروب للإنسان، وفعل الإحياء الثاني إشارة إلى بعثه من جديد للحساب.

قوله (ثم إليه ترجعون) إثبات معاد الخلق إلى الله تعالى يوم الحشر، وتقديم المتعلق يفيد العلة الغائية في استقرار الخلق عنده تعالى، ودلالتها القصر عليه تعالى، والرجوع كرة الإعادة إليه سبحانه بعد صدورها منه، ويمكن أن يكون بمعنى اختصاص النظر في الحكم بالخلق به وحده، كما يقال رجع أمر القوم إلى الأمير، قال بذلك صاحب المجمع.

وافتتحت الآية بأسلوب إنشائي استفهامي دلالته الإنكار والتعجب، لأن من حق النعم الكثيرة الشكر لا الكفر، واستعير لفظ الأموات والأحياء للجماد كون الخلق أول إنشائهم مما لا روح له ولا حياة فهم بمنزلة الأموات، واستعير (الإحياء) بعد الخلق وبث الروح فيه، اما (الإحياء) الثاني فهو استعارة مكنية عن خروجهم من القبر إلى البعث والنشور، والترابط النصي له دلالته بين حروف الوصل فالفاء تفيد التعقيب، و(ثم) تفيد التراخي الزمني بين الإماتة والإحياء.

قوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

قوله (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) بيان لمنن الله تعالى في خلق الأرض والسموات، والابتداء بضمير الفصل (هو) يفيد قصر الخلق فيه تعالى، فهو وحده الخالق لذلك لا غيره، والخلق أصله الإيجاد والتدبير، واللام في (لكم) بمعنى: لأجلكم، والخطاب لعامة الناس، لأنهم متنعمون

بتلك الإفاضات، وتفيد (ما) عموم الذوات غير العاقلة من الحيوان والنبات، وتعريف الأرض للجنس، ونصب جميعا على الحال، ويراد به تأكيد العموم، ومن سياق الآية يتضح أن الله خلق الأرض قبل السماء، ولكن دحوها وجعلها صالحة للعيش بعد السماء نحو قوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) [النازعات: ٣٠].

قوله (ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، وفعل الاستواء مجاز استعاري، معناه الاستقامة والاعتدال، ويقصد بها كمال السيطرة على الأمر بعد التقصد الواضح والإرادة الحقة، لذلك تعدى الفعل بحرف الجر (إلى)، والسماء كل ما علا الأرض من أجرام وكواكب، وتعريفها للعموم، والفاء في (فسواهن) تفيد التفريع على قصد الاستواء، وضمير التأنيث الجمعي راجع إلى السماء، لأنها اسم جنس يستوي فيه المفرد والجمع، ومعنى (سواهن) كناية عن تمام الصنعة وكمال الخلق الذي لا يشوبه عيب أو نقصان، فالتساوي التماثل من حيث الشكل والنظام، وفي الكلام إعجاز عجيب في نظام الأفلاك السماوية وطبيعة دورانها حول بعضها، والسماوات السبع إشارة إلى طبقاتها أو أجرامها السبعة.

قوله (وهو بكل شيء عليم) الكلام نتيجة لما تقدم، وبدأت الآية بضمير القصر (هو) وختمت به، وتقديم الظرف للأهمية، والعليم مبالغة في علم الله بكل شيء، قال في المجمع: لم يقل قدير، لأنه لما وصف نفسه بالقدرة

والاستيلاء، وصل ذلك بالعلم، إذ بهما يصح وقوع الفعل على وجه الإتقان والإحكام. انتهى.

والآية بذكرها خلق الأرض والسماء تمهيد لإفادة تفصيل قصة المستخلف فيها آدم عليه السلام.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

قوله (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة) امتنان من الله سبحانه في جعل الإنسان سلطان الأرض وخليفته فيها، لذلك العطف على الآية السابقة أولى، وتفيد (إذ) الظرفية الزمانية المبهمة بمعنى: وقت، وقول الله مجاز بمعنى تبليغ إرادته سبحانه إلى الملائكة، والخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عناية وتشريف له، والملائكة جمع ملك وأصله من الألوكة وهي الرسالة، وهم أجسام نورانية سماوية لطيفة دأبها الطاعة وعبادة الله.

والتأكيد الإخباري في حرف النسخ (إن) لبيان العزم والإرادة، والجعل بمعنى الخلق، واسم الفاعل منه لما يستقبل من الزمان، وتعريف الأرض للعهد الحضوري، والخليفة ما يخلف الأصيل ويعقبه، وهو استعارة للقيام بأمور من استخلفه ويراد به آدم، وغرض الإخبار تكريم الإنسان بجعله سلطانا على الأرض وتسخير ما فيها لأجله.

قوله (قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء) الفصل لأنه في سبيل المحاورة، والاستفهام من الملائكة على سبيل الاستعلام من ربهم لا الإنكار، وتكرار الظرف (فيها) للتأكيد، ومقولهم استخبار أريد به تبيين الحكمة من هذا الجعل لأنهم غير محيطين به لما علموا من أن هذا المخلوق الجديد يتوقع منه الإفساد وسفك الدم أو أخبرهم الله تعالى بأن من ذرية آدم من يفسد ويسفك الدماء.

قوله (ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) الواو للحال، والمراد تفضيلهم في جعلهم خلفاء الله في الأرض، لكونهم عبادا شأنهم الطاعة يسبحونه ويقدسونه لذلك أورد كلامهم بالجملة الإسمية التي تقدم فيها المسند إليه (نحن) لطبع جبلتهم على التسبيح والتقديس، والتسبيح التنزيه من كل نقص، وفعله يتعدى بنفسه ولكن تعدى بالباء في (بحمدك) لإفادة الملابسة بمعنى نسبحك تسبيحا مصحوبا بحمدك، والتقديس التطهير وهو كذلك يتعدى بنفسه، وإنما عدي باللام في (لك) لإفادة المبالغة والتأكيد.

قوله (قال إني أعلم ما لا تعلمون) في جملة تأكيد علم الله الواسع وإحاطته بما غاب عنهم إزالة لاستغراب الملائكة في استفهامهم وقطع للمحاورة بإلزام الحجة عليهم، ويدخل مقام الكلام في التعليل، وظاهر الآية أن الله تعالى أقر الملائكة على ما قالوا بأن من البشر فسدة وقتلة، ولكن إخباره إياهم متضمن معنى أن منهم صلحاء أنبياء وأولياء.

قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

قوله (وعلم آدم الأسماء كلها) الالتفات إلى الحديث عن آدم تأكيد لحجة الله على الملائكة، وإدماج بديعي بأن خليفة الله في أرضه هو آدم، لأنها المرة الأولى التي صرح فيها باسمه طوال سياق الآيات السابقة، وآدم هو المخلوق الأول لنوع الإنسان الذي فضله الله على مخلوقاته بجوهرة العقل، ويكاد يكون اسمه مشتقا مما خلق، فقد قيل إن أصله مشتق من الأدمة وهي ظاهر التراب، والتعليم إلقاء العلم في نفس آدم بإلهامه أو بأي كيفية اقتضتها حكمة الله تعالى، فقد أطلق فعل تعليم الله لآدم مطلقا دون قيد إيجازا للكلام، وفيه دليل إعمال العقل الذي بهذا التعليم أبين عن قيمة هذا المخلوق بأن جعله ناطقا عالما.

وتعريف الأسماء للجنس والعموم ويراد بها مسميات الموجودات مدلولاتها وصفاتها بإحضار صورها، وأكد كليتها حتى لا يتوهم العهد في إحضار بعض الأسماء، وقد روي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن هذه الآية فقال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية، ثم نظر إلى بساط تحته فقال: وهذا البساط مما علمه. كذا نقله العياشي في تفسيره. انتهى.

قوله (ثم عرضهم على الملائكة) تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الأحداث، وفعل العرض يقتضي الإظهار العياني، وضمير التذكير فيه على سبيل

تغليب الذوات العاقلة من الأسماء على غيرها من غير العاقلة، وذلك من أساليب العربية المعروفة، قال تعالى (والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع) [النور ٤٥]، وتفيد (على) المجاز الاستعلائي، وتعريف الملائكة للعهد، لأن المراد مجموعة من الملائكة المكرمين في هذا المقام، الذين يكلمهم فيه الله تعالى، لا كل الملائكة.

قوله (فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء) جملة تفريع على جملة العرض، والأمر فيها تعجيز لبيان جهل الملائكة بقيمة المخلوق الجديد، والإنباء الإخبار بحدث مهم ذي فائدة، واسم الإشارة للقريب لتمييز الأسماء دليل على أن العرض مشاهد لصور مدلولات الأسماء.

قوله (إن كنتم صادقين) الشرط لتعليق صدق الملائكة على صحة دعواهم بأنهم المخلوقات الكُمّل في ادعاء أحقية الاستخلاف في الأرض.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢ ﴾

قوله (قالوا سبحانك) أي: الملائكة نزهوا الله تعالى عن كل نقص، وصيغة السبحان مبالغة في التسبيح، مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره: نسبح سبحانا.

قوله (لا علم لنا إلا ما علمتنا) تأكيد من الملائكة بـ (لا) النافية للجنس، وأسلوب القصر بأن علمهم ليس مستقلا عن الله تعالى، بل هو مستل منه، وبين الجملة وما قبلها كمال اتصال لذلك فصلت.

قوله (إنك أنت العليم الحكيم) جملة تعليل لما قبلها، وتأكيد شديد لمحتواها بحرف النسخ (إن)، وبقصرين ضمير الفصل (أنت) وأل التعريف، والجملة الإسمية لبيان صفاته بالثابتة لذاته في العلم والحكمة، والعليم والحكيم صيغة مبالغة لهاتين الصفتين، وحكاية الكلام عن الملائكة يدل على كمال التأدب في خطاب الله تعالى فهم سبحوه أولا ثم أقروا على أنفسهم بالجهل ثم عللوا ذلك بتأكيد إحاطة علم الله بكل شيء وسعة حكمته تعالى.

قوله تعالى ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٣٣ ﴾

قوله (قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم) التفات في الكلام من خطاب الملائكة إلى خطاب آدم لبيان الحجة بأفضلية آدم ونوعه على استخلاف الله في أرضه، وضمير جمع الغائبين في لفظ الأسماء يراد به معاني الأسماء وصفاتها لا مجرد المسميات، في دليل على تعليم الله له مما احتجب عن ملائكته.

قوله (فلما أنبأهم بأسمائهم) الفاء للتفريع على ما تقدم، وتكرر فعل الإنباء لما فيه من دلالة الحدث المهم.

قوله (قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض) جملة فعل القول جواب (لما)، والاستفهام للتقرير، والكلام تأكيد إحاطة الله تعالى بكل شيء بحضور الأشياء بين يديه، فلا يعزب عنه شيء في السماوات والأرض، وذكرهما لاستقصاء علمه بالغيب وتقديم السماوات على الأرض لأنها الأوسع، والغيب نقيض الشهادة وهو كل ما يغيب عن الحس ويدرك بالوجدان.

قوله (وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون) بين جملتي الإبداء والكتمان تقابل بديعي دلالته في علم الله تعالى الثابت للأحوال المتقلبة والمتضادة للملائكة، وفي الكلام إطناب لافت فقد ذكر خصوص علمه بالملائكة بعد عمومه في السموات والأرض الذي يدخلون فيه ضمنا.

وفي الآيات الكريمة السابقة أسلوب حواري غرضه بيان عظمة الله تعالى في خلق آدم، وعلمه بما كان ويكون سبحانه، لذلك تكرر لفظ العلم ومشتقاته في الحوارية ثماني مرات في دلالة على تركيز دائرة الضوء على أصل الحوار في علم الله بجوهر مخلوقه الجديد وقصور الملائكة المكرمين عن إدراك الغرض البعيد للخليفة الجديد.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾

قوله (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) الواو للعطف على قوله (وإذ قال ربك إني جاعل) لاستمرار المحاورة والحدث، والعدول في جملة فعل القول من خطاب النبي ﷺ إلى ضمير التكلم (نا) لإظهار العظمة في أمر المأمورين بالسجود، والسجود مجاز يراد به التعظيم والتبجيل كما يقال في سجود كل شيء لله تعالى، واللام في (لآدم) للتعليل.

قوله (فسجدوا إلا إبليس) الفاء للتفريع على أمر الله بالسجود وهو الإخبار عن سجود الملائكة لآدم، وأخرج من جملتهم إبليس بأسلوب الاستثناء المنقطع لأنه ليس من جنسهم فقد رفض الأمر، وإبليس من الجن أصل خلقته النار وهو يمثل النوع للشياطين كما أن آدم نوع الإنسان.

قوله (أبى واستكبر) تأكيد بياني للمستثنى بـ (إلا) إبليس، وهو إبايته واستكباره، والإباء الرفض عن علم، والاستكبار الاستعلاء مأخوذ من الكبر.

قوله (وكان من الكافرين) جملة عطف، والكلام نتيجة لما تقدم، والإخبار بمضي الكون بكفر إبليس باعتبار الحكاية عن أمر ماض يخبر به النبي ﷺ.

قوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

قوله (وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة) توحي مناداة آدم باسمه نوع عناية من الله تعالى بنبيه، والسكن الإقامة والعيش والطمأنينة، وزوجته هي حواء خلقها الله تعالى ليتحقق بهما استمرار النوع الإنساني، ويطلق لفظ الزوج على الرجل والمرأة المتزوجين، وتعريف الجنة للعهد ويبدو أنها جنة خلقت خصيصا لآدم، والجنة أصلها البستان ذو الشجر الكثيف التي تجن ما تحتها وتستره.

قوله (وكلا منها رغدا حيث شئتما) فعل أمر الأكل يدل على الإباحة، وحرف الجر (من) في (منها) للتبعيض والهاء عائدة إلى الجنة، والمراد: كلا من ثمر أشجارها وفاكهتها، والرغد سعة العيش وبسطته، ونصبه على الحالية، وفي (حيث شئتما) إباحة حرية الأكل من كل مكان في الجنة.

قوله (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين) النهي استثناء مما سبق من إباحة الأكل، وإنما استعمل النهي لإفادة تأكيد الابتعاد عن الأكل من الشجرة، لذلك فرع عليه كونهما ظالمين لأنفسهما في حال الأكل منها، واسم الإشارة للتأكيد والتعيين، وفعل القرب كناية عن الأكل لأنه مستلزم عنه.

قوله تعالى ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ٣٦ ﴾

قوله (فأزلهما الشيطان عنها) الفاء للتعقيب، وفعل الإزلال من الزلل وهو الزلق، كناية عن الوقوع في الخطأ بالأكل من الشجرة، وتعريف الشيطان

للعهد الحضوري، وأصله من الشطن وهو البعيد عن رحمة الله، والضمير في (عنها) عائد إلى الجنة.

قوله (فأخرجهما مما كانا فيه) الفاء للتعقيب لأنه ترتب على ذلك الزلل خروج آدم وحواء من الجنة، وإسناد فعل الإخراج إلى الشيطان مجاز عقلي لأنه السبب في إغوائهما، وتفيد (من) في (مما) الابتداء، و(ما) اسم موصول وصلته فعل الكون، و(في) مجاز للظرفية الزمانية، والهاء عائد إلى النعيم في الجنة وهو رفع التكليف عنهما، والإتيان باسم الموصول وصلته دون التصريح بالجنة لبيان معنى ذلك النعيم، وليس إخراجهما من الجنة جرى على سبيل العقوبة ولكن بسبب اختلاف المصلحة التي قضت بها حكمته تعالى إنزالهما إلى الأرض تشديدا على الابتلاء والتكليف.

قوله (وقلنا اهبطوا) الأمر من الله بالهبوط مجاز يراد به النزول إلى مقام أدنى، وهو الأرض، وضمير الجمع روعي فيه آدم وحواء وإبليس، ولكن بوقتين متفرقين.

قوله (بعضكم لبعض عدو) جملة حالية، فقد اقتضت حكمة الله نزولهم أعداء في صراع إلى يوم القيامة، ولفظ التبعيض باعتبار آدم وذريته من جهة وإبليس وقبيله من جهة أخرى، وعداوة آدم لإبليس إيمان، وعداوته لآدم كفر.

قوله (ولكم في الأرض مستقر) أي: مكان ثابت في الأرض، والاستقرار الإقامة والثبات، والمراد معاني السكن والعيش ونحو ذلك.

قوله (ومتاع إلى حين) الاستمتاع يوحي باللذائذ المؤقتة في الحياة الدنيا التي تنتهي في أوقات محددة، فالتنعم فيها ينتهي بالأجل المضروب لكل حي وهو وقت الموت.

قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ٣٧ ﴾

قوله (فتلقى آدم من ربه كلمات) الفاء يفيد التعقيب في ترتيب الكلام، والتلقي الاستقبال، و(من) ابتدائية، وإضافة لفظ الربوبية إلى هاء آدم عناية من الله به، والكلمات جمع كلمة مجاز يراد به نوع دعاء لقنه الله نبيه بنوع إلهام أو إيحاء، وتنكيرها للتعظيم.

قوله (فتاب عليه) تفرع على ذلك التلقين توبة الله على آدم، وتجاوزه تعالى عن عدم الالتزام بأمره الإرشادي، لأن آدم يجل عن ارتكاب المعصية، ولكن لمقامه الرفيع أنزل أمر الأكل من الشجرة منزلة المرتكب للمعصية، ولم يقل: تاب عليهما، لأن آدم هو الأصل، وجرى على سبيل التغليب في الكلام.

قوله (إنه هو التواب الرحيم) فصل الكلام لأنه تعليل لقبول الله التوبة من آدم، وهو أنه تعالى يقبل التوبة دائما رحيم كثير الرحمة بعباده، وأوردت الجملة بالإسمية للزوم صفات التوبة والرحمة له تعالى، والتواب صيغة مبالغة لقبول التوبة والرحيم كذلك صيغة مبالغة في سعة رحمته، ومن

جميل معاني رحمته تعالى أن أوردت بأشد التأكيدات فحرف النسخ (إن)، والقصران ضمير الفصل (هو) وأل التعريف في (التواب).

قوله تعالى ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾

قوله (قلنا اهبطوا منها جميعا) تأكيد من الله تعالى في أمره المولوي بإخراجهم من الجنة إلى الأرض، والخطاب لآدم وحواء مأخوذ فيه ذريتهما، وفي المعنى الحقيقي للفعل (اهبطوا) النزول من مكان عال إلى مكان أدنى، وقد يراد هنا النزول المعنوي الاعتباري كون الجنة أشرف منزلة وأعلى من الأرض التي هي محل ابتلاء.

قوله (فإما يأتينكم مني هدى) الفاء للتفريع. وتفيد (إما) الشرط، وفعل الإتيان يراد به التبليغ أكد بنون التأكيد الثقيلة لأن محله الجزم فعل الشرط، و(من) ابتدائية اتصلت بياء العظمة، ولفظ الهدى الدلالة والإرشاد، وتنكيره للتعظيم.

قوله (فمن تبع هداي) جملة تفريع وشرط ثانية، والاتباع الطاعة، وإضافة الهدى إلى ياء الجلالة للتعظيم توازي قوله (مني هدى).

قوله (فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) جواب الشرط للتي قبلها والجملة تقوم مقام الجزاء لـ (فإما)، ومعناه نفي الخوف والحزن عن المهتدين في

الدنيا والآخرة، وهذا القسيم الأول من المؤمنين من ملحمة الابتلاء في الحياة الدنيا.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٩ ﴾

قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) وهذا المقابل الثاني للمؤمنين وهم الكافرون المكذبون بآيات الله ودلائله على يد أنبيائه ورسله، والتكذيب يراد به إنكار المعجزات التي يدعو بها الأنبياء إلى العودة إلى توحيد الله، وإضافة الآيات إلى نون الكبرياء لتعظيمها.

قوله (أولئك أصحاب النار) اسم الإشارة خبر المبتدأ، وأصحاب النار هم الملازمون لها غير المفارقين عنها يوم القيامة.

قوله (هم فيها خالدون) تأكيد لخلود الكافرين في النار مجازاة على كفرهم وتكذيبهم. وتقديم المتعلق (فيها) للاهتمام.

قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠ ﴾

قوله (يا بني إسرائيل) استئناف كلام جديد لذلك قطع الكلام عما قبله، وهو ذكر منن الله على بني إسرائيل، والنداء يراد به تنبيههم، وبنو إسرائيل كناية

عن اليهود وإسرائيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، ومعناه في لغتهم صفوة الله، وبنوه إشارة إلى ذريته من أسباطه الاثني عشر، وخوطبوا في القرآن بهذا النداء كثيرا، كونهم من أقدم الأمم التي أنعم الله عليهم بالرسل والأنبياء وأنقذهم من مواقف الهلكة والعذاب مثل إنقاذهم من فرعون، وقبول العفو بعد انتكاسة عبادة العجل، وتعريفهم بصفات النبي ﷺ وإدراكهم لزمنه.

قوله (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) الأمر بالتذكر من الله لبني إسرائيل لغفلتهم عن منن الله الكثيرة عليهم التي يقابلونها بالجحود دائما، وإطلاق لفظ النعمة بالإفراد لأن كل نعمة من نعمه سبحانه عليهم تعادل نعما كثيرة لا تحصى، والإتيان باسم الموصول وصلته لتأكيد إسباغ النعم عليهم، و(على) مجاز استعلائي.

قوله (وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم) الإيفاء بالعهد تأديته بأمانة كما اتفق عليه، وهو التزامهم بالشريعة المنزلة على موسى في التوراة ومنها التبشير بنبي آخر الزمان التي كتموها حسدا وبغضا، وإضافة العهد إلى ياء الجلالة لتعظيمه، وجعل الجزاء من جنس فعل الشرط لأهمية الأمر، وإيفاء الله للعهد مجاز بمعنى إثابة المحسن منهم ومعاقبة المسيء الخائن.

قوله (وإياي فارهبون) جملة عطف وتأكيد شديد في التخويف من الله تعالى من خيانة عهده، وضمير الفصل للنصب الوجوبي يفيد الاختصاص، والفاء

مشعرة بالشرط، وفعل الرهبة بمعنى الخوف الشديد، والآية في نداء بني إسرائيل تمهيد لما بعدها.

قوله تعالى ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾

قوله (وآمنوا بما أنزلت) العطف على ما تقدم من نداء بني إسرائيل، وجملة فعل الإيمان هي الغرض من ذلك التمهيد، ويراد بالإيمان الإيمان الاصطلاحي وهو الاعتقاد بنبوة محمد ﷺ ومعجزة الكتاب العزيز، والباء في (بما) للملابسة، و(ما) اسم موصول وصلته فعل الإنزال إشارة إلى القرآن، والإتيان بجملة الموصول لغرض تعظيم صدوره من الله.

قوله (مصدقا لما معكم) جملة حالية، والتصديق الإيمان بصحة ما في كتاب التوراة، واللام في (لما) للتعدية و(ما) اسم موصول، والمعية مؤذنة في اختلاف ما معهم من التوراة عن تلك النازلة على موسى عليه السلام في الطور، وإلا لقال: لما عندكم، وفي جعل القرآن هو المصدق للتوراة إشارة إلى هيمنته على الكتب السماوية ونسخه للشرائع السابقة في شريعته.

قوله (ولا تكونوا أول كافر به) عطف على جملة أمرهم بالإيمان بالقرآن بالنهي عن الكفر به بوصفهم أمة توحيد، وفي الكلام توبيخ لهم، لأنهم ينبغي أن يكونوا أول من يؤمن بآخر الأنبياء محمد ﷺ لما علموا من الصفات

الحقة المثبتة له ﷺ في التوراة، والكفر هنا بمعنى الجحد وفيه إشارة إلى علمهم بخبر القرآن وبعثة النبي ﷺ، والضمير في (به) عائد إلى القرآن.

قوله (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) نهي ثان لبني إسرائيل عن خيانة العهد، وهي التلاعب بالتوراة وأخبارها من أجل حطام الدنيا، وفعل الاشتراء هنا بمعنى البيع، أي: لا تبيعوها بثمن بخس، وقد كان ذلك من طبائع أحبار اليهود أنهم يغيرون في أحكام التوراة من أجل كسب المال من كبرائهم، وصورة الاشتراء صورة حسية مجازية كثرت في آيات الكتاب العزيز، فـ (الاشتراء) لفظ مستعار للاستبدال، أي: لا تستبدلوا بآياتي ثمنا قليلا، والثمن القليل، كناية عن طلب المال وحب الدنيا.

وذكر في مجمع البيان: عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال في هذه الآية: كان حيي بن أخطب، وكعب بن الأشرف، وآخرون من اليهود، لهم مأكلة على اليهود في كل سنة، فكرهوا بطلانها بأمر النبي ﷺ، فحرفوا لذلك آيات من التوراة، فيها صفته وذكره، فذلك الثمن الذي أريد في الآية. انتهى.

قوله (وإياي فاتقون) تحذير شديد من الله تعالى لليهود يوازي ما تقدم (وإياي فارهبون).

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

قوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل) نهي ثالث لليهود عن تعمد تشويه الحقائق أمام الناس بالإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه الآخر لأنهم جحدوا صفة

النبي ﷺ في كتابهم وآمنوا بما عداه، والإلباس استعارة بالكناية عن التدليس من الثوب تشبيها للحق والباطل بالثياب بجامع المخالطة، والمراد تصوير تضييع التمييز بينهما عن سبق معرفة وترصد للدجل والكذب، والحق لفظ يقال في الأمر الصادق الثابت الذي لا يعتريه التبدل والتغيير، والباطل نقيضه من الأمور الفاسدة المتغيرة.

قوله (وتكتموا الحق) الواو للحال، أي: تفعلوا ذلك في حال من كتمان الحق عن أهله.

قوله (وأنتم تعلمون) الجملة مقامها الحال من ضمير فعل الكتمان.

قوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾

قوله (وأقيموا الصلاة) العطف لأن الجمل أوامر ونواه لبني إسرائيل، فبعد النهي عن المنكرات أمرهم بالواجبات، وأولها إقامة الصلاة لشرفها وعنوانها الإيماني المميز، وهو أمر متضمن دعوتهم للالتحاق بركب المسلمين في عباداتهم لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم، أي: أقيموا الصلاة بطريقة الشريعة الإسلامية الممتدة من شريعة إبراهيم الحنيفية.

قوله (وآتوا الزكاة) أي: الأمر بالإنفاق بحسب موارد الزكاة التي شرعها القرآن العظيم، والإتيان بمعنى الإعطاء، والزكاة أصلها النماء ومعناها التطهير.

قوله (واركعوا مع الراكعين) أعاد ذكر الصلاة للتأكيد على أهميتها، فذكر أجزاءها وأراد مسماها، وحرف المعية تحبيبا بالعبادة الجماعية للمسلمين.

قوله تعالى ﴿ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

قوله (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم) الخطاب لأحبار اليهود، فقد قيل إن أحبار اليهود كانوا ينصحون سرا باتباع محمد ﷺ ولا يتبعونه، ويأمرون بالصدقة ولا يتصدقون، والاستفهام إنكاري يدل على التعجب والتوبيخ، والأمر الطلب باستعلاء، وتعريف الناس للعهد يراد به أتباعهم من اليهود لأن السورة مدنية.

ولفظ البر جامع لمعاني الخير والصلاح، وجملة النسيان حالية متضمنة معنى الغفلة عن حمل أنفسهم على عمل البر أولا ثم أمر غيرهم بفعله، والكلام تصوير لواقع نفاقهم مع أنفسهم.

قوله (وأنتم تتلون الكتاب) جملة حالية مؤكدة لمخالفتهم أفعالهم، لأنها معنى التكنية عن طاعة النبي ﷺ واتباعه فكتابهم يدعو إلى ذلك، والتلاوة القراءة، وتعريف الكتاب هنا يراد به التوراة.

قوله (أفلا تعقلون) الاستفهام للإنكار ويفيد توبيخهم على نفاقهم، والفاء تفريع على معنى ما تقدم بنفي العقل عنهم لجهلهم بعاقبة ما يفعلون.

قوله تعالى ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾

قوله (واستعينوا بالصبر والصلاة) الاستعانة مبالغة في طلب العون، والباء في (بالصبر) للتعدية، والصبر حمل النفس على الثبات فيما تكره، والصلاة من ألفاظ القرآن المنقولة من دلالة الدعاء إلى الأفعال المعروفة من ركوع وسجود ونحوهما، وقيل إن المراد بالصبر الصوم.

وروي في تفسير العياشي عن مسمع عن الصادق عليه السلام أنه قال: يا مسمع ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غم من غموم الدنيا أن يتوضأ، ثم يدخل مسجده ويركع ركعتين فيدعو الله فيهما، أما سمعت قول الله يقول: (واستعينوا بالصبر والصلاة). انتهى.

قوله (وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين) أي: الصلاة ثقيلة في الأداء على غير الخاشعين، لأن الخاشعين تهون عليهم مؤونة الصلاة لعلمهم بما يدخر لهم من ثواب عظيم، والكبر صفة للأعيان استعارة للمشقة لقهر النفس على الطاعة تشبيها للصلاة بالشيء الثقيل، والخشوع من صفات المؤمنين لأنه اعتقاد قلبي ينعكس أثره على الجوارح.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾

قوله (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) الجملة صفة للخاشعين، والظن مستعمل هنا في العلم، والملاقاة من صفات المشاركة والملاصقة مبالغة في لقاء الله تعالى وهي كناية عن الإيمان اليقيني بيوم المعاد، وفي إضافة لفظ الرب إلى ضمير أنفسهم اعتزاز وتشريف.

قوله (وأنهم إليه راجعون) جملة تأكيد لإيمانهم بالرجوع إلى الله تعالى في يوم القيامة للحساب، وتقديم المتعلق (إليه) للاختصاص والحصر فهم راجعون إلى الله وحده لا سواه.

قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧ ﴾

قوله (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) تكرار الخطاب لبني إسرائيل بالتذكير تأكيد لامتنان الله عليهم لشدة مقابلتهم إحسان الله بالإساءة والجحد، ولا ريب في أن النعمة المقصودة نعمة الله على أسلافهم كإنجائهم من آل فرعون وإنزال المن والسلوى عليهم وكون الملك فيهم زمن سليمان عليه السلام، قال في المجمع: وعد النعمة على آبائهم نعمة عليهم لأن الأولاد يتشرفون بفضيلة الآباء وهذا كما يقال في المفاخرة: قتلناكم يوم الفجار، وهزمناكم يوم ذي قار، وغلبناكم يوم النسار. انتهى.

قوله (وأني فضلتكم على العالمين) أي: تفضيلهم على عالمي أهل زمانهم ولا يوجب تفضيلهم في أشياء مخصوصة تفضيلهم على كل الأمم.

قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨ ﴾

قوله (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا) تحذير لبني إسرائيل وتخويف لهم من عاقبة يوم القيامة، وتنكير لفظ اليوم للتعظيم وانتصابه على المفعولية لا الظرفية، ونفي الجزاء بمعنى نفي افتداء النفس بل كل نفس تؤاخذ بذنوبها فلا افتداء ولا نصرة للعاصين.

قوله (ولا تقبل منها شفاعة) تأكيد بتحمل كل نفس جرائر ما كسبت، والهاء في (منها) عائد على النفس، والشفاعة الوسيلة والقربة، إشارة إلى النصرة، وقيل: إن هذا الحكم خاص باليهود لأنهم ادعوا أنهم أولاد الأنبياء وآباؤهم يشفعون لهم فأخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص، وإلا فإن الشفاعة مثبتة لأمة النبي ﷺ وقد نقل في المجمع مرفوعا عن النبي ﷺ أنه قال: إني أشفع يوم القيامة فأشفع، ويشفع علي فيشفع، ويشفع أهل بيتي فيشفعون، وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع في أربعين من إخوانه كل قد استوجب النار. انتهى.

قوله (ولا يؤخذ منها عدل) أي: لا يؤخذ من كل نفس الفدية، وسمي العدل فداء لأنه يعادل المفدى ويماثله.

قوله (ولا هم ينصرون) أي: لا ينتصر لهم أحد يوم القيامة.

وتركيز خطاب الحضور لبني إسرائيل بيّن واضح، لما تقدم من معان تلزمهم بالحجة القاطعة على الايمان بنبوة محمد ﷺ ، لا الاحتيال واضمار السوء والنفاق واختلاق الفتن، لذلك ليموا كأشد ما يكون في الخطاب القرآني، وتعددت أشكال خطابهم ولاسيما في تعداد النعم التي ينبغي أن تؤهلهم لاستقبال النبي الجديد لا الوقوف بوجه دعوته.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ ﴾

الواو لعطف منة على أخرى في قوله (يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم)، وهو تخصيص بعد تعميم.

قوله (وإذ) أي: أذكر يا محمد وقت كذا، حرف مبني للظرفية الزمانية، استعملت هنا كثيرا في تفصيل المنن على بني إسرائيل.

قوله (نجيناكم من آل فرعون) أي: خلصناكم من ظلم فرعون وقومه، والخطاب موجه إلى بني إسرائيل، والآل أخص من الأهل، وفرعون هو ملك مصر من السلالة الحاكمة الأخيرة التي تسمت بهذا الاسم كما سمي ملك الفرس بكسرى.

قوله (يسومونكم سوء العذاب) فصل الكلام لوقوع الجملة في الحال، والسوم أصله إرسال الإبل للرعي، والمراد يكلفونكم ويعذبونكم، وسوء العذاب أليمه وأشده.

قزله (يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) جملة تفسير لفعل السوم، والتذبيح فري الأوداج وتضعيف فعله لإفادة تكثير إيقاع القتل في بني إسرائيل فقد كانوا يقتلون الذكور ويبقون على الإناث للخدمة والإذلال، وهذا معنى الاستحياء أي: إبقاء الإناث أحياء.

قوله (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أي: وفيما تقدم من أشكال سوم العذاب لذلك جمعت باسم الإشارة (ذلكم)، والبلاء الاختبار والامتحان وتطلق على الخير والشر، وتنكيره لتعظيمه، و(من) ابتدائية، وإضافة لفظ الربوبية إلى ضمير أنفسهم تذكير لهم بالتحذير الشديد، ووصف البلاء بالعظيم لشدته.

وذكر في المجمع عن السبب في ذبح الأبناء واستحياء النساء: أن فرعون رأى في منامه كأن نارا أقبلت من بيت المقدس، حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها، وأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، فهاله ذلك، ودعا السحرة والكهنة والقافة، فسألهم عن رؤياه، فقالوا: إنه يولد في بني إسرائيل غلام، يكون على يده هلاكك، وزوال ملكك، وتبديل دينك، فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل، وجمع القوابل من أهل مملكته، فقال لهن: لا يسقط على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتل، ولا جارية إلا

تركت، ووكل بهن، فكن يفعلن ذلك، وأسرع الموت في مشيخة بني إسرائيل، فدخل رؤوس القبط على فرعون، فقالوا له: إن الموت قد وقع في بني إسرائيل، فتذبح صغارهم، ويموت كبارهم، فيوشك أن يقع العمل علينا، فأمر فرعون أن يذبحوا سنة، ويتركوا سنة، فولد هارون في السنة التي لا يذبحون فيها: فترك وولد موسى في السنة التي يذبحون فيها. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

قوله (وإذ فرقنا بكم البحر) ذكر امتنان آخر لذلك وقع العطف على قوله (وإذ نجيناكم)، والفرق الفصل بين الشيئين الملتحمين، والنون في الفعل فاعل، نون العظمة والكبرياء، والباء في (بكم) تفيد السببية، والخطاب لبني إسرائيل يذكرهم بنعمة إنجائهم من الغرق، وتعريف البحر للعهد الحضوري وهو البحر الذي كاد يدركهم فيه فرعون وجنوده.

قوله (فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون) الفاء للتفريع، والإنجاء التخليص، والإغراق إحاطة الماء بآل فرعون وإماتتهم غرقا.

قوله (وأنتم تنظرون) جملة حالية، أي: فعل ذلك بآل فرعون في حال من مشاهدتكم لهم لتطمئن نفوسكم من هلاكهم.

والآية تذكر بنعمة كبرى أسبغها الله على قوم موسى عليه السلام ولم يؤدوا حق شكرها، وهي فلق البحر وإنجاؤهم من الغرق إثر ملاحقة فرعون وجيشه

لهم وسط البحر الأحمر، فقد فصل الله تعالى بين الماء وأخرج يابسته بمجرد سلوك أرجلهم فيه، بينما أطبق على فرعون وجيشه وأغرقهم، وكان بنو اسرائيل شهودا على ذلك لتطمئن نفوسهم بهلاك فرعون.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ٥١ ﴾

قوله (وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة) تفيد (إذ) الظرفية الزمانية متضمنة معنى فعل التذكر لقوله تعالى (اذكروا نعمتي) كما تقدم وسيأتي أيضا في أسلوب قرآني فريد في تعداد النعم على بني إسرائيل وإلزامهم الحجة، والوعد والمواعدة دالة على المبالغة وفيها دلالة من الله على وعده بالميقات، وضمير النون في الفعل دال على العظمة، وقيل إن معنى موسى في القبطية مركب من مو وهو الماء، وسى وهو الشجر، قال الشيخ الطوسي في التبيان: وسمي به، لأن التابوت الذي كان فيه موسى وجد عند الماء والشجر، وجدنه جواري آسية امرأة فرعون، وقد خرجن ليغتسلن، فسمي بالمكان الذي وجد فيه، وهو موسى بن عمران بن يصمر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب إسرائيل الله. انتهى.

وامتن الله على بني إسرائيل فجعل لنبيهم موسى عليه السلام موعدا أربعين ليلة، كان من بركتها إنزال التوراة عليه، وفي سورة الأعراف ذكر أنها ثلاثون ليلة في قوله تعالى (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات

ربه أربعين ليلة) [الأعراف ١٤٢]، ولا تناقض لأن الأربعين هنا أريد بها مجموع المواعدتين، وعن الباقر ﷺ - في تفسير العياشي - قال: كان في العلم والتقدير ثلاثين ليلة ثم بدا منه فزاد عشرا فتم ميقات ربه الأول والآخر أربعين ليلة. انتهى. وذكر الليالي دون الأيام لأن ذكرها يدخل فيه اليوم.

قوله (ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون) تفيد (ثم) التراخي الرتبي لأن عبادتهم العجل حدثت وقت ميقات موسى بربه، واتخاذ العجل أريد به طلبهم إياه إلها للعبادة، والعجل ولد البقرة، و(من) زائدة للتأكيد والهاء في (بعده) راجع إلى غيبة موسى عنهم في ميقات الله، وجملة (وأنتم ظالمون) جملة حالية دالة على ملازمة الظلم لأنفسهم دائما.

والعجل من صنع السامري وكان حب عبادة البقر في نفسه، فلما قصد موسى إلى ربه، صهر الزينة التي استبد بها بنو إسرائيل من آل فرعون بعد إنجائهم من غرق البحر وعودتهم إلى مصر وقال لهم: هذا إلهكم وإله موسى، فعكفوا عليه وأحبوه حبا لم يحبوا مثله شيئا قط.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

قوله (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك) تفيد (ثم) العطف في التراخي الزمني، والعفو الصفح عن الذنب وأصله المحو والتعفية، ويتعدى بحرف الجر

(عن)، و(من) زائدة للتأكيد، واسم الإشارة لاستحضار قصتهم باتخاذ العجل.

قوله (لعلكم تشكرون) جملة تعليل، أي: رجاء أن تشكروا الله على عفوه عن ظلمكم، والشكر إظهار النعمة والاعتراف بها وتعظيمها.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾

قوله (وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان) أي: أعطى الله موسى التوراة التي بها تفصيل الشريعة وبيان أحكام الحلال والحرام، وتعريف الكتاب للعهد ويراد به المكتوب، والفرقان صفة مبالغة في التفريق بين الحق والباطل صفة للتوراة ولا تنافي في جمع صفتين لموصوف واحد مع احتراز اختلاف المعنيين.

قوله (لعلكم تهتدون) جملة غائية لإنزال التوراة على موسى وهي رجاء هدايتهم إلى طريق الصواب، والمراد بفعل الاهتداء معناه اللغوي وهو إصابة الطريق لا المعنى الاصطلاحي.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾

قوله (وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) قول موسى لقومه بمعنى بعد رجوعه من ميقات ربه، والمقصود بقومه: الذين عبدوا العجل لأنهم ليسوا كلهم فعلوا ذلك، وظلم النفس إلحاق الضرر بها، والباء في (باتخاذكم) للسببية، والمراد اتخاذكم العجل معبودا، والإخبار بظلمهم أنفسهم تمهيد للحكم بعده.

قوله (فتوبوا إلى بارئكم) أعقب الإخبار وجوب توبتهم إلى الله، والبارئ أخص من الخالق، قال في المجمع والبحر: والفرق بين البارئ والخالق: إن البارئ هو المبدئ المحدث، والخالق: هو المقدر الناقل من حال إلى حال. انتهى.

قوله (فاقتلوا أنفسكم) فرع على التوبة قتل أنفسهم قتلا حقيقيا، وذلك بأن يقتل البريء المجرم، وهي لا شك أشد عقوبة فجعلوا يقتل بعضهم بعضا حتى دعا موسى ربه بأن يرفع عنهم العقوبة فاستجاب له ربه، وروي أن موسى أمرهم أن يقوموا صفين، فاغتسلوا ولبسوا أكفانهم، وجاء هارون باثني عشر ألفا ممن لم يعبدوا العجل، ومعهم الشفار المرهفة، وكانوا يقتلونهم، فلما قتلوا سبعين ألفا تاب الله على الباقين، وجعل قتل الماضين شهادة لهم. كذا نقل في المجمع. انتهى. وقيل غير ذلك مما هو شبيه به.

قوله (ذلكم خير لكم عند بارئكم) اسم الإشارة للإشارة إلى التوبة مع القتل خير لهم من البقاء في الحياة على إثم اتخاذ العجل، وتكرار لفظ البارئ لتعظيم ما فعلوا مع خالقهم.

قوله (فتاب عليكم) الفاء للتعقيب، والمراد قبول الله لتوبتهم.

قوله (إنه هو التواب الرحيم) فصل الكلام تعليل لقبوله التوبة، وهو أنه تعالى كثير القبول لتوبة عباده مرة بعد مرة رحيم بهم، وكلتا الصفتين من صفات المبالغة التي تفيد التكثير، وحرف النسخ (إن) يفيد التأكيد وضمير الفصل وأل التعريف قصران والكلام كما يبدو في أشد التأكيدات.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾

قوله (وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك) أي: واذكر وقت قولهم كذا، والخطاب لليهود للإخبار عن أسلافهم، والمراد بالإيمان هنا التصديق بدلالة تعديته باللام، والمراد أنهم شكوا في موسى كونه نبيا مبعوثا بالتوراة حتى يتأكدوا بأنفسهم من الله فيسألونه ذلك، وهذا من شناعة سذاجتهم أن يصدر منهم هذا الكلام بعد كل تلك البينات والمعاجز.

قوله (حتى نرى الله جهرة) تفيد (حتى) معنى إلى، وفعل الرؤية أريد به الرؤية العيانية البصرية، والتصريح بلفظ الجلالة بالحكاية عنهم دال على اجترائهم على ربهم، والجهرة الظهور والإعلان، وهي مصدر نصبت على الحال.

قوله (فأخذتكم الصاعقة) تفريع على طلبهم، والأخذ استعارة بالكناية عن حلول العذاب فيهم فلا يفلتوا منه، والصاعقة نار تنزل من السماء وقد يراد بها إنزال العذاب أو الموت.

قوله (وأنتم تنظرون) جملة حالية أي: في حال من المشاهدة والرؤية، قال في المجمع: وإنما قرع الله سبحانه اليهود بسؤال أسلافهم الرؤية من حيث إنهم سلكوا طريقتهم في المخالفة للنبي الذي لزمهم اتباعه، والتصديق بجميع ما أتى به، فجروا على عادة أسلافهم الذين كانوا يسألون تارة نبيهم أن يجعل لهم إلها غير الله، ومرة يعبدون العجل من دون الله، وطورا يقولون: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

قوله (ثم بعثناكم من بعد موتكم) تفيد (ثم) التراخي الرتبي لأنهم لم يمكثوا طويلا في الموت، والبعث أصله الإرسال والمراد إحياؤهم بإعادة الحياة إليهم بعد أخذهم بالصاعقة وإماتتهم، و(من) زائدة لتقوية البعث، وقد كان إحياؤهم بدعوة من موسى إلى ربه خوف فتنة قومه بالاتهام بقتلهم.

قوله (لعلكم تشكرون) أي: رجاء شكر الله بإحيائكم بعد الموت، وفي الكلام رد على منكري المعاد من المشركين وإعادة الروح بعد الموت.

قوله تعالى ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

قوله (وظللنا عليكم الغمام) العطف بمعنى واذكر يوم كذا، والمراد جعل الله السحاب ظلة على بني إسرائيل يقيهم حر الشمس في صحراء التيه، والتظليل أصله الستر، وتضعيف فعله للتكثير، والغمام السحاب وسمي غماما لأنه يغم السماء أي يسترها.

قوله (وأنزلنا عليكم المن والسلوى) فعل الإنزال بمعنى التهيئة والتدبير والمن النعم التي من الله بها عليهم، والسلوى هو طائر السمان.

قوله (كلوا من طيبات ما رزقناكم) الأمر للإباحة بأكل هذا المباح اللذيذ، وتفيد (من) التبعيض، والرزق لفظ جامع لما ينتفع به.

قوله (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) الظلم أصله النقص، والمعنى أنهم بجحودهم أنعمنا ما ضرونا ولا نقصونا بل ظلموا أنفسهم وضروها.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾

قوله (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) تذكير آخر لهم بما فعل أسلاف اليهود، وتعريف القرية للعهد ويراد بها الأرض المقدسة.

قوله (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) الفاء للتعقيب، والأمر بالأكل للإباحة من التنعم بخيراتها، و(من) في (منها) للتبعيض، والهاء عائد إلى القرية، والظرف (حيث) بمعنى الإباحة من كل جهاتها، والرغد العيش الهانئ وهو مصدر نصب على الحالية.

قوله (وادخلوا الباب سجدا) أمر لهم بالدخول إلى بيت المقدس ساجدين، والمراد بالباب عتبة بيت المقدس، وانتصب لفظ السجود على الحالية إعظاما لبيت الله.

قوله (وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم) أي: وادعوا ربكم يحط عنكم خطاياكم، والحطة مصدر يراد به الإنشاء أي فعل الأمر حط، والحط الوضع والترك، وجزم فعل الغفران لأنه جواب الأمر قولوا، والخطايا جمع خطيئة وهي الذنوب، وفي الأثر الصحيح روي عن الباقر عليه السلام أنه قال: نحن باب حطتكم. نقل في تفسير العياشي والكوفي والطبرسي. انتهى.

قوله (وسنزيد المحسنين) أي: نزيدهم خيرا ومغفرة، والمحسن الفاعل للإحسان.

قوله تعالى ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

قوله (فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم) الفاء للتعقيب، لأن التبديل منهم كان في إثر الأمر، والتبديل التغيير، وأراد باسم الموصول وصلته بيان حال فعلهم الظالم حين لووا ألسنتهم فغير اللفظ من حطة إلى حنطة استخفافا منهم واستهزاء، والقول إشارة إلى اللفظ لأنه يلفظ باللسان، ومعنى (قيل لهم) اللفظ الذي أمروا أن يدعوا به.

قوله (فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء) الفاء للتفريع، والإنزال الإسقاط من علو، وتكرار (الذين ظلموا) لبيان علة عقابهم، والرجز العذاب، وقيل: إنهم أهلكوا بالطاعون، و(من) ابتدائية، والسماء كل عال يظل ما تحته.

قوله (بما كانوا يفسقون) الباء تفيد السببية، والمعنى بسبب فسقهم الملازم لهم، ودلالة مضي الكون بمعنى كانوا وما زالوا، والفسق أصله الخروج، ويراد به الخروج من العهد والإيمان.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾

قوله (وإذ استسقى موسى لقومه) إخبار آخر عما جرى لبني إسرائيل في صحراء التيه التي عوقبوا بها بسبب عصيانهم نبيهم في رفض قتال العمالقة ودخول بيت المقدس، والاستسقاء طلب السقي وهو الشراب دفعا للظمأ.

قوله (فقلنا اضرب بعصاك الحجر) الفاء للتعقيب، والباء في (بعصاك) للملابسة، والعصا من معاجز الله التي أيد بها نبوة موسى وقيل إن شعيبا أهداه إياها، وتعريف الحجر للعهد أي: حجرا معينا، فقد نقل في المجمع إنه: كان حجرا بعينه خفيفا، إذا رحلوا حمل في مخلاة، فإذا نزلوا ضربه موسى بعصاه فانفجر منه الماء. انتهى.

قوله (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) الفاء للتفريع، والانفجار كناية عن شدة خروج الماء من الأرض بانشقاق التربة، وخصوصية العدد لأنهم كانوا قبائل بعدد الأسباط، والعين مجاز يراد بها ينبوع الماء، وفي سورة الأعراف مكان فانفجرت (فانبجست) ولا تنافي في ذلك لأن الانبجاس أول الانفجار بمعنى أنه يكون أولا منبجسا ثم ينفجر.

قوله (قد علم كل أناس مشربهم) الفصل لأنه تعليل لعدد العيون أي: ليسهل عليهم الشرب من الماء من دون تدافع أو تزاحم، والأناس اسم جمع لا واحد له من لفظه، والمشرب مكان الشرب.

قوله (كلوا واشربوا من رزق الله) الفصل في الكلام لأنه استئناف، أي: قلنا لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا من هذا الماء، و(من) ابتدائية، ووصفه بأنه رزق الله تطييبا له وأنه يأتيهم من دون مشقة.

قوله (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) أي: لا تسعوا في الأرض فسادا، والعثي والعيث تقال في قصد فعل الفساد.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

قوله (وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد) تذكير بعد تذكير لليهود بأفعال آبائهم ونعم الله عليهم التي قابلوها بالجحد، أي: لا نستطيع حبس أنفسنا على لون واحد من الطعام نتغذى به، والصبر هو الحبس، وقد كانوا يأكلون المن والسلوى فجعلا شيئا واحدا لأن يؤكل كل يوم.

قوله (فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض) الفاء للتفريع، وفعل الدعوة بمعنى: اطلب يا موسى من ربك لأجلنا، والإخراج إظهار الشيء مما ستر ويراد به خروج النبات من داخل الأرض، و(من) في (مما) تفيد التبعيض، و(ما) مصدرية بمعنى من نبت الأرض، والإنبات إخراج النبات.

قوله (من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها) معنى (من) بيانية، والبقل كل نبات ليس له ساق، والقثاء البطيخ والفوم الحنطة، والعدس حب معروف، وكذا البصل، والهاءات فيها عائدة إلى الأرض.

قوله (قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) فاعل القول موسى، والاستفهام منه على سبيل إنكار طلبهم وتوبيخهم، والاستبدال طلب الإبدال، والذي هو أدنى ما طلبوه والذي هو خير ما رزقهم الله من المن والسلوى، ولفظ الأدنى بمعنى الأدون والأخس في الرتبة والطعم، وضمير الفصل (هو) للتأكيد، ولفظ الخير بمعنى الأفضل.

قوله (اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم) الهبوط التحدر، ومصر أريد به أن ما طلبتم إنما يكون في مصر من الأمصار لذلك نكرت، ولا يراد بها مصر فرعون البلدة المعروفة، والفاء في (فإن) للتفريع، ومعنى (لكم) أي تجدون، وسألتم: طلبتم من نبات الأرض.

قوله (وضربت عليهم الذلة والمسكنة) كناية عن لزوم الذلة بهم، ومعناها أن الذلة مشتملة عليهم محيطة بهم، كما أن القبة تحيط بمن فيها، وحرف الجر مجاز استعلائي، والذلة مهانة النفس والمسكنة البؤس وفقر القلب.

قوله (وباؤا بغضب من الله) البوء الرجوع، استعارة لانقلاب الحالة من الرضا إلى الغضب، والظرف من الجار والمجرور مقامه الحال، أي رجعوا متحملين غضب الله، والغضب حالة انفعال نفسي مجاز يراد به ما يترتب عليه من أثر السخط والإبعاد من رحمة الله.

قوله (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله) اسم الإشارة لتمييز الذلة والمسكنة المضروبة على اليهود، والباء في (بأنهم) للسبب، والمراد إن ذلك العقاب لمقابلتهم نعم الله بالكفران والجحود.

قوله (ويقتلون النبيين بغير الحق) علة ثانية للعقوبة الحالة بهم من الله وهي قتلهم أنبياء الله كيحيى وزكريا، والقيد (بغير حق) معناه قتلهم النبيين ظلما، ولا يعني أنهم قد يصح قتلهم بحق.

قوله (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) اسم الإشارة تأكيد لإحضار ضرب الإذلال عليهم، وسببه استمرار عصيانهم نبيهم واعتداؤهم بالقول والفعل.

وفي الآيات السابقة عد لنعم الله على أسلاف اليهود بأسلوب قرآني فبعد كل (إذ) معنى للظرفية الزمنية والسببية، وتكررت تسع مرات، كل نعمة فيها كفيلة بتعزيز الايمان في نفوسهم، ولكن العجب في اضطراب نفوسهم بجحودها، وفي الإجمال هي تاريخ لنعم الله عليهم قابله تاريخ من جحود بني إسرائيل مستمر لزمان بعثة النبي ﷺ.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

قوله (إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين) إخبار استئنافي لذلك فصل الكلام بتعداد هذه الفئات من المؤمنين من الأمم المنتظرين لمبعث النبي ﷺ كسلمان الفارسي وأبي ذر والنجاشي، واليهود أتباع موسى، والنصارى أتباع عيسى تسموا بذلك اتباعا للقب عيسى بالناصري،

والصابئة وهم أتباع يحيى اتخذوا دينا وسطا بين اليهودية والمجوس ويعبدون الكواكب وموطنهم بلاد ما بين النهرين.

قوله (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا) جملة الشرط وجوابها مقامها خبر (إن)، ومضمونها عماد الأديان، وجوابها قوله (فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) والأجر هو الثواب، و(عند ربهم): زيادة في التأكيد، ونفي الخوف والحزن عنهم لطمأنتهم يوم الفزع الأكبر يوم القيامة، والمراد بالإيمان بالله الإيمان بتوحيده وعدله وصفاته، واليوم الآخر إشارة إلى يوم القيامة، والعمل الصالح العمل بطاعات الله.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾

قوله (وإذ أخذنا ميثاقكم) رجوع بالكلام إلى خطاب اليهود بالإخبار عن أسلافهم لأخذ العبرة والتحذير من خيانة العهد، لذلك عطف بالكلام على ما سبق من البدء بالظرفية (وإذ)، وأخذ الميثاق كناية عن الوفاء بالعهد وهو عهد الفطرة بتوحيد الله، وفاعل الأخذ نون العظمة والكبرياء.

قوله (ورفعنا فوقكم الطور) ورفع الطور وهو جبل سيناء إشارة إلى غضب الله على بني إسرائيل حين رفضوا العمل بتوراة موسى وفضلوا عصيانه فنتق الجبل حتى أظل عسكرهم ولولا ذلك ما كانوا استجابوا لنبيهم، وتعريف الطور للعهد ويراد به جبل سيناء الذي تم فيه الميقات.

قوله (خذوا ما آتيناكم بقوة) فعل أمر الأخذ بمعنى تمسكوا واعملوا، والخطاب لبني إسرائيل، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة فعل الأخذ وهو تعظيم التوراة، والإتيان بمعنى الإعطاء، والباء للملابسة، والقوة كناية عن الجد واليقين، وسئل الصادق عليه السلام عن معنى القوة: أقوة في الأبدان أم قوة في القلوب؟ فقال: فيهما جميعا. نقله العياشي في تفسيره. انتهى.

قوله (واذكروا ما فيه) أي: احفظوا تعاليم التوراة من حلالها وحرامها ولا تنسوها، والتذكر يراد به الحفظ ونفي الغفلة، والهاء في (فيه) عائد إلى التوراة المفهومة من ضمير الموصول في (ما آتياكم).

قوله (لعلكم تتقون) أي: ليحملكم ذلك التذكر على اتقاء غضبي وعقابي.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

قوله (ثم توليتم من بعد ذلك) تفيد (ثم) التراخي الزمني، وفعل التولي كناية عن الإعراض ونبذ العهد الذي أخذه الله عليهم والمراد اتخاذهم العجل معبودا.

قوله (فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين) الفاء للسبب، وفضل الله إشارة إلى تفضله سبحانه عليهم بقبول التوبة، ولفظ الخاسرين استعارة من ضياع رأس المال.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾

قوله (ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت) تذكير آخر لليهود بما فعله أسلافهم بطريقة العطف، والتأكيد باللام المشعرة بالقسم وحرف التحقيق لأهمية الإخبار، ومعنى علمتم عرفتم، والاعتداء تجاوز ما أمروا به من ترك الصيد يوم السبت، فكان الحيتان تجتمع يوم الأحد طلبا للأمن، فاحتالوا وحبسوها السبت وأخذوها الأحد.

قوله (فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين) الفاء للتفريع على اعتدائهم، والأمر التكويني بنسخهم قردة يدل على سرعة العقاب، والخاسئ الذليل، فبقوا على ذلك الحال يتعاوون بلا أكل وشرب حتى أهلكهم الله، وفي هذه الإخبارات عن أسلاف اليهود تحذير لهم وتثبيت لقلب النبي ﷺ وتطييب لنفسه.

قوله تعالى ﴿ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

قوله (فجعلناها نكالا) أي: جعلناهم عبرة لمن اعتبر، والفاء للتفريع، والهاء في فعل الجعل إشارة إلى الأمة التي مسخت وهم أهل إيلة قرية على شاطئ البحر، والنكال أصله المنع، وهو إرهاب الغير بالعقوبة.

قوله (لما بين يديها) كناية عن الأمم التي تراها، وقوله (وما خلفها) كناية عن الأمم التي بعدها.

وقوله (وموعظة للمتقين) معطوفة على فعل الجعل، والموعظة أصلها التخويف، وكونها للمتقين لأنهم الأجدر بالانتفاع بها.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

قوله (وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) الواو لعطف قصة على أخرى، وهي أن ابنا من أشرافهم قتل نفسا بريئة فأحبوا أن يداروا على الجريمة بحجة أن القاتل مجهول فأمرهم الله أن يذبحوا بقرة ويضربوا ببعضها فيخبرهم المقتول بالقاتل فسوفوا وماطلوا مستهزئين، وإنما قدم وسط القصة وأخر بعضها تقديما للأهم لتقريعهم وبيان استخفافهم. والبقرة من البقر وهو الشق سميت بذلك لأنها كانت تستعمل لكراب الأرض وحراثتها في الزراعة.

قوله (قالوا أتتخذنا هزوا) الاستفهام حكاية عن إنكارهم، والهزء اللعب ويراد به الاستخفاف، وإنما قالوا ذلك لأنهم لا يتبينون العلاقة بين ذبح البقرة وجريمة القتل، وهذا من تكبر نفوسهم على طاعة الله وطاعة رسوله،

فهم يستبعدون المعجزة على الرغم من كثرة ما رأوا مثلها طيلة بعثة موسى إليهم.

قوله (قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) الاستعاذة اللجوء إلى الله، وذكر الجهل لأن الهزء شكل من أشكاله وضرب من تغييب العقل، وهما أمران لا ينطبقان على حال النبي المعصوم لذلك تعوذ منه موسى، وهذا يدل على عجرفة قومه وجهلهم بمعرفة نبيهم.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكۡرٌ عَوَانُۢ بَيۡنَ ذَٰلِكَۖ فَٱفۡعَلُواْ مَا تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

قوله (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) أمر الدعوة بمعنى الطلب، و(لنا) بمعنى لأجلنا، والتبيين التوضيح وسؤالهم عن الماهية تسويف لا مسوغ له لأن الطلب بذبح البقرة واضح لا يحتاج تبيينا وحاشا لله ونبيه أن يطلبوا أمرا ليس مفهوما وإنما هي أنفسهم المتطاولة على الله التي حكاها التعبير القرآني عنهم فهم في كل مرة يقولون (ادع لنا ربك) وليس ربنا دليل غرورهم الزائف واستعلاء نفوسهم المريضة، وكان الله تعالى في كل سؤال تشديد منهم يضيق عليهم في الصفات المطلوبة لذبح البقرة ويعلمون أن في تسويف التنفيذ عقابا مهينا لهم.

قوله (قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر) أي: بقرة لا كبيرة مسنة، ولا بكر صغيرة.

قوله (عوان بين ذلك) أي: وسط دون المسنة وفوق الصغيرة، والعوان كما قال الفراء: يقال من العوان عونت المرأة تعوينا: إذا بلغت ثلاثين سنة، ومنه قيل للحرب عوان: إذا لم يكن أول حرب بين القوم وكانوا قد قاتلوا قبله. انتهى. و(بين ذلك): ظرف مبني للإشارة إلى المصدر وهما الفروض والبكارة.

قوله (فافعلوا ما تؤمرون) الفاء للتفريع، والمعنى استجيبوا لأمر الله بذبح البقرة.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ٦٩ ﴾

قوله (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) أعادوا على موسى طريقتهم في المماطلة، فسألوا عن صفة في البقرة لم تطلب، وهي لونها.

قوله (قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين) أي: بقرة شديدة الصفرة حتى قرنها وظلفها أصفر، يدخل منظرها السرور على الرائي، والفقع صفة للصفرة، فيقال أصفر فاقع وأخضر ناضر، وأحمر قانيء أو أحمر ناصع، وأبيض يقق، وأسود حالك، وجملة (تسر الناظرين) محلها الصفة للبقرة.

قوله تعالى ﴿ قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠ ﴾

قوله (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) رجعوا إلى جدالهم في التسويف وهذه المرة سألوا عن صفتها، وعللوا إعادة السؤال فقال تعالى بالحكاية عنهم (إن البقر تشابه علينا) محتجين تشابه شكل البقر، وفي تغليب صيغة التذكير لـ (تشابه) فلم يقل: تشابهت، قال الشيخ الطوسي في التبيان: وأهل الحجاز يؤنثون البقر، فيقولون: هذه بقر وكذلك النخل، وكل جمع كان واحده بالهاء، وجمعه بطرح الهاء فإنهم يؤنثون ذلك، وربما ذكروا ذلك قال الله تعالى (كأنهم اعجاز نخل خاوية) - بالتأنيث - وفي موضع آخر (كأنهم اعجاز نخل منقعر) والأغلب عليهم التأنيث، وأهل نجد يذكرون وربما انثوا، والتذكير الغالب، فمن ذكر نصب الهاء من (تشابه) يعني التبس واشتبه، ومن أنث رفع الهاء لأنه يريد يتشابه علينا. انتهى.

قوله (وإنا إن شاء الله لمهتدون) أي: لمهتدون إلى معرفة البقرة المطلوبة لذبحها، وعلقوا أمرهم على مشيئة الله، لأنهم موحدون كما هو معروف.

قوله تعالى ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ٧١ ﴾

قوله (قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث) أضيفت قيود أخرى على صفة البقرة بسبب تشديد بني إسرائيل في السؤال عن صفات لم تطلب عنها، والمراد بنفي أن تكون البقرة ذلولا تثير الأرض بمعنى أنها غير مستعملة في كراب الأرض وحراثتها ولا محمول عليها في سقي الزرع، والحرث مصدر يراد به الأرض المحروثة للازدراع.

قوله (مسلمة) أي: هي مسلمة، بمعنى: لا عيب فيها.

قوله (لا شية فيها) بمعنى: لا وضح فيها يخالف لونها الأصفر، والشية مصدر أصله الوشي للثوب وهو تلوينه، ويقال للساعي بالكذب واش لتزويقه كذبه بالأباطيل.

قوله (قالوا الآن جئت بالحق) لفظ الآن ظرف مبني لتضمنه معنى الحرف، والتعبير بخطاب موسى بمجيء الحق مجاز استعاري لنطقه الصواب، والباء للملابسة، وفي كلامهم دلالة على شكهم بموسى، وأنه لم يأت بالحق قبل ذلك، وما ذاك إلا لتعنتهم وكبريائهم الزائف واضطراب نفوسهم.

قوله (فذبحوها) الفاء للتفريع على إقرارهم بالحق، والذبح فري أوداج البقرة، وقيل في التفاسير: إنهم وجدوها عند فتى من بني إسرائيل قال لهم: لا أبيعها إلا بملء مسكها ذهبا.

قوله (وما كادوا يفعلون) جملة حالية تدل على ضعف امتثال بني إسرائيل لأوامر الله ونبيه، وكاد من أفعال المقاربة، ونفيها بمعنى أن امتثالهم لذبح البقرة أجبروا عليه بحيث أنهم كادوا أن لا يفعلوا بعد طول المماطلة.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾

قوله (وإذ قتلتم نفسا) حق السياق أن تكون الآية في بداية القصة، ولكن القرآن ليس كتاب قصص بقدر كونه كتاب شريعة ووعظ واعتبار، لذلك كان التقديم لمعاني تعنت بني إسرائيل هو الأهم مراعاة لسياق الآيات السابقة المصورة لعجرفتهم واستعلائهم على طاعة الله ورسوله، والعطف حقه أن يكون على ما سبق من البدء بقصصهم المفتتحة بالظرفية الزمانية (إذ)، أو بمعنى التأويل فيكون قوله (وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها) فسألتم موسى فقال لكم: (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة).

ونسبة فعل القتل إلى جميعهم مع أن القاتل واحد لرضاهم عن هذا الفعل، وتنكير النفس للتعظيم، لأن أمر إزهاقها بغير حق شيء عظيم في الشرائع كلها.

قوله (فادرأتم فيها) الفاء لترتيب الكلام وتعقيبه لأنهم أرادوا بعد أمر القتل دفعه عن القاتل وتمييع أمره، والدرء أصله الدفع، أي: كل واحد دفع القتل عن نفسه، وادارأتم مدغم أصله: تدارأتم، ومعناه اختلفتم، و(فيها) متضمنة الظرفية الزمانية، وضمير الغائب عائد على النفس.

قوله (والله مخرج ما كنتم تكتمون) أي: والله مظهر ما كنتم تسرون من أمر القتل، وفي الكلام التفات من الغيبة إلى خطاب اليهود زمن النبي ﷺ على

سبيل الإدماج، لأنه متضمن معنى أن الله مظهر ما كتموا من إظهار حق النبي ﷺ بأنه نبي آخر الزمان وأفضلهم، ولذلك استعمل اسم الفاعل (مخرج) بمعنى المضي وبمعنى الحاضر، ودلالة الحضور في (تكتمون) الاستمرار.

قوله تعالى ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

قوله (فقلنا اضربوه ببعضها) الفاء للتعقيب، والهاء في فعل الضرب بمعنى: اضربوا القتيل ببعض البقرة المذبوحة.

قوله (كذلك يحيي الله الموتى) التشبيه بمعنى: بمثل تلك الهيأة، لإحضار الحالة في الذهن، والمراد: الإفادة من نتيجة القصة، لإثبات بعث الموتى يوم القيامة، وفيه رد على منكري المعاد من المشركين، وبعض اليهود ممن انحرفت اعتقاداتهم.

قوله (ويريكم آياته) الخطاب لليهود والمراد به الرد على مشركي قريش المنكرين للمعاد، والإراءة يراد بها الرؤية البصرية، والآيات دلائل توحيد الله ومعجزاته، قال في المجمع: الصانع عز اسمه، وإن كان قادرا على إحيائه من دون ذلك، فإنما أمرهم بذلك، لأنهم سألوا موسى أن يبين لهم حال القتيل، وهم كانوا يعدون القربان من أعظم القربات، وكانوا جعلوا له بيتا على حدة لا يدخله إلا خيارهم، فأمرهم الله بتقديم هذه القربة تعليما منه لكل

من اعتاص عليه أمر من الأمور أن يقدم نوعا من القرب، قبل أن يسأل الله تعالى كشف ذلك عنه، ليكون أقرب إلى الإجابة. انتهى.

قوله (لعلكم تعقلون) أي: رجاء أن تستعملوا عقولكم في تمييز الحق من الباطل، واستعمال الرجاء بدلا من التعليل لما انطوت عليه نفوسهم من تشكيك مستحكم.

واتخذت قصة ذبح البقرة اسما للسورة الكريمة، وهي تعد واحدة من العناد المستحكم ببني إسرائيل وكثرة الجدال واللجاجة فيما يؤمرون به، ومع أن ذبح البقرة أمر يسير اتباعا لأوامر نبيهم موسى عليه السلام كسبيل لكشف الجريمة المتمثلة بقتل النفس المحترمة إلا أنهم رغم ذلك لجوا وعقدوا الأمر على أنفسهم، بكثرة مماطلتهم فيما سألوا من تفصيلات صفات البقرة خفة واستهزاء، وتأخير قصة ذكر القتيل (وإذ قتلتم نفسا) وتقديم قصة ذبح البقرة يراد به زيادة في التقريع والتوبيخ بإفراده مخصوصا.

وللبقرة رمزية مؤثرة في فلسفة المصريين القدماء فقد ارتبطت بهم مذ أن اكتشف الإنسان المصري القديم الزراعة، لذلك مالوا إلى البقرة وعدوها مصدر غذائهم وحنو الطبيعة عليهم، فقدسوها، وسموها بقرة السماء، ودخلت في أساطيرهم، لذلك يعد المصريون القدماء أول من اخترع عبادة البقر، وتركوها بعد ذلك، ومنهم أخذها الهندوس وما زالوا إلى هذا اليوم، والسامري أيقظ في بني إسرائيل عبادة البقر فصنع لهم عجلا (ابن البقرة) اتخذوه الها منطلقا من هذه الفكرة، وإلا لماذا العجل على وجه التحديد؟

لهذا، ولعلة ما، أمر الله تعالى موسى عليه السلام بذبح بقرة دون غيرها من الحيوانات قتلا لما قد تنطوي عليه النفوس المضطربة من قومه من الاعتقادات الفاسدة، وهي مثلما مثلت بؤرة قصة يوسف عليه السلام، في الرؤيا التي تكررت في منام ملك مصر والبقرات السبع، تكررت رمزيتها في بني إسرائيل زمن موسى عليه السلام.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾

قوله (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك) تفيد (ثم) التراخي الزمني لأن تلك المعاجز موجبة لترقيق القلب بعد ذلك الوقت لا قساوتها، ولفظ القسوة أصله الصلابة ويعني ذهاب اللين من القلب، و(من) زائدة للتقوية، و(ذلك) للإشارة إلى معجزة إحياء القتيل وغيرها من المعجزات السابقة.

قوله (فهي كالحجارة أو أشد قسوة) تسمى الفاء بالفصيحة، وتشبيههم بالحجارة بجامع المنع والسد من انسراب ما يرققها، فالحجارة لتماسك أجزائها لا تسمح بنفوذ الماء إليها فتلين مثلما قلوب اليهود لقساوتها لا تؤثر فيها المواعظ والمعجزات فتهتدي وتلين منساقة إلى الطاعة، ويفيد الترديد

(أو أشد قسوة) التفصيل في تصوير زيادة قسوة القلوب من دون نقض الأولى بل تزيد عليها بعد المساواة.

قوله (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار) الواو تفيد التفسير لمعنى الزيادة في شدة قسوة قلوب اليهود بعد مساواتها بالحجارة، فتوضح أن من الحجارة ما يفجره الماء، وتفيد (من) التبعيض، واللام في (لما) واقعة في خبر (إن)، و(ما) موصولية، والتفجر التشقق، والأنهار جمع نهر وهي أمكنة المياه، وتفجرها للمبالغة.

قوله (وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء) تفسير ثان وترق في ترقيق الحجارة بظهور ينبوع الماء منها، والفعل يشقق أصله: يتشقق.

قوله (وإن منها لما يهبط من خشية الله) تفسير ثالث وترق أعلى بإنزال الحجارة منزلة العقلاء في الخشية من الله تعالى، والهبوط مجاز في السقوط للسجود لله، والخشية زيادة في توصيف الحجارة بالخوف الاعتقادي تصويرا لها بالعقلاء مجازا.

قوله (وما الله بغافل عما تعملون) النفي بـ (ما) والباء الزائدة لتأكيد نفي ترك الله تعالى للجاحدين الظالمين، والغفلة يراد بها النسيان والترك، والخطاب لعموم اليهود زمن النبي ﷺ.

وفي الآية تصوير حسي لقساوة القلوب المريضة المنطوية على مجافاة الحقائق ومعاداة أهل الحق، وهي نتيجة حتمية لقوم موسى عليه السلام، لذلك جاءت هذا الصورة في نهاية سرد تاريخي لعنادهم واضطرابهم في قبول الحق

بأسلوب تشبيهي مفصل متدرج في صورة الشي الجامد الذي لا يطاوع الخير ولا ينفعل معه، فشبهت القلوب القاسية بالحجر الجامد الذي يزيده الماء صلابة فلا يسمح بتغلغل الماء داخله فيتفطر أو يلين ويتشقق، كبعض الأحجار، فهم في قساوة وخشونة طباعهم أعلى درجة من الحجر أو أعلى منه في الشدة كالحديد، لأن من الحجارة ما يتشقق بفعل الماء، ومنها ما يهوي خشية من الله وهو مجاز يفيد معنى الانقياد الى أوامر الله تعالى.

في دلالة الفعل (يتفجر) الكثرة والسعة المناسبة لحالة الأنهار التي تشقق الأحجار، بينما دلالة الفعل السابق (انفجرت منه اثنتا عشرة عينا) توحي بالمطاوعة والسيطرة المنظمة لعيون الماء الاثنتي عشر الصالحة للشرب والري، وهي مطاوعة مناسبة لدلالة (عين الماء) التي هي أقل من سعة (النهر) وكثرته.

قوله تعالى ﴿ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾

قوله (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم) همزة الاستفهام تفيد الإنكار، والفاء تفيد التفريع على ما سبق من ذكر جحود بني إسرائيل لنعم الله ومننه عليهم، والطمع رغبة النفس فيما ينفعها، وخطاب الجمع في فعله لأمة النبي ﷺ، وتعدية فعل الإيمان باللام بمعنى الإيمان التصديقي، أي: يصدقوكم.

قوله (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) الواو للحال، والمراد بالفريق الجماعة من أسلافهم يسمعون كلام الله ثم يغيرونه لفظا او مدلولا.

قوله (ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، والتحريف التغيير، و(من) لتقوية معنى التحريف بمجرد سماعه، ومعنى العقل الفهم، أي: عملوه عن تقصد بدليل أنهم سمعوه وفهموه ثم حرفوه.

قوله (وهم يعلمون) جملة حالية، أي: عملوا التحريف في حال من العلم بما يفعلون، وهذا الخطاب في الآية يمثل خلاصة التجربة الماضية لتلك الأمة وأخذ العبر منها، فالافتتاح بالاستفهام الإنكاري يفيد اليأس من اعتدال هؤلاء القوم لامتداد السيرة ذاتها التي فصلتها الآيات السابقة مع النبي محمد ﷺ، ولا سيما في أسوأ ما عرفوا به وهو التحريف فيما علموا.

وبدءا من هذه الآية الكريمة سنجد حديثا آخر عن بني إسرائيل (اليهود)، لأنه سينتقل بالكلام من تاريخهم الحافل بالجحود والنفاق إلى الكلام عن حاضرهم وامتدادهم السيء مع النبي الجديد ﷺ، وكأن ما سبق من ذكر قصص أسلافهم تمهيد للكلام عن سيرتهم المتلونة مع النبي ﷺ.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

قوله (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أي: إذا التقى اليهود بالمؤمنين وجها لوجه للكلام وتبادل التحية أعربوا لهم عن تصديقهم بنبوة محمد ﷺ.

قوله (وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا) أي: وإذا اختلى اليهود بعضهم ببعض، والمراد بعض أحبارهم المتعنتين.

قوله (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم) أي: ينكرون على أقرانهم من قومهم أن يقروا المؤمنين على صدق نبوة النبي ﷺ بتأييده بما في التوراة من التبشير به، وأريد بفعل الفتح استعارة ما استغلق من العلوم على غيرهم، وهو علم التوراة ومنه التبشير بصدق النبوة، والنهي منهم عجيب يدل على جهل منهم، لأنهم عدوا إخبار المسلمين بتصديق التوراة بنبوة محمد ﷺ حجة يحتج بها عند الله ضدهم، وكأن في كتمانها كتمانا عن علم الله بها، وأنها أفضل من إعلانها، لأن بإعلانها يتحصل العلم بها عند الله.

قوله (أفلا تعقلون) الاستفهام الإنكاري والتفريع من تمام كلام أحبار اليهود لأقرانهم، والنفاق من أسوأ الصفات التي تلبست شخوصهم به زمن النبوة وما بعدها، وقد دل عليه قوله تعالى (وإذا لقوا الذين آمنوا)، وزيادة في ضلالهم كانوا يمارسون نوعا من التدليس بالنهي عن إخبار الناس ببشارة النبي محمد ﷺ في توراتهم وما علموا من أحبارهم وعلمائهم خشية أن يكون حجة دامغة في إثبات النبوة الجديدة، فهم مارسوا دورين سيئين: الأول النفاق مع الذين آمنوا، والضغط مع غير المؤمنين من الأحبار بعدم

الحديث فيما ينفع في البشارة بنبوة محمد ﷺ وغيرها، والاستفهام في (أتحدثونهم) مجازي انكاري للمعنى الذي ذكرناه.

قوله تعالى ﴿ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٧ ﴾

الاستفهام انكاري يراد به التقريع والتوبيخ، لأنهم يعلمون جيدا أن الله عالم بحالتيهم المتناقضة، التي صورها أسلوب المقابلة، النفاق بإظهار الايمان، وما أسروا من سوء الاعتقاد.

قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨ ﴾

قوله (ومنهم أميون) أي: من اليهود زمن النبي ﷺ صنف من الأميين الجهلاء الذين لا يحسنون الكتابة فلا دراية لهم ولا فهم.

قوله (لا يعلمون الكتاب إلا أماني) جملة وصفية للأميين، أي: لا يفقهون ما في علوم التوراة إلا ما تمنيهم أنفسهم من أنهم لا يحاسبون وأن أنبياءهم تشفع لهم، نحو ما حكي عنهم في قوله تعالى (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات) [آل عمران ٢٤]، وقوله (نحن أبناء الله وأحباؤه) [المائدة ١٨].

وأسلوب الاستثناء صيغ بأسلوب الذم بما يشبه المدح للمفاجأة والمبالغة، فقد نفى عنهم العلم بالكتاب ثم استدرك على النفي بما أكد عليهم من ذم الأماني.

قوله (وإن هم إلا يظنون) الجملة تأكيد للتي قبلها معناها: أنهم يرجمون بالغيب ويهرفون بما لا يعرفون، فيختلقون ما ليس موجودا في التوراة تأكيدا لجهلهم، وفي الآية دلالة على وجوب الفهم للدين ونبذ التقليد الأعمى لمعاني الكتاب وينبغي التعويل على فهمه من دون الاتكاء على مجرد تلاوته وحفظه.

وفي الآية تصوير لفئة جاهلة تدعي العلم، معتدة بنفسها، مبلغ علمهم الأماني والظن والتقليد الأعمى، وصفتها الآية الكريمة بأنهم (أميون) فمجرد اعتقادهم بمطالعة التوراة (الكتاب) منوا أنفسهم بأنهم الأمة المختارة التي لا تدخل النار، وإذا دخلته فلأيام معدودة كون آبائهم من الأنبياء سيشفعون لهم كما يزعم لهم أحبارهم، وبناء الجملتين بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء كفل حصر الجهل بهم، ونفي ما اعتقدوا من ضلال في الفكر والاعتقاد بأنهم مميزون معفو عنهم دائما.

قوله تعالى ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾

قوله (فويل) الفاء للتفريع، وارتفع على أساس ثبوته ولزومه، والويل كلمة دعاء بالويل والثبور والهلاك، وقيل إنها واد في جهنم، وقوله (للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) جملة المدعو عليهم، وهم الكاذبون المحرفون لآيات الله،

المُدّعون ما ليس لهم، وأريد بلفظ الكتاب ادعاء الآيات في التوراة، وذكر الأيدي تأكيد للاستقصاء.

قوله (ثم يقولون هذا من عند الله) تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، وقولهم إشارة إلى ادعائهم وتخرصهم بأن ما كتبوه نازل من الله في التوراة وليس محرفا منهم، ولفظ الإشارة عائد إلى ما في الكتاب مما حرفوا وبدلوا.

قوله (ليشتروا به ثمنا قليلا) جملة تعليل، توضح غرضهم من اجترائهم على الله الكذب، وهو الكسب القليل، وفعل الاشتراء استعارة بالكناية عن البيع لجني الربح الذي مهما كثر فإنه قليل لأن الحياة فانية، والباء في (به) للسبب، والهاء راجع إلى ما حرفوا في الكتاب، ولفظ الثمن مجاز عن البيع الذي قبضوا به الثمن.

قوله (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) الفاء تفريع بعد تفريع، وتكررت ثلاث مرات لشناعة فعل الافتراء على الله، في الأولى دعاء عليهم جميعا بالويل ثم فصل بالويل للتفظيع، فرتب على ادعائهم الكاذب حين أقدمت أياديهم على الافتراء بتحريف آيات التوراة، ثم دعي عليهم بما قبضت أيديهم من كسب غير مشروع، وقد كانوا حرفوا صفة النبي المكتوبة في التوراة فغيروا من صفاته المثبتة إيهاما للناس وصدا للملتحقين به.

ولا ريب في أن ذلك التحريف يكون من كبرائهم، فإذا كانت هذه صورة أحبارهم من أهل العلم، صورة التحريف والتدليس فكيف بأتباعهم؟ وقوله

(يكتبون الكتاب بأيديهم) زيادة في التأكيد لأن الكتاب يكتب باليد في العادة، ولأن فعلهم غاية في الجرأة على الله تعالى، تكررت صورة التأكيد مرتين (كتبت أيديهم) حجة عليهم، مثلما تكرر الدعاء عليهم بالويل ثلاث مرات في دلالة على غضب الله عليهم، فويل في إقدامهم بدءا، وويل فيما فعلوا، وويل فيما كسبوا.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً ۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓ ۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ ﴾

قوله (وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة) وقول اليهود هذا من جملة الأماني التي يحدثون بها أنفسهم، وفي مضمون زعمهم إباحة بما لا يحل لغيرهم على أساس أنهم إن عوقبوا فلن يخلدوا في النار بل تمسهم مسا طفيفا لأيام قليلة، والمس أخص في القرب والإصابة من اللمس، وتعريف النار للعهد يراد بها نار يوم الحساب، وكون الأيام معدودة بمعنى أنها قليلة، لأن كل ما يعد فهو قليل، وإنما الذي لا يعد يقال عنه: لا يحصى، ولذلك قال تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) [إبراهيم ٣٤].

قوله (قل) أمر القول تلقين من الله لنبيه في الرد على زعمهم، لأنهم ليسوا بأهل لأن يكلمهم الله تعالى.

قوله (أتخذتم عند الله عهدا) الهمزة للاستفهام الإنكاري، والعهد إشارة إلى الموثق والوعد بألا يدخلهم النار، وتنكير العهد للنوعية، أي: اتخذتم عند الله عهدا خصكم به من دون الأمم.

قوله (فلن يخلف الله عهده) تفريع على ما سبقه من اليقين بنفي خلف الله لعهده المزعوم معهم.

قوله (أم تقولون على الله ما لا تعلمون) تفيد (أم) المعادلة بمعنى أنتم على أي الحالتين أتقولون على الله ما تعلمون أم تقولون عليه ما لا تعلمون، والمراد إثبات افترائهم على الله الكذب بهذا الادعاء، وزعمهم بنفي مساس النار لهم من أباطيل أحبارهم، وقد أغلقت الآية خيارات هذا الزعم بأسلوب تفصيلي منطقي بأسلوب انكاري (أتخذتم) فهم أما محقون أخذوا عهدا من الله بذلك وهذا ما كذبته الآية الشريفة أو أنهم يفترون ويدعون ما ليس لهم ويتقولون على الله تعالى، وكلاهما مذموم غاية الذم.

قوله تعالى ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

قوله (بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته) تفيد (بلى) جواب نفي اليهود في قوله تعالى (لن تمسنا النار) بمعنى: ليس الأمر كما قالوا، وتستعمل بلى في جواب النفي بينما تستعمل نعم في جواب الإيجاب، قال الفراء في معانيه: إنما امتنعوا من استعمال نعم في جواب الجحد، لأنه إذا

قال لغيره مالك علي شيء فقال له نعم، فكأنه قد صدقه، وكأنه قال نعم ليس لي عليك شيء، فلهذا اختلف نعم وبلى. انتهى.

والكسب تقال فيما ينفع وفيما يضر، والسيئة صفة لموصوف محذوف تقديره: العمل السيء، وتنكير اللفظ لنكارتها وتهويلها، يراد بها الشرك الموجب للنار، وفعل الإحاطة استعارة من تمكن الشرك من نفس المسيء وتلازمه له، كما يحاط بالعدو فلا يفلت، والتغاير بين السيئة والخطيئة تفنن بياني.

قوله (فأولئك أصحاب النار) الفاء واقعة في جواب (من)، واسم الإشارة للتمييز، والمراد بلفظ الأصحاب شدة الملازمة للنار بالبقاء فيها، وتعريف النار لأنها يراد بها نار العذاب في يوم القيامة.

قوله (هم فيها خالدون) فصل الكلام لكمال الاتصال مع ما قبلها، فكأنها معطوفة بغير عطف فالضمير (هم) رابط بين الجملتين حل محل حرف العطف مثل قوله تعالى (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) وقال (سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم)، قال في المجمع: فحذفت الواو من قوله رابعهم وسادسهم استغناء عنها بما في الجملة من ذكر ما في الأول، لأن الحرف يدل على الاتصال، وما في الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال أيضا، فاستغنى به عنه. انتهى.

وقال الزمخشري في الواو الداخلة على الجملة الثالثة أعني قوله تعالى: (وثامنهم كلبهم) دون الأولين: هي الواو التي تدخل على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك: جاءني رجل ومعه آخر، ومررت بزيد وفي يده سيف، ومنه قوله عز وعلا (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم)، وفائدتها توكيد لصوق الصفة بالموصوف، والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت مستقر، وهذه الواو هي التي آذنت بأن الذين قالوا (سبعة وثامنهم كلبهم) قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس، ولم يرجموا بالظن كما غيرهم. انتهى.

أقول: وقد اختلف علماء النحو في ذلك وليس هذا محل ذكر اختلافهم، ولمن يرغب بالاستزادة يرجع إلى مطولات آرائهم كالبحر المحيط وغيره.

قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾

قوله (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي: المؤمنون الموحدون الصادقون بدليل اقتران الإيمان بالعمل، ولفظ الصالحات صفة لموصوف تقديره: الأعمال الصالحات.

قوله (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) أي: الملازمون للجنة المستحقون للبقاء فيها، وسياق ذكر الآية يكمن في مقابلة أهل الشرك وعواقبهم الشقية بالوعد لأهل الإيمان وعاقبتهم السعيدة.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾

قوله (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل) العطف عود بالكلام إلى ذكر بني إسرائيل، والظرف متعلق بفعل محذوف تقديره: واذكروا، وأخذ الميثاق كناية عن إعطاء العهد بأشد قول وموثق، فيكون إعطاء الميثاق من جهة بني إسرائيل بالعقل والشرع فيؤول إلى معنى أمرنا ووصينا لأنه بالقول.

قوله (لا تعبدون إلا الله) فصل الجملة لأنه مضمون أول الميثاق، وهو تفرد الله بالعبادة، لذلك أورد بأشد التأكيدات بالقصر بالنفي والاستثناء، وهو جملة ظاهرها الخبر ومضمونها الأمر بمعنى: اعبدوا الله وحده، ومعناه المبالغة في الامتثال للأمر إلى حد الإخبار عنه.

قوله (وبالوالدين احسانا) العطف لأنه ثاني المواثيق، وهو الأمر بالإحسان إلى الوالدين بأسلوب الأمر بالمصدر النائب عن فعله، ويكون بطاعتهما والتذلل لهما والتحنن عليهما، ولشرف الوالدين كثيرا ما يرد مقام الطاعة لهما مقترنا بعد الأمر بطاعة الله نحو قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) [النساء: ٣٦]، وقوله (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) [الإسراء: ٢٣].

قوله (وذي القربى واليتامى والمساكين) أي: وأوصينا بصلة ذي القربى من الرحم ومساعدتهم بإخراج ما توجبه الشريعة من إنفاق، وكذا الإيصاء باليتامى وهم الذين فقدوا آباءهم إلى أن يبلغوا، والمساكين الذين أسكنهم العوز عن الحركة وهم في الفقر أشد من الفقراء.

قوله (وقولوا للناس حسنا) العدول في الكلام من الغيبة إلى خطاب الحضور لأن المخبر عنه والمخاطب واحد لم يتغير، ومثل هذا التحويل من الإخبار إلى الخطاب كثير في الشعر نحو قول كثير مخاطبا عزة:

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت

والأمر بالقول بالحسن لفظ جامع لمعاني الخير والرفق والخلق الكريم في التواصل مع الناس وجميل معاملتهم، وهي من جميل المظاهر الاجتماعية في تحقيق الألفة بين أفراد المجتمع، وفي المعاني روي عن الباقر عليه السلام في الآية قوله: قولوا للناس أحسن ما تحبون أن يقال لكم، فإن الله يبغض اللعّان السبّاب الطعّان على المؤمنين، الفاحش المتفحش السائل الملحف، ويحب الحليم العفيف المتعفف. انتهى.

قوله (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) والأمران: إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة من أهم المظاهر العبادية التي يصدق بهما إيمان العبد، الأول يتعلق بالاعتقاد القلبي المنعكس أثره على الجوارح في الخضوع لله والتذلل إليه، والثاني ناتج عن الأثر الإيماني السليم في البذل والعطاء، وإلى هذا المعنى قوله عليه السلام في نهج البلاغة: من أيقن بالخلف جاد بالعطية. انتهى.

وفي الآية دلالة على ترتيب الحقوق، لذلك بدأت بأولاها وهي حق الله في تفرده بالعبادة، ثم ثنيت بحق الوالدين، وهكذا تلتها بحسب الأهمية.

قوله (ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون) تفيد (ثم) التراخي الزمني، والتولي كناية عن إعراض بني إسرائيل من أسلافهم في الالتزام بالعهد ولذلك توجه بالخطاب إليهم، ففي الكلام تخلص وإدماج عجيبين، وإخراج القليل منهم حفظا للحقوق وانتصافا للقلة، حتى لا ييأس المؤمنون منهم، وجملة الإعراض تفيد لزوم معنى نقضهم للعهود بنفوسهم ورسوخ معناها فيهم، ومقامها الحال.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾

قوله (وإذ أخذنا ميثاقكم) العطف لاتصال أخذ العهد من بني إسرائيل، والخطاب ليهود المدينة لأنهم على ما مضى من طريقة أسلافهم.

قوله (لا تسفكون دماءكم) إخبار يراد به الإنشاء، أي: أخذنا ميثاقكم بأن لا تسفكوا دماءكم، والسفك الصب والإراقة، وإضافة الدماء إلى أنفسهم لأن قتل الغير موجب لقتل النفس طالما الملة واحدة، نقل في التبيان عن الرسول ﷺ قوله: إنما المؤمنون في تراحمهم وتعاطفهم بمنزلة الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو واحد تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر. انتهى.

قوله (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أي: لا يخرج بعضكم بعضا ويغلبه على داره فيغتصبها منه اغتصابا، والدار كل منزل مشيد بالأبنية بخلاف منزل الارتحال.

قوله (ثم أقررتم وأنتم تشهدون) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، والإقرار الاعتراف بأخذ الميثاق على نفي خيانة العهد، وجملة الشهادة حالية مأخوذ فيه معنى موافقتهم على ما تقدم من أسلافهم من الالتزام بالمواثيق والعهود، وفي الكلام تخليص إلى الحاضر بمخاطبة يهود المدينة وإدماج لنكث العهد على سيرة أسلافهم.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

قوله (ثم أنتم هؤلاء) تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، واسم الإشارة للتعيين والتأكيد ويراد بهم يهود المدينة من بني قريضة وبني النضير وبني قينقاع.

قوله (تقتلون أنفسكم) أنزل قتل بعضهم لبعض منزلة من يقتل نفسه لأن أهل الملة الواحدة كأنهم جسد واحد تعظيما للدين.

قوله (وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) أي: تجلوهم من ديارهم ومنازلهم بالقوة والغلبة عليهم، وقد كان ذلك الفعل من اليهود معهودا إذا استضعفوا قوما أخرجوهم من ديارهم حتى لو كانوا من ملتهم.

قوله (تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان) أي: تتظاهرون عليهم بالإثم والعدوان، والتظاهر التعاون مأخوذ من الظهير والإسناد، والجملة مقامها الحال، والباء في (بالإثم) للملابسة، والعدوان التجاوز بالفعل.

قوله (وإن يأتوكم أسارى تفدوهم) الافتداء تخليص الأسير من أسره بالفدية والمال، أي: تدفعون الفدية من المال لأعدائكم على فكاك أسراكم حتى أولئك الذين أخرجتموهم من ديارهم من أبناء ملتكم.

قوله (وهو محرم عليكم إخراجهم) أي: ممنوع عليكم إخراجهم، واصل الحرام المنع، والجملة حالية، وضمير الفصل للشأن.

قوله (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) الاستفهام للإنكار والتوبيخ، والإيمان التصديق بعض الفرائض بالكتاب ويراد به التوراة، والكفر الجحد ببعضه الآخر وهو إخراج قومهم من ديارهم وقتلهم، والمراد النهي الشديد عن تجزئة الإيمان الذي عرفت به سيرة اليهود إلى زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله (فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا) الفاء للتفريع، والكلام فيه إيعاد شديد لهم بالخزي في الدينا والآخرة، وأريد بقوله (يفعل ذلك منكم) أي: الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعضه الآخر، وهو تجزئة الإيمان إشارة إلى إنكارهم نبوة محمد ﷺ.

قوله (ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب) وعيد لهم بالعذاب الدائم في الآخرة بعد إخزائهم في الدنيا، وفعل الرد معناه الرجوع، وأشد العذاب هو عذاب النار.

قوله (وما الله بغافل عما تعملون) إخبار متضمن معنى تهديدهم بتثبيت عملهم ونقضهم العهود ومحاسبتهم عليها.

وذكر في التبيان عن المعني بالآية: وكانوا فريقين: طائفة منهم بنو قينقاع وأنهم حلفاء الخزرج، وحلفاء النضير وقريظة، وانهم حلفاء الأوس، وكانوا إذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت بنو النضير وقريظة مع الأوس، يظاهر كل فريق حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة، يعرفون منها ما عليهم ولهم، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ولا يعرفون جنة ولا نارا، ولا قيامة ولا كتابا، ولا حلالا ولا حراما، فإذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أسراهم تصديقا لما في التوراة، وأخذا به يفتدي بنو قينقاع من كان من أسراهم في أيدي الأوس، ويفتدي بنو النضير وقريظة ما كان

في أيدي الخزرج، ويطلبون ما أصابوا من الدماء، وما قتلوا من قتلوا منهم، فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٨٦ ﴾

قوله (أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة) اسم الإشارة لتمييز اليهود واستحضار أفعالهم، وفعل الاشتراء استعارة من بيعهم وتجارتهم بجامع الاستبدال.

قوله (فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون) الفاء للتفريع، والجملة إخبار غيبي عن استحقاقهم لأليم العذاب الذي لا يخفف ثقله عنهم، ولا ينتصر لهم أحد فيمنعه منهم.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧ ﴾

قوله (ولقد آتينا موسى الكتاب) الابتداء بالقسم والتحقيق لأهمية المخبر عنه، والإتيان هنا معناه الإنزال والإعطاء، وتعريف الكتاب للعهد يراد به التوراة.

قوله (وقفينا من بعده بالرسل) أي: أتبعنا من بعد موسى إرسال الرسل لتذكير بني إسرائيل بشريعته والتشديد على اتباعها، ولذلك سموا بالرسل لأن كل من بعثه الله نبيا بعد موسى إلى زمن عيسى بن مريم بعثه بإقامة التوراة والعمل بما فيها على منهاج موسى وشريعته، والباء في (بالرسل) للملابسة، والرسل جمع رسول مثل شكر جمع شكور.

قوله (وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس) العطف لأن عيسى داخل في جملة الرسل من بعد موسى، فهو لم يأت بشريعة جديدة إلا قليلا، وإنما خص بالذكر لأن اليهود كفروا به وكذبوه ولذلك تأيد بروح القدس زيادة في التنكيل على اليهود، وفعل الإتيان بمعنى الإعطاء، وعيسى بن مريم هو المولود بكلمة الله وإيراد اسم أمه دائما لدفع من ادعى أنه ابن الله، والبينات جمع بينة وهو البرهان والمعجزة على صحة نبوته كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، والتأييد التقوية والإعانة بالنصر، وروح القدس هو رئيس الملائكة جبريل، وسمي بذلك لأنه بتكوين الله تعالى لا بولادة والد، ولذلك أضافه إلى القدس، والقدس هو الطهر والتقديس، وخصوصية تأييد روح القدس لعيسى، لأنه المكلف به من ولادته وتبشير أمه به حتى رفعه إلى السماء.

قوله (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم) الاستفهام للإنكار والتوبيخ، وفي الكلام عدول من الغيبة إلى الخطاب، والمراد إدماج يهود المدينة بأسلافهم فهم الذين كذبوا عيسى وحرضوا على قتله، وإنما خوطبوا لأنهم سائرون بسيرة آبائهم في التحريف والتكذيب، ولو كانوا كما أريد لهم من التبشير بدعوة التوحيد وتصديق نبوة النبي ﷺ لما خوطبوا بمخاطبة الأسلاف في سائر آيات السورة، والفاء للتفريع لأن جملة التفريع هي الغرض مما قدم من ذكر موسى وتقفية الرسل وعيسى عليهم السلام، و(كلما) انتصب على الظرفية لإضافته إلى (ما) الظرفية المصدرية وعامله الفعل (استكبرتم) وتقدم بسبب الاستفهام الدال على العجب من استمرارهم في إنكار الرسل حتى أصبح سجية فيهم، وأصل الجملة: أفاستكبرتم كلما جاءكم رسول، ولكن تقدم للاهتمام وإفادة التعجيب.

وفعل المجيء إشارة إلى التبليغ، وتنكير الرسول للتعظيم، والباء في (بما) للملابسة، و(ما) اسم موصول وصلته ما بعده، والهوى الميل القلبي العاطفي من غير عقل، وجملة الاستكبار مبالغة في الاستعلاء والتكبر.

قوله (ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون) جملة مسببة بالفاء عن جملة استكبار اليهود، والفريق يراد به الطائفة من الأنبياء، وتقديم اللفظ لمراعاة الأهمية، والتكذيب إنكار صحة رسالات الأنبياء من الغيب كما فعلوا بعيسى عليه السلام وبالنبي محمد ﷺ وهو ما تدل عليه فائدة الخطاب، والقتل منهم يقصد به ما جرى بتحريضهم، كما فعلوا مع زكريا ويحيى، وما توهموه من أمر عيسى.

وفي الكلام عدول في بناء الفعل فلم يقابل كذبتم بقتلتم، بل قال (تقتلون) لاستحضار تفننهم في قتل الأنبياء وتصوير ذلك في النفوس، وأن أنفسهم مهيأة في الاجتراء على قتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾

قوله (وقالوا قلوبنا غلف) العطف يشير إلى رجوع الكلام إلى الحكاية عن اليهود، ومقالهم دال على أن قلوبهم غير متأثرة بالمواعظ والنذر فلا أمل في قبولها لأنها ممنوعة منه، وقد كان ذلك القول يصدر منهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تهكما به وتأييسا لدعوته إياهم إلى الإسلام، وهو كقوله تعالى في الحكاية عن المشركين (وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر) [فصلت ٥]، والغلف استعارة بالكناية عن المنع تشبيها لها بالحجب والأغطية، واستعيرت للقلوب ويراد بها العقول ومنه في نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام في معاوية: وإنك والله ما علمت الأغلف القلب. انتهى

واستعمل المصدر وأريد به المفعول أي: المغلفة، وإنما قالوا ذلك ادعاء منهم برمي الإعراض عن قبول الدعوة المحمدية على أصل خلقتهم، وكأنهم غير مسؤولين عن ذلك، وفي الآية تصوير لاحتيال اليهود على الحقائق إذا ما جوبهوا بها، فعلقوا قضية طباعهم الخشنة وقساوة قلوبهم بأنها خلقة من

الله، والحال ليس كذلك بل المرء يخلق على الفطرة السليمة، ولكن الفكر المنحرف هو الذي يصنع مثل ذلك.

قوله (بل لعنهم الله بكفرهم) تفيد (بل) الإعراض عن مقال اليهود لتأكيد الإقبال على ما بعد الحرف، وهو لعنهم من الله، واللعن الإقصاء من رحمة الله، والباء في (بكفرهم) بمعنى: بسبب جحودهم وإنكارهم نعم الله الكثيرة عليهم ومقابلتها بالإساءة والكفران، وليس المقصود بالكفر الكفر الاصطلاحي، لأنهم موحدون.

قوله (فقليلا ما يؤمنون) أي: يندر أن يصدق عليهم الإيمان الحقيقي، لأنه طاف على أفواههم ولم يستقر في قلوبهم، فهم جاحدون بنبوة النبي ﷺ لا يصدقونه.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾

قوله (ولما جاءهم كتاب من عند الله) أي: جاءهم الكتاب بتبليغ من النبي ﷺ، فالمجيء يراد به التبليغ، وإسناد الكتاب إلى الفعل مجاز عقلي للمبالغة، وتنكيره للتعظيم والتنويه، ويراد به القرآن، وهو هنا أبلغ في الحجة عليهم، لأنهم في حالة كفر به، لذلك ذكر بالإسناد المباشر الى الله

تعالى، و(من) ابتدائية، و(عند) ظرف مبني لتأكيد صدوره من الله وتعظيمه.

قوله (مصدق لما معهم) التصديق صفة للكتاب، ومعناه الإقرار كون القرآن موافقا لتعاليم الكتب السماوية، ولاسيما التوراة مكملا لها ومهيمنا عليها، والذي معهم هو التوراة.

قوله (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا) إخبار عن أعاجيب اليهود فقد كانوا يستنصرون ببعثة النبي ﷺ كلما قاتلهم العرب من الأوس والخزرج ويتوعدونهم به، فلما بعث النبي ﷺ كفروا به، وآمن به العرب، بل إن أصل وجودهم ما بين عَير [وهو جبل قرب ذي الحُلَيْفة جنوبي المدينة] وأحد هو لانتظار النبي الموعود كما في كتبهم، والاستفتاح طلب الفتح كناية عن النصر، أي: يسألون أنفسهم الفتح عليهم، أو يسأل بعضهم بعضا أن يفتح عليهم، وأريد بـ (الذين كفروا) المشركون من عرب يثرب القريبين منهم.

قوله (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) الفاء عاطفة رابطة لإعادة ذكر (لما) لطول جملة فعل الشرط وبعدها عن جوابه، وهو (كفروا به) الذي أدمج مع جملة (لما) الثانية، وفعل المجيء بمعنى مجيئه إليهم بدعوة التبليغ بالإسلام، ويفيد الضمير في اسم الموصول (ما) في (ما عرفوا) الإشارة إلى القرآن والنبي ﷺ لأنهم عرفوه بصفته المنطبقة عليه، والكفر يراد به الجحد.

قوله (فلعنة الله على الكافرين) الفاء للتفريع، والتصريح بلفظ الجلالة لتعظيم الأمر، و(على) مجاز لتمكن اللعن من الكافرين، وتعريف اللفظ للعموم ويدخل فيه عموم أهل الجحود بنبوة النبي ﷺ، والكلام دعاء من الله عليهم بالطرد من رحمته، ودعاؤه سبحانه قضاء وحكم.

قوله تعالى ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾

قوله (بئسما اشتروا به أنفسهم) أي: بئس البيع الذي باعوا به أنفسهم، و(بئس) فعل ذم و(ما) بمعنى بئس شيئا باعوا به أنفسهم، وفعل الاشتراء معناه البيع وهو استعارة للمعاملات التجارية، كأنهم باعوا أنفسهم لحب دنيا عوضا عن ثواب الآخرة.

قوله (أن يكفروا بما أنزل الله) الجملة هي المخصوص بالذم، وهو إنكارهم لمعجزة القرآن الذي دل عليه فعل الكفر وهو الجحد والإنكار، والإتيان باسم الموصول (ما) وصلته لتعظيم التنزيل.

قوله (بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده) انتصب البغي لأنه مفعول لأجله، وأصل معناه الفساد، ويراد به هنا الحسد، والفضل الذي أنزله الله إشارة إلى النبوة والوحي التي حسد بهما الرسول ﷺ لأنه من ولد إسماعيل، وكانت الرسل من قبل من بني إسرائيل، وتفيد (من) في (من

فضله) معنى الابتداء، و(من) في (من يشاء) اسم موصول، و(من) الثانية في (من عباده) معنى التبعيض، ولفظ العباد وإضافته إلى هاء الجلالة تشريف للنبي ﷺ وتكريم.

قوله (فباءوا بغضب على غضب) الفاء للسبب، والبوء الرجوع، والغضب يراد به ما يترتب عليه من طرد وإقصاء عن رحمة الله، وكونه غضبا على غضب لأن اليهود حرفوا صفة النبي ﷺ في التوراة ثم كفروا بهم لما بعث بعد أن كانوا يستفتحون به على أعدائهم.

قوله (وللكافرين عذاب مهين) الحكم نتيجة لما تقدم، وهو وإن كان عاما غير أنهم داخلون فيه، وتقديم الظرف للاختصاص، وتنكير العذاب للتهويل ووصفه بالمهين لأن عذاب الآخرة ليس بعده خزي وإهانة، فهو مترتب على غضب الله، وكائن على رؤوس الأشهاد، وإسناد الإهانة إلى العذاب مجاز عقلي للمبالغة.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ﴾

قوله (وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) أي: إذا دعوا اليهود إلى الإسلام والإيمان بالقرآن، وفي التصريح بلفظ الجلالة تعظيم للتنزيل وإشارة إلى صحة الصدور.

قوله (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) كان هذا ردهم هو أنهم يؤمنون بالتوراة فقط ولا يعترفون بسواه في دليل على استكبارهم واستعلاء نفوسهم على الله والرسل.

قوله (ويكفرون بما وراءه) أي: ويكفرون بما عدا التوراة من الإنجيل والقرآن، والكفر الجحد، والوراء ظرف كناية عن الأسبقية، لأن كل سابق متقدم على الذي يكون وراءه.

قوله (وهو الحق مصدقا لما معهم) جملة حالية، والضمير (هو) مستعمل في الشأن والتعظيم، ويراد به القرآن الذي كفروا به، والقصر بأل في لفظ الحق كونه الثابت الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه، ونصب لفظ التصديق على الحالية، والتصديق التقرير للتوراة التي معهم، ولا يخلو لفظ المعية من الإشارة إلى ما مس التوراة من أيدي التحريف.

قوله (قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين) الأمر في (قل) تلقين من الله لنبيه في الرد على قول اليهود (نؤمن بما أنزل علينا)، ولذلك فرع على قولهم السؤال عن الاستناد الشرعي في قتلهم الأنبياء، ودلالة الاستقبال في (تقتلون) أريد به مضيه والذي قواه الظرف (من قبل)، والشرط في (إن كنتم مؤمنين) إشارة إلى تناقضهم في ادعائهم الإيمان بكتابهم ثم مخالفته في قتلهم الأنبياء.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

قوله (ولقد جاءكم موسى بالبينات) العطف بالتأكيد والتحقيق على قوله (ولقد آتينا موسى الكتاب)، والباء في (بالبينات) للمصاحبة، وجمعها لكثرة المعجزات الظاهرة التي تأيدت بها رسالة موسى كالعصا واليد البيضاء وفلق البحر وانبجاس الماء، والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم.

قوله (ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون) تفيد (ثم) التراخي الزمني الذي يفيد الاستغراب والتعجيب من ضعف يقين قوم موسى أن يكونوا بعد تلك البينات متخذين العجل معبودا، وجملة (وأنتم ظالمون) جملة حالية، والظلم يراد به ظلم أنفسهم وإنزال الضرر بها.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾

قوله (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور) العطف يشير إلى رجوع الكلام إلى تأكيد نقض بني إسرائيل للعهود، وأخذ الميثاق هنا بمعنى الإلزام

بالإيفاء بعهد الله وشريعة نبيه موسى، ورفع الطور جذب الجبل المعروف بسيناء فوق رؤوسهم للإطباق به عليهم لولا توسل موسى لربه وسؤاله المغفرة لقومه الجاحدين.

قوله (خذوا ما آتيناكم بقوة) أي: اعملوا بشريعة التوراة بحزم ويقين وجد، لأنهم كانوا لا يريدون العمل بالتوراة بحجة تكاليفها الشاقة.

قوله (واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا) الأمر بالسماع يراد به الأمر بطاعة الله ورسوله والامتثال للشريعة، ولذلك كان جوابهم بالسماع والمعصية ليدل على عجرفتهم واستعلائهم واستهزائهم، وسواء كان ذلك القول منهم على الحكاية عن حالهم أو على الحقيقة فهو لا يخرج عن معنى ما ذكرنا من استهزائهم المعروف عن سيرتهم.

قوله (وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم) فعل الشرب استعارة من الماء إلى تغلغل حب عبادة العجل في قلوبهم، وليس المراد (بكفرهم) بسبب كفرهم بل المراد أنهم كفروا بما أشربوا من حب عبادة العجل، فقدم السبب على النتيجة للاهتمام.

قوله (قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين) الأمر للنبي ﷺ للعناية بالكلام إليه، والذم لإيمانهم لأنه زعم لم يترتب عليه غير قتل الأنبياء وجحد آيات الله وهو رد على قولهم (نؤمن بما انزل علينا)، ولذلك علق الشرط على إيمانهم المزعوم لأنه إيمان منبعث عن أهوائهم لا من التوراة.

قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾

قوله (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس) الآية تبين عن مزعم آخر زعمه علماء اليهود هو اختصاصهم وحدهم بالجنة من دون الناس يوم القيامة وهي قوله تعالى في الحكاية عنهم (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) [البقرة ١١١]، لأنهم كما ادعوا أبناء الله وأحباؤه، والخالصة الصافية انتصبت على الحال.

قوله (فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) الفاء واقعة في الجزاء، والتمني طلب ما لا يرجى وقوعه، وتعليق الصدق على تمني الموت لإثبات كذب زعمهم، وطلب الموت بعدِّه سبيلا لما اختصوا به من نعيم الآخرة على حد زعمهم، والمقتضى أنه أفضل من الحياة المؤقتة في الدنيا، لأن ذلك سبيل الموقنين نحو قول أمير المؤمنين عليه السلام - في المناقب لابن شهراشوب - وهو يطوف بين الصفين بصفين في غلالة [شعار يلبس تحت الثوب]، لما قال له الحسن ابنه: ما هذا زي الحرب: يا بني إن أباك لا يبالي وقع على الموت، أو وقع الموت عليه. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾

قوله (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم) ردت الآية بالنفي التأبيدي على تمنيهم الموت في الآية السابقة، وعللته بسوء أعمالهم في الحياة الدنيا وتكذيبهم النبي ﷺ، والباء في (بما) تفيد السببية و(ما) مصدرية، وتقديم الأيدي مجاز يراد به الأعمال لأنها سبب فيها وإن كانت باللسان لكن العرب تقول: هذا ما كسبت يداك.

قوله (والله عليم بالظالمين) إخبار متضمن معنى التهديد لخصوصية ذكر الظالمين في سياق ذكر اليهود مع أن الله عليم بالظالمين وغير الظالمين، وذكر في التبيان عن النبي ﷺ أنه قال: لو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا، ولرأوا مقاعدهم من النار، فقال الله سبحانه: إنهم لن يتمنوه أبدا تحقيقا لكذبهم. وعلق الشيخ الطوسي فقال: وفي ذلك أعظم دلالة على صدق نبينا وصحة نبوته، لأنه أخبر بالشيء قبل كونه، فكان كما أخبر، وأيضا فإنهم كفوا عن التمني للموت، لعلمهم بأنه حق، وأنهم لو تمنوا الموت لماتوا. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾

قوله (ولتجدنهم أحرص الناس على حياة) الواو للعطف على الآية السابقة، أي: ليس هم لن يتمنوا الموت فحسب بل لتجدنهم أحرص الناس على حياة،

واللام في (لتجدنهم) مؤذنة بالقسم، والنون فيه للتأكيد، والوجدان بمعنى العلم، والخطاب للنبي ﷺ إخبار عن حب اليهود الدنيا وتعلق نفوسهم بها، والحرص شدة التعلق بالشيء، وتنكير الحياة للتهوين من قيمتها.

قوله (ومن الذين أشركوا) الواو بمعنى: وأحرص من الذين أشركوا، ويعني بهم المجوس، لأنهم مضروب فيهم المثل في حب إطالة العمر والتمتع بالدنيا حتى نقل في التبيان للشيخ الطوسي عنهم أنهم إذا دعا بعضهم لبعض يقول له: هزار سار بده، أي: عشرة آلاف سنة، واليهود أحرص على الحياة منهم. انتهى. وذلك الحرص بالدنيا وكره الآخرة لعلمهم ما أعد الله لهم من عذاب جزاء قبيح أعمالهم وتحريفهم لآياته وما اقترفوه من قتل الأنبياء وتكذيب الحقائق، ولهذا هم أحرص على الحياة والبقاء فيها من أهل الشرك، لأن أهل الشرك لا يعترفون بمعاد ولا حساب.

قوله (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) فعل الود إشارة إلى الرغبة القلبية الشديدة، و(أحدهم) من أولئك المشار إليهم بالحرص من اليهود، و(لو) للتمني، والتعمير إطالة العمر في الحياة إلى ألف سنة، وخصوصية ذكر الألف كناية عن الكثرة فهي آخر مراتب العدد بحسب الوضع الإفرادي عند العرب وما زاد عليه أما يعبر عنه بالتركيب فيقال عشرة آلاف، مائة ألف، أو بالتكرير فيقال ألف ألف.

قوله (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) الواو للحال، والمعنى يودون البقاء طويلا في الحياة في حال أن بقاءهم غير مبعدهم من عذاب النار يوم

القيامة، وتفيد (ما) النفي، و(هو) ضمير الشأن، والباء في (بمزحزحه) زائدة لتقوية النفي، والزحزحة التنحية استعارة للآثام المحمولة على الظهر تشبيها لها بالشيء الثقيل، وتكرار المقطع في الفعل يوحي بثقل الإزاحة عن النار، والمصدر المؤول (أن يعمر) محله الرفع لأنه معمول اسم الفاعل (مزحزحه) أي: وما مزحزحه التعمير من العذاب.

قوله (والله بصير بما يعملون) إخبار متضمن التهديد لليهود أورد نتيجة لما تقدم، فالله بصير بكل ما يبصر من المبصرات، وبالأخص ما يعملون.

وفي الآية دليل على أن الحرص على طول البقاء في الدنيا لأجل الدنيا مذموم، وإنما تطلب للازدياد من زاد الطاعة، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام: بقية عمر المؤمن لا قيمة لها، يدرك بها ما قد فات، ويحيي بها ما أمات. نقله الراوندي في الدعوات. انتهى.

قوله تعالى ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾

قوله (قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله) الأمر في (قل) من الله إلى نبيه على نحو العناية والتشريف، وتفيد (من) معنى عموم الداخلين في الشرط، والعدو الكاره الراغب بإيقاع الضرر بالغير، وهنا يراد به المبين للكراهية، والفاء في (فإنه) واقعة في جواب (من) والهاء عائد إلى جبريل، والضمير في (نزله) إشارة إلى القرآن وإن لم يذكر، فالاكتفاء

بالإضمار لما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه، حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه، فيكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته كما ذكر صاحب الكشاف، وقوله (على قلبك) مجاز من تمكن تنزيل آيات القرآن واستقرارها في قلب النبي ﷺ إشارة إلى فهمها وحفظها، وقوله (بإذن الله) أي: بأمر الله فإن جبرئيل رئيس ملائكته سبحانه يأتمر بأمره.

ونقل في التبيان عن مناسبة الآية عن ابن عباس أنه قال: كان سبب نزول هذه الآية ما روي أن ابن صوريا، وجماعة من يهود أهل فدك، لما قدم النبي ﷺ المدينة، سألوه فقالوا: يا محمد، كيف نومك، فقد أخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان؟ فقال: تنام عيناي، وقلبي يقظان، قالوا: صدقت يا محمد، فأخبرنا عن الولد، يكون من الرجل أو المرأة؟ فقال: أما العظام والعصب والعروق، فمن الرجل، وأما اللحم والدم والظفر والشعر، فمن المرأة، قالوا: صدقت يا محمد، فما بال الولد يشبه أعمامه، ليس فيه من شبه أخواله شيء، أو يشبه أخواله، وليس فيه من شبه أعمامه شيء؟ فقال: أيهما علا ماؤه، كان الشبه له، قالوا: صدقت يا محمد، قالوا: فأخبرنا عن ربك ما هو؟ فأنزل الله سبحانه (قل هو الله أحد) إلى آخر السورة، فقال له ابن صوريا: خصلة واحدة إن قلتها آمنت بك، واتبعتك: أي ملك يأتيك بما ينزل الله عليك؟ قال فقال: جبريل، قال: ذاك عدونا ينزل بالقتال والشدة والحرب، وميكائيل ينزل باليسر والرخاء، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لآمنا بك. انتهى.

قوله (مصدقا لما بين يديه) أي: القرآن مصدقا للكتب السماوية التي سبقته كالتوراة والإنجيل، وانتصب لفظ التصديق على الحالية.

قوله (وهدى وبشرى للمؤمنين) أي: هاديا إلى الحق ومبشرا للمؤمنين بالجنة، ولكنه استعمل المصدر للمبالغة.

قوله تعالى ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾

قوله (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) الآية رد على اليهود في دعواهم أن جبرئيل عدوهم وإنما ذكر ميكال معه لأنهم قالوا: جبريل عدونا وميكال ولينا، وإفراد ذكرهما إطناب، من باب ذكر الخاص بعد العام، لأنهما داخلان ضمن الملائكة، ولكن لمكانتهما وشرف منزلتهما خصا بالذكر، وكلا الاسمين من الأسماء الأعجمية المعربة.

وعداء الله مجاز يكون بفعل المعاصي ومخالفة أوليائه، والمراد من كان يفعل فعل المعادي لله وملائكته.

قوله (فإن الله عدو للكافرين) جملة جواب (من) وإظهار لفظ الجلالة دون إضماره فلم يقل: فإنه، مع تقدمه، دفعا لتوهم إعادة الضمير على جبريل وميكال، وإظهار لفظ الكافرين دون الإضمار مع عدم تقدم ذكره فلم يقل: عدو لهم، للدلالة على علة الحكم كأنه قيل: فإن الله عدو لهم لأنهم كافرون والله عدو للكافرين، كما قال الطباطبائي. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

قوله (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) عطفت الآية بالواو على ما قبلها، والقسم والتحقيق بـ (لقد) لأهمية الخطاب إلى النبي ﷺ، وفعل الإنزال مجاز من مقام الرفعة يراد به إيصال الآيات إلى النبي بطريق الوحي، والآيات هي العلامات التي فيها عبرة سميت بها المعجزات لظهورها للعيان ودلالتها المبينة، ويشير حرف الجر (إلى) انتهاء غاية إنزالها واستقرارها في قلب النبي ﷺ ومدركاته، ووصفها بالبينات لأنها واضحة لا يمكن إنكارها.

قوله (وما يكفر بها إلا الفاسقون) أي: لا يجحدها ولا ينكرها إلا الذي به علة الفسق والخروج عن عهد الإيمان والفطرة.

قوله تعالى ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

قوله (أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) الواو عاطفة تقدمتها همزة الاستفهام لأن لها الصدارة، والاستفهام للتوبيخ، وتفيد (كلما) العموم ونصبت على الظرفية وعاملها فعل النبذ لا الذي بعدها، وضمير الجمع في (عاهدوا) راجع إلى المتحدث عنهم وهم اليهود، وأريد بالعهد ما أخذه الأنبياء عليهم من الإيمان بالنبي ﷺ، والنبذ الطرح بأن يلقى من اليد، وهو

استعارة لنقض العهد، والفريق الجماعة و(من) في (منهم) للتبعيض والضمير عائد إلى المعاهدين.

قوله (بل أكثرهم لا يؤمنون) تفيد (بل) الإضراب والتأكيد، والضمير في (أكثرهم) راجع إلى أكثر المعاهدين، ولفظ الأكثرية لحفظ حق القليل منهم ممن آمن بدعوة الإسلام كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهما.

قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

قوله (ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم) تفيد (لما) الشرط، ومفعول (جاءهم) اليهود في عصر النبي ﷺ، وتنكير لفظ الرسول للتعظيم لأنه ليس كأي رسول جاء اليهود، فقيد بصفتين الأولى حالية وهي قوله (من عند الله)، والثانية أنه (مصدق لما معهم)، لأن البشارة به في توراتهم والكفر به كفر بالتوراة.

قوله (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم) أي: لم يعترفوا بالعمل بما جاء في التوراة المبشرة بالنبي ﷺ، والقيد في (من الذين أوتوا الكتاب) ولم يقل: منهم، لبيان أن المراد من ذلك الفريق هم علماء اليهود وأحبارهم، ونصب (كتاب الله) على البدل، والمراد باللفظين

التوراة، وقوله (وراء ظهورهم) كناية عن نفي العمل بما جاء فيه من التبشير بالنبي ﷺ ووجوب اتباعه.

قوله (كأنهم لا يعلمون) تشبيه علماء اليهود الذين تواطؤوا على التحريف بكونهم لا يعلمون متضمن معنى علمهم بما قرؤوا وعرفوا من صفة النبي ﷺ وكتمانهم الأمر بعد ذلك.

قوله تعالى ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

لما ذكرت الآية السابقة نبذ اليهود للتوراة وراء ظهورهم أخبرت عن فعل قبيح آخر من أفعالهم في تشويه الحقائق وتحريفها، وهو اتهام سليمان بن

داوود بالسحر الذي سمته الآية الكفر، فهو عندهم ساحر وليس بنبي، واتهام رجلين صالحين في بابل بتعليم الناس السحر للتفريق لإفساد الناس.

قوله (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان) الاتباع الانقياد والاقتداء، وواو الجمع في فعله عائد إلى اليهود للإخبار عنهم، وتتلو بمعنى تقول وتكذب على عهد النبي سليمان، والمعنى: واقتدى يهود بني إسرائيل بالأكاذيب التي ادعاها الكذبة من شياطين الإنس على النبي سليمان بأنه ساحر وبالسحر كان يسخر الجن والإنس ويقيم سلطانه عليهم، وذكر سليمان لأن اليهود كانوا يتهمونه بتسخيره الجن والإنس بالسحر، ونسجوا من بعده خرافات وأساطير أخرجوه من كونه نبيا معصوما وشوهوا كثيرا من سيرته بسبب انقسام مملكة بني إسرائيل من بعد سليمان بين ابنه وآخر مولى له إلى مملكتين وانتصروا في آخر الأمر للمولى على ابن سليمان، والمراد بالشياطين الإنس الذين توسوس لهم الشياطين وكذبوا كثيرا على الناس باتهام سليمان أنه ساحر.

قوله (وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا) انتصر الله لنبيه سليمان فدفع عنه فرية عمله السحر، بل هو نبي مؤيد، بينما استدرك أن السحر من شأن الشياطين من الإنس، والمقصود بالكفر هنا العمل بالسحر لأنه مخرج من الإيمان إلى الفسق.

قوله (يعلمون الناس السحر) فصل الكلام لأنه حال لكفر الشياطين، والتعليم الإفهام، وتعريف الناس للعموم وهم اليهود، والسحر ملكة إيهام البصر بخفة اليد.

قوله (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) الواو للعطف على قوله (على ملك سليمان) أي: وتتلو الشياطين على ما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، والضمير في اسم الموصول (ما) إشارة إلى السحر، و(أنزل) بمعنى الهبوط من النجود إلى الأغوار، وليس بالضرورة إنزاله من السماء فليس ثمة معنى مفيد لذلك، والمراد بالملكين رجلان اسمهما هاروت وماروت أطلق عليهما صفة الملكين لصلاحهما بين الناس، فقد كانا ببابل العراق يعلمان الناس السحر حتى يكون سبيلا لدفع أذى السحر عنهم، وخصت بابل بالذكر لأنها موطن السحر في العراق القديم زمن الكلدانيين والآشوريين قبل أربعة آلاف سنة من ظهور الإسلام.

قوله (وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة) أي: ما يعلمان أحدا من الناس السحر حتى يحذرانه من أن يكون السحر لهم فتنة، ويؤكدون لهم إن فعلهم هذا في تعليم الناس السحر فتنة ضررها خفي، لأن الأصل في التعليم دفع تمويهات السحرة وعدم الانقياد لأباطيلهم في دعواهم أنهم مؤيدون بالآلهة، وحتى يكذب الملكان ادعاء السحرة هذا علما الناس أساليبهم ثم حذروهم من ضرر السحر الخفي، ولذلك أكدا عن أنفسهما بأنهما فتنة، والفتنة الابتلاء والاختبار.

قوله (فلا تكفر) جملة مفرعة عن تثبيت الفتنة لهما، أي: فلا تفتتن بالسحر فيخرجك من الإيمان إلى الانقياد بالسحر.

قوله (فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه) الفاء للتفريع، والمعنى: فلا يلتزم اليهود بنصح المعلمين من الملكين، فيتعلمون منهما السحر الذي يفرقون بأسبابه المرء عن زوجه.

قوله (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) الكلام استدراك في أن يكون السحر حقيقة مستقلة القدرة عن سلطان الله تعالى، وإنما هو بعلم الله غير خارج عن سلطانه، وإنما الله تعالى خلى بينهم وبين هذا الفعل الضال، وهذا معنى إذن الله أي علمه سبحانه، والباء الأولى في (بضارين) زائدة لتقوية النفي، والضرر الأذى الذي يلحق بالمسحور، والباء الثانية في (به) للسبب، والهاء عائدة إلى السحر، و(من) زائدة للتوكيد.

قوله (ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) واو الجماعة في (يتعلمون) مفهومة من العموم في قوله (من أحد)، أي: يتعلم الناس السحر ففيه ضررهم في الآخرة لأنهم سيعاقبون عليه، ولا ينفعهم في الدنيا وإن كانوا يعتقدون بنفعه.

قوله (ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق) العطف على قوله (واتبعوا)، و(لقد) قسم وتحقيق يفيد تأكيد الكلام، وواو الجمع في (علموا) عائد إلى اليهود الذين نبذوا التوراة وراء ظهورهم، واللام في (لمن) للتأكيد و(من) اسم موصول، والاشتراء البيع والهاء في فعله إشارة إلى السحر أي باع نفسه بالسحر، وجملة (ما له في الآخرة من خلاق) خبر الابتداء (لمن)،

والخلاق النصيب تأخرت عن عاملها (ما) بسبب تقديم الظروف عليها واصل الكلام: ما خلاق له في الآخرة، والهاء في (له) عائد إلى المتعاطي السحر من اليهود، و(من) زائدة لتقوية النفي.

قوله (ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون) جملة ذم مؤكدة بالقسم، فاللام في (لبئس) مشعرة بالقسم، والفعل للذم، وتفيد(ما) الإبهام بمعنى: بئس شيئا، والشراء البيع، و(به) بمعنى: بسبب السحر، وتسمى (لو) الامتناعية، وتفيد نفي العلم عنهم لأنهم لم يعملوا بالعلم فكأنهم لم يعلموا.

وعلى هذا التفسير لا داعي للأخذ بكثير مما ذكر من قصص خرافية عن الملكين هاروت وماروت، وأنهما مارسا الفحش والزنا والسكر، واعلم أن كتب التفسير اختلفت كثيرا في تفسير الآية وفي عود الضمائر وتفاصيل التراكيب وفي كون هاروت وماروت ملكين أو رجلين، وما أوردنا مختصر مفيد لمطولات الاختلافات.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ١٠٣ ﴾

قوله (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير) الواو للعطف على القصة في الآية السابقة، و(لو) حرف امتناع، والضمير في (أنهم) عائد إلى اليهود الذين يتعلمون السحر، والمعنى لو أن اليهود آمنوا كما ينبغي أن يكون عليه الإيمان بالله وتركوا اتباع الخرافات وأباطيل السحر لنالوا

الثواب الكثير من الله، واللام في (لمثوبة) للتأكيد في جواب (لو)، والمثوبة الثواب، وأصل فعله الرجوع، فالثواب ترجع فائدته إلى الشخص مكافأة على عمله.

وفي الكلام عدول عن توقع مجيء جواب (لو) بالجملة الفعلية فلم يقل: ولو أنهم آمنوا لأثابهم الله من عنده خيرا. فأخبر عن المثوبة ولم يخبر عن المثابين لأنها أتم في الدلالة على الثبات واللزوم من الفعل، فضلا عن تضمنها معنى المثابين، وتنكير المصدر للتعظيم.

قوله (لو كانوا يعلمون) في الكلام نفي للعلم عن اليهود ويتضمن تثبيت الجهل عليهم، لأنهم لو كانوا يعلمون ما يترتب على الإيمان الحق من أثر طيب لعملوا به، ولتركوا الإفساد وأباطيله.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) استئناف خطاب عام للمؤمنين في المدينة، فإن هذا التركيب خوطبوا به بعد الهجرة إلى المدينة ويراد به الذين سبقوا بالإيمان من الأولين وهي بعد كلمة تشريف لهم اختصت بها هذه الأمة لم تسبق أمة بمثل أن نوديت بصفة الإيمان بالله، فقد كانت الأمم تنادى بصفة ما تنتسب إليه من اسم أو من مكان مثل: قوم نوح وقوم هود، وبني إسرائيل، وهذا لا

يعني أن اختصاصهم بهذا المعنى يوجب اختصاصهم بالتكليف وحدهم فإن في الخطاب سعة، وفي الغالب ينادى المؤمنون بذلك للاهتمام بتكليف يعقبه.

قوله (لا تقولوا راعنا) نهي شديد لدفع ضرر المستهزئين من اليهود بالمؤمنين، والمراعاة التفقد والمراقبة والحفظ، وقد كان المؤمنون يقولون للنبي: يا رسول الله راعنا، أي: أمهلنا حتى نفهم ما تقول، فيأخذها اليهود فيلحدون بها إلى معنى شنيع بالعبرانية يعني السب في لغتهم، وهو المروي عن الباقر عليه السلام، فلما عوتبوا قالوا نقول كما يقول المسلمون فأنزل النهي.

وقد عرف اليهود قديما وحديثا بلي الكلام، وقد كان المسلمون يقولون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك عن براءة منهم يطلبون منه الإنظار حتى يفهموا ما يلقي عليهم من علم، بينما كانت كلمة (راعينا) في العبرانية أو السريانية يتساب بها اليهود، لذلك افترصوها واستعملوها في التخاطب مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمعناها عندهم، وبسبب هذا اللي في اللفظ جرى بأمر الله استبدالها بلفظ (انظرنا) فضحا لأمرهم وصونا لكرامة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله (وقولوا انظرنا واسمعوا) أي: وقولوا محلها: انظرنا، أي: انظر إلينا وانتظرنا وأقبل علينا، وقوله (واسمعوا) أمر من الله للمؤمنين بالقبول والاستماع.

قوله (وللكافرين عذاب أليم) إخبار متضمن معنى التهديد الشديد لمن لا يؤمن بالنبي والقرآن، يدخل فيه اليهود فلفظ الكافرين وإن أريد به عموم

أهل الكفر إلا أن سياقه نتيجة لما تقدم من لي واستخفاف بالمؤمنين، والعذاب الأليم مبالغة يراد به العذاب المؤلم.

قوله تعالى ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ١٠٥ ﴾

قوله (ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين) الود رغبة قلبية شديدة والمودة المحبة، والمراد بالكافرين من أهل الكتاب المردة وهم رؤوس الضلالة فيهم من أحبارهم وكهانهم، و(من) بيانية لا تبعيضية، وفي إيراد (أهل الكتاب) علة لنفي الود فهم ضنينون بإنزال الكتاب من الله على غيرهم معارضة مع الله في سعة رحمته، والمشركون هم كفار قريش موقفهم واضح مع النبي ﷺ والمؤمنين به.

قوله (أن ينزل عليكم من خير من ربكم) أي: ينزل القرآن عليكم، وفاعل يود المصدر المؤول (أن ينزل)، والخطاب في (عليكم) للنبي والمؤمنين، و(من) زائدة للاستغراق أي عموم الخير، والخير كناية عن كناية عن الوحي أو الرحمة المنزلة، باعتبار نزولهما على النبي الأمين ﷺ، وقد كان الكفرة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى يرون أنفسهم أحق بأن يوحى إليهم حسدا وبغضا، و(من) في (من ربكم) لابتداء الغاية والظرف محله الصفة للخير، وهي صفة تعظيم وتشريف.

قوله (والله يختص برحمته من يشاء) الواو للحال، والاختصاص الانفراد بالشيء، والمعنى: والله ينفرد وحده باختيار من يشاء للنبوة، على أساس تفسير الرحمة هنا بالنبوة، وهو المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام والباقر عليه السلام كما ذكره صاحب التبيان. انتهى.

قوله (والله ذو الفضل العظيم) إخبار من الله تعالى عن أنه سبحانه مبدأ الخير الواصل لكل عبد تفضلا منه تعالى عليه من غير استحقاق موجب على الله، ووضع الإظهار موضع الإضمار في قوله (والله) للتعظيم، والفضل الزيادة ووصفه بالعظم لكثرته.

قوله تعالى ﴿ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾

قوله (ما ننسخ من آية) تفيد (ما) الشرط، والنسخ الإزالة والإذهاب، وهو مصطلح قرآني أريد به تعليق حكم الآية بإبداله بآخر على وفق المصلحة التي لا يعرفه غيره سبحانه، وتفيد (من) التبعيض وليس معنى الزيادة، والآية الحكم الذي ينزله تعالى في الكتاب العزيز.

قوله (أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) تفيد (أو) الترديد، والإنساء تأخير العمل بالآية، و(نأت) مجزوم لأنه جواب (ما)، والإتيان بمعنى الإنزال، والمعنى أن في النسخ حكمة لا يعرف بعدها سواه سبحانه وهي في عمومها

مما ينفع المؤمن فالناسخة خير له من المنسوخة وأيسر، أو بمثل سهولتها كالتوجه في العبادة إلى الكعبة بدلا من بيت المقدس.

قوله (ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير) الاستفهام للتقرير، والجملة تفيد التعليل لحكمة النسخ، وهي قدرة الله وحده على كل شيء، والخطاب عام لكل سامع، وفعل العلم يستعمل فيما تجهل معرفته، وفي الكلام عدول من ضمير التكلم إلى الغيبة للتعظيم.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾

قوله (ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض) إعادة التركيب تقرير وتأكيد لعلم الله بكل شيء وهو ملكه الحاضر بين يديه، فالله تعالى هو الخالق المالك المدبر لهذه المملكة الواسعة التي استقصيت بذكر السموات والأرض، واللام في (له) تفيد الملك والاستحقاق.

قوله (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) الواو للعطف، والإخبار تأكيد منه سبحانه بألا ملجأ للناس سواه في الدنيا والآخرة، وإن كان توجيه الكلام إلى معنى الآخرة أكثر، والخطاب في (لكم) عام يشمل النبي ﷺ والمسلمين، واستعملت (من) مرتين زائدة لتقوية النفي، والولي القائم بالأمر والنصير مبالغة في النصرة.

قوله تعالى ﴿ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨ ﴾

قوله (أم تريدون أن تسألوا رسولكم) تسمى (أم) منقطعة بمعنى (بل) ويعقبها استفهام مقدر يفيد التحذير، والخطاب للمسلمين لا محالة، وفعل السؤال بمعنى أن تطلبوا. وخطابهم بلفظ الرسالة كناية عن النبي ﷺ، وفي دلالتها إلزام الحجة عليهم.

قوله (كما سئل موسى من قبل) يبدو من التشبيه أن بعض من آمن بالنبي اقترحوا عليه أمورا كما فعلت بنو إسرائيل مع موسى، فوبخهم الله على ذلك، فربما سألوه أن يروا الله جهرة، ومما سأل قوم موسى قوله تعالى (واجعل لنا إلها كما لهم آلهة)، والتشبيه بذكر موسى عليه السلام تحذير من اللجاجة التي فصلت الآيات السابقة فيها الحديث، لأن قضايا النسخ واستبدال حكم آية بآية راجع إلى حكمة الله تعالى فيما هو أصلح للناس، لذلك أوصاهم بالثقة وألا يقترحوا على الرسول كما اقترح بنو إسرائيل على موسى عليه السلام ما ضرهم.

قوله (ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل) الشرط ومعناه يبين أن سؤال بعض المسلمين يتعلق بأمور الشريعة والنسخ منها، بدليل ألفاظ التبديل بين الكفر والإيمان، وضلال سواء السبيل يعني إضاعة قصد الطريق المفضي إلى النجاة.

قوله تعالى ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾

قوله (ود كثير من أهل الكتاب) أي: تمنت كثرة من اليهود، كحيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وأمثالهما من الحاقدين على الإسلام، وإنما قيل كثير لإخراج القلة منهم ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتفيد (من) الابتداء.

قوله (لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا) والرد الرجوع، وإنما التمني برجوع المؤمنين كفارا لأن التوحيد جمع أهله على كلمة واحدة بعد ما كانوا متفرقين أيادي سبأ.

قوله (حسدا من عند أنفسهم) انتصب لفظ الحسد على الحال، والحسد تمني زوال النعمة من الغير، و(من) ابتدائية، ومعنى التأكيد بـ (عند أنفسهم) استقرار الحسد في نفوسهم.

قوله (من بعد ما تبين لهم الحق) أي: توضح وظهر لهم الحق وهو أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الإسلام دين الله، وتعريف الحق للتعظيم، وفي الكلام دلالة على عناد اليهود وتعنتهم وميلهم عن الحق.

قوله (فاعفوا واصفحوا) الفاء للتفريع، أي: تجاوزوا عنهم بالعفو والصفح مع إمكان القدرة، والعفو أصله المحو والستر، والصفح المسامحة وترك التثريب وهو أخص من العفو فقد يعفو الإنسان ولا يصفح.

قوله (حتى يأتي الله بأمره) تفيد (حتى) انتهاء الغاية، وإتيان الله بأمره كناية عن إحلاله العقاب والعذاب.

قوله (إن الله على كل شيء قدير) فصل الكلام لأنه تعليل لإتيان الله بأمره، وهو كونه القادر على كل شيء فلا يعجزه شيء، والتصريح بلفظ الجلالة من باب وضع الإظهار موضع الإضمار للتعظيم.

قوله تعالى ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠ ﴾

قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) الواو للعطف على قوله (واعفوا واصفحوا)، ولذلك أمروا بما يعينهم على العفو والصفح بالصلاة والزكاة لأن في ذلك معونة لهم على الصبر.

قوله (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله) التقديم للنفس كناية عن العمل الصالح الذي يعمله المؤمن سيعود عليهم بالثواب عند الله، وتفيد (من) الاستغراق والعموم، والخير لفظ عام لمعاني الأعمال الصالحة، وفعل الوجدان إشارة إلى المثابة، جزم لأنه جواب شرط، و(عند الله) إشارة إلى أنه مستقر ثابت لا يتغير.

قوله (إن الله بما تعملون بصير) قطع الكلام لأنه تعليل لوجدان الأعمال الصالحة عند الله وهو أن الله تعالى بصير بأعمالهم محفوظة عنده، والباء في (بما) متعلق بالعامل (بصير)، وتكرر في الفاصلة أسلوب الإظهار للفظ الجلالة تعظيما للمعنى.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١١١ ﴾

قوله (وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى) الواو للعطف على قوله (ود كثير)، والكلام من جملة مزاعم اليهود في تقديراتهم على الله، والقول لبعضين مختلفين جمعا على سبيل الإيجاز وإلا فلا اليهود تشهد للنصارى بالجنة ولا النصارى تشهد، والتقدير: قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا، وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا، وهود جمع هائد وهو الآيب إلى الحق أو مصدر يصلح للمفرد والجمع.

قوله (تلك أمانيهم) الفصل لأنه رد من الله على مقالهم، واسم الإشارة لإحضاره، والأماني الوعود الكاذبة والأحلام غير الواقعية.

قوله (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) طلب من الله على لسان نبيه لأنهم لا يستحقون خطاب الله بالإتيان بالدليل على صدق دعواهم وإلا فهم كاذبون، و(هاتوا) اسم فعل أمر بمعنى: قدموا واعطوا، والبرهان الحجة والدليل، والأمر تعجيزي يراد به كشف أباطيل مزاعم اليهود.

قوله تعالى ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

قوله (بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن) الآية جواب قول اليهود (لن يدخل الجنة) لذلك أجيب عنها بـ (بلى) لأنها جواب النفي، وتفيد (من) الشرط، وإسلام الوجه لله مجاز للإخلاص لله والخضوع إليه، وذكر الوجه لأنه أشرف ما يرى من الإنسان ولذا إطلاقه عوض عن ذكر الإنسان فهو مجاز مرسل أطلق الجزء وأراد الكل، وجملة (وهو محسن) جملة اسمية وصفية للضمير في (من) موقعها الحال، والمحسن فاعل الإحسان.

قوله (فله أجره عند ربه) الفاء واقعة في الجزاء، والجملة اسمية تفيد لزوم المعنى وثبوته، ومعناه: فاستحقاق ثواب المحسن ثابت عند الله، والأجر الثواب العائد على المحسن من عمل الإحسان، ودلالة إضافة الرب إلى ضمير المحسن للتشريف والتكريم، والظرف (عند ربه) محله الصفة للأجر.

قوله (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) أي: لا خوف عليهم يوم من أهوال القيامة ولا يحزنون من حسابها، والخوف والحزن عوارض قلبية نفيها عن المحسنين إشارة إلى اطمئنان قلوبهم وسكينتها يوم الفزع الأكبر، ولم يقل بحسب السياق: لا خوف عليه كما سبقه الإفراد في (له أجره) مراعاة لعموم الجمع في اسم الشرط في (من أسلم وجهه).

قوله تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ١١٣ ﴾

قوله (وقالت اليهود ليست النصارى على شيء) الواو لعطف قصة على أخرى، لأن الآيات متصلة في الكلام عن أفعال اليهود، والنفي بصيغة (على شيء) مبالغة شديدة في التجاهل لما فيها من تقدير الحذف، قال الزمخشري: أي على شيء يصح ويعتد به لأن المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء، فإذا نفي إطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به إلى ما ليس بعده وهذا كقولهم أقل من لا شيء. انتهى.

قوله (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) وحكت الآية مقابلة الأنصار اليهود بالصيغة نفسها لأنّ كلا الوفدين كانا حاضرين عند النبي ﷺ وقت اختلافهما وكفر أحدهما بالآخر، وفي الكلام تطييب لخاطر المسلمين الذين زعم فيهم أهل الكتاب انهم لن يدخلوا الجنة إلا من كان هودا أو نصارى.

قوله (وهم يتلون الكتاب) جملة حالية، والتلاوة يراد بها ما يترتب عليها من أثر العمل بآياتها التي تدعو إلى الاعتراف بالأديان والكتب السماوية، وعلى

هذا يكون تعريف الكتاب بمعنى الكتاب السماوي لما يخص اليهود وهو التوراة وما يعني النصارى وهو الإنجيل.

قوله (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم) التشبيه بلفظ الإشارة بمعنى كمثل تلك الحالة التي كفر بها اليهود والأنصار بعضهم بعضا كفر المشركون من قريش بمحمد ﷺ ونبوته، وبذا تساوى في القدر أهل الكتاب بغيرهم ممن لا يعترف بوحدانية ولا كتاب، وإطلاق نفي العلم على المشركين كناية عن جهالة عبادتهم وبكونهم لا يملكون علما بأحوال الأمم السابقة.

ومن أبلغ الإشارات ربط العلم بالوحدانية بحيث يكون التوحيد هو الحد الفاصل بين أهل العلم وأهل الجهل.

قوله (فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) الفاء يفيد التفريع، والإخبار متضمن معنى توبيخ المختلفين وتوعدهم بالعقاب، وفي التصريح والابتداء بلفظ الجلالة دلالة القصر فالله وحده هو الحاكم في ذلك اليوم للمختلفين في أهوائهم المحرفين للشرائع، والقيامة مصدر غلب عليه العلم وهو الوقت المعلوم لقيام الموتى من القبور للحساب.

قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾

قوله (ومن أظلم) الواو للعطف على قوله (وقال الذين لا يعلمون) لأن ترجيح سياق الكلام يتوجه إلى المشركين، والاستفهام بمعنى لا أحد أظلم.

وقوله (ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه) تفيد (من) في (ممن) الاستغراق والعموم، و(من) بمعنى الذي، والمراد بالصلة منع زيارة بيت الله والصلاة فيه، فيكون الجمع لتعظيم البيت لأن كل موضع منه مسجد، وذكر الله كناية عن الصلاة له سبحانه.

قوله (وسعى في خرابها) السعي دلالته الاهتمام الشديد من مشركي مكة في بذل المال وتأليب الناس على المؤمنين لإخراجهم من مكة عند الهجرة وإبعادهم عن البيت الحرام وذلك هو السعي في خرابها، وتفيد (في) المجاز الظرفي بمعنى تعليل السعي، والخراب نقيض العمارة، والكلام مؤول إلى المجاز، وقيل في تفسير الآية أقاويل لا يسعفها السياق.

قوله (أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين) اسم الإشارة للإشارة إلى الضمير في اسم الموصول وهم المانعون الساعون في خراب البيت أي المشركون، ونفي الكون ولام الجحود الداخلة على خبره أشد النفي وأوكده، وهو بمعنى نفي الحق لهم بدخول البيت مطمئنين إلا دخوله خلسة خائفين،

وفي الخبر الصحيح: لما نزلت هذه الآية أمر النبي ﷺ مناديا فنادى: ألا لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن بهذا البيت عريان، فكانوا لا يدخلونه بعد ذلك.

قوله (لهم في الدنيا خزي) الفصل للاستئناف باهتمام للخبر الجديد وإثارة الانتباه، وهو إيعاد عتاة المشركين بالخزي في الدنيا، وقد قتل كثير منهم يوم بدر بعد نزول هذه السورة والآية وأسر آخرون، وتقديم الظرف (لهم) لأنهم المخبر عنهم، وتقدم المعمول (في الدنيا) على عامله للاختصاص.

قوله (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وعيد ثان في الآخرة أشد من الأول في الدنيا، والعذاب العظيم عذاب النار خالدين فيها، وتقديم الظرف (في الآخرة) على عامله للاختصاص، وتنكير لفظ العذاب لتهويله ووصفه بالعظم لشدته.

قوله تعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾

قوله (ولله المشرق والمغرب) الواو للعطف على ما تقدم تطييبا لقلوب المسلمين الذين منعوا من زيارة بيت الله، واللام في (لله) لام الملك المطلق، والمقصود بالمشرق والمغرب ملك الله لما تتضمنها الجهات، وتقديم شبه الجملة (لله) يفيد اختصاص الله تعالى بملك بلاد المشرق والمغرب، أي:

الأرض كلها، بل الجهات كلها، وقيل: إن الآية نزلت بعد تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة.

قوله (فأينما تولوا فثم وجه الله) جملة تفرعت عن معنى التي قبلها، و(أينما) اسم شرط للمكان مناسب لذكر الجهات و(ما) المقترنة بـ (أين) هي التي هيأت المفردة للجزم، والخطاب في فعل التولي للعموم، ومعناه: تقصدوا، والفاء في (فثم) واقعة في جواب (أينما)، و(ثم) ظرف مبني للمكان، و(وجه الله) مجاز عن الوجود المطلق لله تعالى بأسلوب لغة العرب في ذكر أشرف ما عند الإنسان وهو وجهه، والمراد قبلة الله والقصد إليه، ومعنى الآية: أن الله جعل الأرض كلها لكم مسجدا في حال منعكم من الصلاة في المسجد الحرام فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها، وفي الكلام توسعة في القبلة من جهاتها لا من مكانها.

قوله (إن الله واسع عليم) قطع الجملة عن التي قبلها لأنها تعليل لمعناها، وهو أن الله تعالى يسع وجوده الجهات كلها يعلم كل شيء فيها، والواسع الكبير والعليم مبالغة في كثرة العلم.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾

قوله (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) الذين قالوا ذلك هم الثلاثة الذين ذكرتهم الآيات السابقة وهم اليهود والنصارى والمشركون، فرغم اختلافهم فقد

اجتمعوا على فرية واحدة وهي ادعاء الولدية لله، فقد قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله، وفي دلالة فعل الاتخاذ الصنع الذي لا يستقيم مع البنوة والأبوة وفي هذا بطلان واضح لهذا الادعاء، وصيغة التنزيه (سبحانه) لنفي الادعاء، بنفي أي نقص عن الله تعالى، فهو الغني عن كل شيء ويفتقر إليه كل شيء.

قوله (بل له ما في السماوات والأرض) تفيد (بل) الإضراب عن الكلام السابق عليها لتأكيد اللاحق بعدها، وهو الاستئناف بقصر الملك عليه سبحانه للإشارة إلى أن ما فيهما يصح انطباق وصف العبودية عليهم لأنهم مملوكون له سبحانه، وللتنبيه على أن الملك والبنوة لا يجتمعان لأن الولد لا يكون ملكا للأب، فكيف يكون الملائكة في السماء والمسيح في الأرض ولدا له وهم عباد مملوكون، وذكر السماوات والأرض استقصاء لكمال قدرته في سعة مملكته، واللام في (له) للاستحقاق، واستعمل (ما) لتضمنها معنى العقلاء وغير العقلاء.

قوله (كل له قانتون) تنوين لفظ الكل المفيد للعموم تنوين عوض عن الإضافة، والقنوت أصله الدوام والقانتون المطيعون، وتذكيره بصيغة جمع العقلاء على سبيل التغليب، وتقديم المتعلق (له) في الآية مرتين العائد على لفظ الجلالة، للتأكيد وأهمية مضمون ملك الله لكل شيء واغنائه سبحانه عن اتخاذ الأولاد.

قوله تعالى ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾

قوله (بديع السماوات والأرض) ارتفع لفظ البديع على تقدير مبتدأ محذوف هو عائد إلى لفظ الجلالة، ويراد به المبدع فعدل عنه لأن صيغة بديع تدل على مبالغة أكثر في معنى البدع والإبداع وهو الاختراع لا على مثال سابق، والله تعالى خلق السماوات والأرض من دون احتذاء بل أنشأهن إنشاء، والكلام تأكيد لمعنى ملك الله ونفي الولدية عنه.

قوله (وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) الواو للعطف، وقضاء الله حكمه وتقديره والقصر بـ (إنما) لتأكيد أن خلقه عين قوله (كن) لذلك فرع على أمر فعل الكون يكون.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨ ﴾

قوله (وقال الذين لا يعلمون) وهم المشركون بدلالة توصيفهم بذلك في الآية السابقة في قوله تعالى (كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم)، ويؤيده سياق الكلام.

قوله (لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية) مقال المشركين اقتراح منهم على الرسول ﷺ في أن يكلمهم الله مباشرة من دون وسيط أو يرسل إليهم آية خاصة بهم غير القرآن، وتفيد (لولا) العرض والتحضيض بمعنى (هلا)، وأراد بتكليم الله إدارة حديث معهم حول صدق الوحدانية والرسالة، و(أو) للترديد، والآية المعجزة وتنكيرها كأن القرآن حكاها عنهم للنوعية وأنها غير القرآن.

قوله (كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم) أي: كذلك القول قال من سبقهم كقوم موسى حين قالوا (أرنا الله جهرة)، وقوم عيسى حين طلبوا منه (أنزل علينا مائدة من السماء).

قوله (تشابهت قلوبهم) أي: تشابهت ـ رغم تباعد الأزمان بينها ـ فيما اتصفت به قلوبهم من أفكار منحرفة وكفر وقسوة وعناد للأنبياء، ففي الإخبار معنى التعجب من الأمم الجاحدة.

قوله (قد بينا الآيات لقوم يوقنون) الفصل للاستئناف بتأكيد كفاية الحجج المنزلة للقوم الموقنين، ففي الإخبار إعراض عن اقتراح الجاهلين لأنهم يحركهم العناد والتعنت، لا الإيقان بالعلم والمعرفة.

قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ١١٩ ﴾

قوله (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) الفصل للاستئناف والابتداء بالتأكيد لأهمية الكلام، والخطاب في فعل الإرسال موجه إلى النبي ﷺ تطييبا

لنفسه من صد أهل الكتاب والمشركين عنه، والإرسال كناية عن البعث بالنبوة، والباء في (بالحق) للمصاحبة، والحق لفظ لمعاني الثبات في العدل والصدق التي لا تتغير ولا تتبدل، والبشير مبالغة في البشارة كناية عن دعوة التوحيد التي تؤول بالمؤمنين بها إلى الجنة، والنذير كناية عن التحذير للصادين المنكرين لدعوة التوحيد من الوقوع في عذاب الله، وانتصب اللفظان على الحال وكلاهما من صيغ التكثير والمبالغة، والبشارة والإنذار أساس تبليغ الأنبياء للأمم، وكل منهم يتداخل في المعنى بالآخر لأن حقيقة التبشير التحبب بالإيمان والتحذير من عاقبة الكفر وحقيقة الإنذار التخويف من عاقبة الشرك والترغيب بالإيمان.

قوله (ولا تسأل عن أصحاب الجحيم) إما أن تكون الواو للعطف فيكون من عطف الإنشاء على الخبر، أو تكون الواو للحال، والمراد بالنهي عن السؤال نفي الاهتمام بأصحاب الجحيم تجاهلا لهم ونكاية بهم، أو المراد به المجاز كناية عن تفظيع حال أهل الجيم بحيث لا ينبغي السؤال عنهم إذ السؤال لا يحيط الوصف بأحوالهم.

قوله تعالى ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾

قوله (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) توجه بالكلام إلى خطاب النبي ﷺ بعد أن جمع ملتي العناد والجحد وهم اليهود والنصارى لأنهما تحالفا ضد دعوة التوحيد، فأفاد النفي (لن) التأبيس من القبول بالدعوة المحمدية لا لاعتزازهم بدينهم بل لأنهم ابتدعوا ملة من أهوائهم وانحرافاتهم لا تتوافق وأسس الشرائع الإسلامية، ولهذا سيظل هؤلاء معاندين متظاهرين متحالفين على الباطل ولن يقنعوا بك نبيا حتى تتبعهم وتنقاد إليهم وهذا هو المحال.

قوله (قل إن هدى الله هو الهدى) أمر القول رد من الله علم به نبيه، والمعنى: إن القرآن هو الأولى بالاتباع، فـ (هدى الله) كناية عن القرآن، والقصر بالقلب بضمير الفصل (هو) وأل التعريف لحصره بالهدى ونفي ما عداه من الأهواء والانحرافات.

قوله (ولئن اتبعت أهواءهم) القسم والشرط لبيان ما عليه اليهود والنصارى من ضلال بسبب أهوائهم بأسلوب الخطاب إلى النبي ﷺ، وإلا فلم يخطر بقلب النبي قطعا اتباع أهوائهم، وفي دلالة جمع الأهواء كثرة بدعهم وضلالاتهم واستعملت هنا صريحة بدلا من: ملتهم، مثلا.

قوله (بعد الذي جاءك من العلم) أي: بعد نزول القرآن عليك، والظرف (من العلم) مقامه الحال متعلق بذي الحال المحذوف الذي في: (الذي جاءك).

قوله (ما لك من الله من ولي ولا نصير) جملة الجزاء المؤكدة بأسلوب التقديم مثل تقدم الظرف (لك) وتقديم (من الله) للأهمية على عامله (ولي)، و(من) الثانية زائدة لتأكيد النفي.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ ﴾

قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب) أي: اليهود الذين أعطاهم الله التوراة تمييزا لهذه الفئة من المتبعين لأهوائهم.

قوله (يتلونه حق تلاوته) أي: يعملون به حق العمل، لأن المراد ما يترتب على القراءة والتلاوة من آثار.

قوله (أولئك يؤمنون به) اسم الإشارة خبر (الذين)، أي: أولئك الموصوفون يؤمنون بالقرآن لا الذين اتبعوا أهواءهم.

قوله (ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون) أي: ومن يكفر بالقرآن أو بالنبي ﷺ من أهل الانحرافات والبدع فأولئك هم الخاسرون، والكفر الجحد، وفي الجزاء قصران بالضمير (هم) وأل التعريف لحصرهم بالخسران، والخسران استعارة لضياع رأس المال تشبيها لعملهم بصفقة بيع خاسرة.

قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ ﴾

قوله (يا بني إسرائيل) الفصل لأهمية النداء في التنبيه والإقبال على معنى الخبر لفهمه، والخطاب ليهود المدينة.

قوله (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) تذكير لليهود بالنعم التي أنعم بها الله على أسلافهم لأنهم يمثلونهم، والنعمة كل ما ينتفع به من رزق أو مال أو جاه أو علم أو سلطان، وإفرادها للتعظيم لأن كل نعمة من الله أصول لنعم كثيرة لا تحصى، وإضافتها إلى الله للتعظيم لأنها دالة على التكريم والامتنان، وتكرارها باشتقاق الفعل منها لبيان منة الله وتأكيدها على بني إسرائيل ولذلك استعمل اسم الموصول وصلته.

قوله (وأني فضلتكم على العالمين) العطف بمعنى واذكروا أني فضلتكم على العالمين، والتفضيل التقديم، ويعني به التقديم على عالمي أهل زمانهم فجعل النبوة فيهم والحكم، وذكرت هذا التفضيل بهذا الخطاب أكثر من أربعين مرة بغية التأكيد وبيان تفريع النعم عليهم ومقابلتها بالجحود.

قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣ ﴾

تقدم تفسير الكلام في الآية (٤٨)، فلا داعي للوقوف عليها مرة ثانية.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّـٰلِمِينَ ١٢٤ ﴾

قوله (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن) العطف لقصة على أخرى، وذكر بعض جوانب قصة إبراهيم في أواخر عمره لأن العرب من أخص الناس به وأقربهم إليه، ولأنه يراد به التمهيد للكلام عن البيت الحرام، والابتلاء الاختبار، وتقدم المفعول للاهتمام لأنه سيكون محل القصة في الآيات، والباء في (بكلمات) للملابسة، وأريد بالكلمات ما ابتلي إبراهيم من عزائم الأمور كتضحيته بابنه وإلقائه في النار وابتلائه بالكواكب والأصنام والهجرة وغير ذلك، وقوله (فأتمهن) الفاء للتفريع، والإتمام الإكمال أي صير الكلمات أفعالا، وأما فاعل الإتمام فإن كان راجعا إلى إبراهيم فالمعنى

إتيانه عليه السلام ما أريد منه وامتثاله لما أمر به، وإن كان الضمير عائدا إليه تعالى كما هو الظاهر فالمراد توفيقه لما أريد منه ومساعدته على ذلك، كذا رأي الطباطبائي. انتهى.

قوله (قال إني جاعلك للناس إماما) الكلام تفسير لابتلاء إبراهيم، والإمام معناه القدوة الذي يهتدي به الناس، فقد جعل الله شريعته الحنيفية مصدر الشرائع السماوية وانتخب من ذريته أفضل الأنبياء.

قوله (قال ومن ذريتي) أي: قال إبراهيم: واجعل من ذريتي من يؤتم به ويقتدى، والكلام من جهة إبراهيم على سبيل الدعاء أن تكون الإمامة لبعض ذريته، فـ (من) تفيد التبعيض، ولذلك أجيب بما يؤكد دعاءه ولكن بطريق نفي الإمامة عن الظالمين من ولده وليس جميع ولده ظالمين، ولم يكن إبراهيم في دعائه قد سألها إلا للبعض الذين تصلح بهم الإمامة، والذرية نسل الرجل من الأبناء والبنات، أصلها من الذر وهو صغار النمل أو من الذر بمعنى التفريق.

قوله (قال لا ينال عهدي الظالمين) أي: لا يكون الظالم إماما، وفيه إشارة إلى أن من ذرية إبراهيم من هو ظالم وهو تعريض بمدعي الإبراهيمية الحنيفية من أهل الكتاب والمشركين، والنيل الإصابة وفيه معنى الاستحقاق.

وفي الكافي عن الصادق عليه السلام: إن الله عز وجل اتخذ إبراهيم عبدا قبل أن يتخذه نبيا، وإن الله اتخذه نبيا قبل أن يتخذه رسولا، وإن الله اتخذه رسولا قبل أن يتخذه خليلا، وأن الله اتخذه خليلا قبل أن يتخذه إماما، فلما جمع له

الأشياء قال: (إني جاعلك للناس إماما) قال ﷺ: فمن عظمها في عين إبراهيم قال: ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين قال: لا يكون السفيه إمام التقي. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾

قوله (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا) الواو للعطف على ما تقدم في قوله (وإذ ابتلى)، والبيت يراد به البيت الحرام فتعريفه للعهد، والمثابة المرجع الذي يثاب إليه للعبادة، والأمن مكان طمأنينة النفس وموضع أمنها وملتجئها، والمراد بالكلام تشريع الحج والأمن لذلك وقع الأمر بعد بفعل الاتخاذ، فكأن السياق في المعنى: ثوبوا إلى البيت وحجوا إليه واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى.

قوله (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) أي: اجعلوا من مقام إبراهيم مسجدا للصلاة فيه.

قوله (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل) عهد الله بمعنى إلزامه ووصيته وأمره، وإسماعيل الابن البكر لإبراهيم الذي جاء ببشارة الملائكة حين أسن إبراهيم.

قوله (أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود) جملة تفسير لفعل العهد، والتطهير التكريم والتقديس والتعظيم، وإضافة البيت إلى ياء الجلالة لتمييزه عن سائر بيوت الله ولتعظيمه وخصوصيته، والطائفون الدائرون حوله، والعاكفون النازلون المقيمون جواره، والركع السجود إشارة إلى المصلين مجاز من ذكر الجزء وإرادة الكل، وخولف بين الصيغتين للتفنن في الكلام وكراهة تكرار الصيغة الواحدة مثل الركع السجد، وجيء بهما مفصولين لتلازمهما، ولئلا يُتوهّم أنهما وصفان مفترقان. كذا ذكره صاحب التحرير. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦ ﴾

قوله (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا) الجمل من عطف المناقب لإبراهيم على بعض، والكلام دعاء من إبراهيم لتشريف بلد بيت الله مكة

بالأمن والرزق، وكثيرا ما يرد النداء بلفظ الربوبية من دون ياء لإفادة الدعاء وللاحتراز من إرادة النداء المقصود به التنبيه لعدم لياقة ذلك بالله تعالى، واسم الإشارة للتمييز والاستحضار، والبلد كما قال الراغب: المكان المختط المحدود المتأنس باجتماع قطانه وإقامتهم فيه، وجمعه بلاد وبلدان. انتهى.

وقد يكون القاطنون فيه تجمعهم القرابة الواحدة كمكة التي سميت بذلك، وقوله (آمنا) أي: ذا أمن، وإسناد الأمن إلى البلد مجاز عقلي للمبالغة، أي: اجعله بلدا مأمونا، وقال رسول الله ﷺ يوم فتح مكة: إن الله تعالى حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض، فهي حرام إلى أن تقوم الساعة، لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد من بعدي، ولم تحل لي إلا ساعة من النهار، وهذا الخبر يدل على أن لهذه البقعة حرمة قبل دعاء إبراهيم.

قوله (وارزق أهله من الثمرات) الرزق هنا ما ينتفع به مما يتغذى به، وتفيد (من) الاستغراق في الرزق من عموم الثمرات إذ لا يستقيم التبعيض مع سياق الدعاء، والثمرات جمع ثمرة وهي ما يتغذى به، والكلام دعاء لرفاهية الساكنين في هذا البلد لأنه مقطوع عن الماء والخضرة.

قوله (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) بدل من (أهله) وهو بدل بعض من كل، وخص أهل الإيمان بالرزق حملا لأهل البلد على الإيمان بالتوحيد لعلمه أن من ذريته من لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر.

قوله (قال ومن كفر فأمتعه قليلا) أي الله تعالى قال، و(من) اسم شرط، والكفر نقيض الإيمان، والفاء للجزاء، والإمتاع اللذة المؤقتة ولذلك وصفت بالقلة، والمراد أن الكافرين تنعمهم في الدنيا محدود بالقياس إلى العذاب الأبدي.

قوله (ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، والاضطرار الالتجاء، والمراد عذاب يوم القيامة للجزاء على الكفر، وجملة (وبئس المصير) جملة ذم لسوء العاقبة، ويحتمل مقامها الحال.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾

قوله (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل) منقبة أخرى تحكيها الآية بطريقة العطف والظرف (وإذ)، والرفع الجذب من الأرض وهو استعارة من إطالة البناء وارتفاع الجدران، ودلالة الفعل المضارع لاستحضار الحالة، والقواعد أسس البناء الملاصقة بالأرض جمع قاعد، تشبيها بالقاعد، للصوقه بالأرض، وزيدت الهاء للمبالغة، والكلام مجاز يراد به البناء المرتفع، لأن رفع الأسس يعني تطاول البناء بعد الانخفاض، وفي الإبهام في (القواعد) تعظيم لشأنها، لاسيما بعد تبيينها بلفظ (البيت)، فهي أفخم شأنا لها من إضافتها لو قيل: قواعد البيت، وتعريف لفظ البيت للتعظيم والعهد.

قوله (ربنا تقبل منا) الكلام على الحكاية، وليس شرطا بمعنى تقدير فعل القول، وموقعه الحال في تمثيل شأنهما، وهما يبنيان البيت، إبراهيم ﵇ يبني، وإسماعيل ﵇ يناوله الحجر، يقولان: ربنا تقبلْ منا.

قوله (إنك أنت السميع العليم) تأكيد لعلم الله تعالى بأكثر من مؤكد بـ (إن) وبقصرين هما ضمير الفصل وأل التعريف، والسميع العليم صيغ مبالغة لتكثير معنى الصفتين، وقطع الجملة، لأنها تعليل لما سبقها من الدعاء.

قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ ﴾

قوله (ربنا واجعلنا مسلمين لك) الكلام من تتمة دعاء إبراهيم لنفسه ولابنه إسماعيل، والإسلام يعني الانقياد، وذكر طلبه في الدعاء إلهام له وتمهيد لما سيبشر بالبشارة بنبي الإسلام من ذريته، وفيه تعريض بالمشركين زمن النبي ﷺ الذين انحرفوا عن دعوة إبراهيم وصدوا عن دعوة التوحيد.

قوله (ومن ذريتنا أمة مسلمة لك) العطف بمعنى: واجعل من ذريتنا أمة مسلمة لك. وهذا من أدب الدعاء النبوي أن استعمل (من) التبعيضية لعلمه بأن الحكمة تقتضي الفتن المختلفة التي تعصف بالذرية من بعده، والأمة الطائفة من الناس، وقد تطلق على الفرد كما أطلقت على إبراهيم لعظم شأنه، وقد يتبادر إلى الذهن أن المراد بالأمة المسلمة مطلق من بعث إليهم النبي ﷺ، فهو محتمل في ظاهره، ولكن تقييد الذرية بلفظ التسليم لله -

والمحاذي لتسليمهما ـ يشير إلى أن هذه الأمة المرجوة في الدعاء لها خصوصيتها في تمام العبودية والمعرفة بالإسلام الحقيقي فلا تنطبق صفاته إلا على محمد وأبنائه من الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين ولاسيما مع إضمامة قوله (وابعث فيهم رسولا منهم)، روي في تفسير العياشي عن الزبيري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هم؟ قال أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بنو هاشم خاصة قلت: فما الحجة في أمة محمد أنهم أهل بيته الذين ذكرت دون غيرهم؟ قال: قول الله: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا، انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك، وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم)، فلما أجاب الله إبراهيم وإسماعيل وجعل من ذريتهما أمة مسلمة وبعث فيها رسولا منهم يعني من تلك الأمة يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وردف دعوته الأولى دعوته الأخرى فسأل لهم تطهيرا من الشرك ومن عبادة الأصنام ليصح أمره فيهم ولا يتبعوا غيرهم، فقال: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام رب انهن أضللن كثيرا من الناس ، فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم، ففي هذا دلالة على أنه لا يكون الأئمة والأمة المسلمة، التي بعث فيها محمدا الا من ذرية إبراهيم لقوله: أجنبني وبني أن نعبد الأصنام. انتهى.

قوله (وأرنا مناسكنا وتب علينا) فعل الرؤية يراد بها العلم، والمناسك جمع منسك اسم مكان، والسؤال بمعنى عرفنا أثرها في نفوسنا أي أثر العلم

بمواضع النسك والتعبد بها كالطواف في البيت والسعي بين الصفا والمروة والإفاضة من عرفات ورمي الجمار وليس بمعنى علمنا تطبيق التكليف، وقدم إراءة المنسك ليكون سببا لطلب التوبة من الله فإن ذلك العمل يراد به الترقب إلى الله والإنابة إليه، وطلب التوبة لأن سبيل العارفين بالله ذلك يرون أنفسهم مقصرين دائما في جنب الله وإلا فإن إبراهيم لم يرتكب ذنبا حتى يتوب منه، ولكنها من كمال العبودية الحقة لله التي يرى فيها العبد نفسه محتاجا إلى ربه دائما ساعيا إلى مرضاته.

قوله (إنك أنت التواب الرحيم) جملة تعليل لذلك قطعت عن الصلة، ومؤكدة كالسابقة في (إنك أنت السميع العليم)، لكنه لما سأل ربه التقبل ناسبها ذكر صيغة السميع العليم، ولما سأل ربه التوبة ناسبها ذكر صيغة التواب الرحيم، والفصل بين الصفات لتلازمها.

قوله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٢٩ ﴾

قوله (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) الكلام من تتمة دعاء إبراهيم عليه السلام، والواو للعطف على (وتب)، والبعث الإرسال بعد طول الهجوع، والضمير في (فيهم) عائد إلى الأمة المسلمة التي طلبها إبراهيم من ربه أن تكون من ذريته، والرسول إشارة إلى بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتنكير لفظ الرسالة

للتعظيم، وروي في التبيان عن النبي ﷺ أنه قال: أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى عليه السلام ، يعني قوله (ومبشرا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد) [الصف ٦]. انتهى.

وفي دعاء إبراهيم عليه السلام بيان لحال النبي ﷺ كانتسابه القرشي.

قوله (يتلو عليهم آياتك) أي: يقرأ على هذه الأمة آياتك، ليتبينوا إعجازها، وصدق نبوته فيها، والجملة صفة للرسول موضعها النصب.

قوله (ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) والتعليم الإفهام لأدلة التوحيد في القرآن، وبيان مقاصد الشريعة، فتعريف لفظ الكتاب للعهد، والمراد بالحكمة: القول المحكم الذي لا فساد فيه وربما أريد به تعليمهم السنة المطهرة، والتزكية التطهير، أي: يجعلهم مطيعين مخلصين لله.

قوله (إنك أنت العزيز الحكيم) جملة تعليل وتأكيد بمعنى: أنا يا رب فزعنا إليك لأنك القادر على إجابتنا والعالم بما يصلح شؤوننا، والعزة القوة والمنعة والحكمة حسن التدبير، قال الشيخ الطبرسي: وفي هذه الآية دلالة على أن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام دعوا لنبينا محمد ﷺ بجميع شرائط النبوة، لأن تحت التلاوة الأداء، وتحت التعليم البيان، وتحت الحكمة السنة، ودعوا لأمته باللطف الذي لأجله تمسكوا بكتابه وشرعه، فصاروا أزكياء، وهذا لأن الدعاء صدر من إسماعيل عليه السلام، فعلم بذلك أن النبي المدعو به من ولده، لا من ولد إسحاق، ولم يكن في ولد إسماعيل نبي غير نبينا ﷺ سيد الأنبياء. ذكر في مجمع البيان. انتهى.

وفي اختيار بعض أسماء الله العلى مناسبة دقيقة مع سياق الدعاء، ففي الأول من دعاء رفع القواعد (السميع العليم)، وفي طلب جعل الذرية المسلمة (التواب الرحيم)، وفي طلب بعث الرسول (العزيز الحكيم).

قوله تعالى ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾

قوله (ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه) الواو للعطف على الآية التي سبقت، والاستفهام (من) يراد به الإنكار والتوبيخ، وتعدية فعل الرغبة بـ (عن) بمعنى الإعراض والترك ولو عدي بـ (في) لكان بمعنى التحبيذ والحب، و(ملة إبراهيم) طريقته في العبادة وسيرته في الشريعة، وأداة الاستثناء (إلا) ملغاة لإفادة القصر، قصر السفه وخفة العقل على من ترك ملة إبراهيم، والسفه نقصان العقل، وفي الكلام دلالة على الحنيفية الواحدة لملتي إبراهيم ونبينا ﷺ وإن هذه من هذه مع زيادات في ملة محمد ﷺ وأن الحمقى والكفار هم من يرغبون عن اتباع النبي محمد ﷺ.

قوله (ولقد اصطفيناه في الدنيا) جملة معطوفة على ما سبقها لرفعة مقام إبراهيم، و(لقد) قسم وتحقيق لأهمية الخبر، والاصطفاء اختيار الله له من بين خلقه في الدنيا نبيا خليلا له سبحانه.

قوله (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) جملة عطف بأشد التأكيدات كحرف النسخ واللام الواقعة في الخبر، وتقديم الظرف للأهمية، وصياغة المعنى

بالجملة الإسمية للدلالة على الثبات واللزوم، وخص إبراهيم بالذكر بأنه من الصالحين وهو في الدنيا كذلك للإشارة إلى أنه من أهل الكرامة على الله والثواب المستوجبين عنده رفعة المنزلة.

قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾

قوله (إذ قال له ربه أسلم) الظرف (إذ) متعلق بفعل الاصطفاء ولهذا يرجح أن يكون الأمر قبل النبوة وقت فتوة إبراهيم وخروجه من السرب، وقول الله له تعالى بمعنى إلهامه لإبراهيم بالتوحيد والإسلام، وحقيقة الإسلام التسليم والخضوع لله وحده وتفويض العبد إليه كل ما عنده، ونقل في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبها أحد قبلي: الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو الأداء، والأداء هو العمل الصالح. انتهى.

قوله (قال أسلمت لرب العالمين) أي: أخلصت الدين وخضعت مطيعا لله رب العالمين، واللام المقترن بلفظ الربوبية أداة التعليل، ولذلك اختيرت صيغة (رب العالمين)، إذ الله تعالى المالك المدبر لهذه العوالم، وهو المستحق أن يدان بدينه سبحانه.

قوله تعالى ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾

قوله (ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب) التوصية هنا بمعنى الإلزام لا الاختيار، والباء في (بها) للتعدية، والضمير عائد إلى الملة أو الكلمة في قوله (أسلمت لرب العالمين)، ويؤيدها قوله تعالى (وجعلها كلمة باقية في عقبه)، وخص بالتوصية البنين ـ مع أنه كان يدعو الجميع إلى الإسلام ـ لأنهم الأجدر بالتزامها، ومن بنيه إسحاق المشار إليه بابنه يعقوب، والعطف في قوله (ويعقوب) بمعنى: ووصّى بها يعقوب بنيه الاثني عشر.

قوله (يا بني إن الله اصطفى لكم الدين) قطع الكلام لأنه مضمون التوصية التي أدمج بها قول إبراهيم وحفيده يعقوب، والمعنى: إن الله اختار لكم دين الإسلام، والتصريح بلفظ الله للتعظيم، وتعريف الدين للعهد ويراد به الإسلام، وفي هذا الإخبار المؤكد دلالة الالتزام التي فرع عليها ما بعدها بالموت عليه.

قوله (فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) الفاء للتفريع، والنهي عن الموت مجاز عقلي يراد به النهي عن الترك، والمعنى: فلا تفارقوه والتزموا به حتى الموت، وجملة المستثنى بـ (إلا) موقعها الحال بمعنى: لا تموتوا إلا مسلمين، قال في الميزان: وفي الكلام جملة أن دين إبراهيم هو الإسلام والموروث منه في بني إبراهيم كإسحاق ويعقوب وإسماعيل، وفي بني إسرائيل، وفي بني إسماعيل من آل إبراهيم جميعا هو الإسلام لا غير، وهو الذي أتى به إبراهيم من ربه فلا حجة لأحد في تركه والدعوة إلى غيره. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِىۖ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِۦمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾

الخطاب لأهل الكتاب بمعنى: إنكم لم تكونوا حاضرين وقت وصية يعقوب لبنيه بالحنيفية، فلم يبعث الأنبياء ليوصوا باليهودية والنصرانية.

قوله (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت) (أم) هنا منقطعة بمعنى (بل)، والاستفهام يقدر بعدها، أي: بل أكنتم شهداء، ويفيد الإنكار، والشهداء جمع شهيد، ويراد به الحضور والإدراك العياني.

قوله (إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي) الظرف (إذ) بمعنى حين سأل يعقوب بنيه، والسؤال بـ (ما) وليس (من) لأن الناس كانوا يعبدون الأصنام، و(من) زائدة للتأكيد، و(بعدي) أي: من بعد وفاتي وموتي.

قوله (قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا) أي: نتمسك بعبادة الله عبادة التوحيد الذي عرفنا به سبحانه برسله، وهو أنت وآباؤك، وذكر إبراهيم وإسماعيل ضمن الآباء، لأن الجد والعم في أدبيات العرب يسمون بذلك تعظيما لمقامهما، وتقدم ذكر إسماعيل، لأنه أكبر من إسحاق فهو بكر أبيه، وقوله (إلها واحدا) إيجاز بعد إطناب، يراد به دفع توهم تعدد الآلهة، كما يفعل الوثنيون، بل هو إله واحد ليعقوب وآبائه.

قوله (ونحن له مسلمون) يحتمل الواو أن يكون للعطف أو للحال، والكلام جيء بصيغة الجملة الإسمية لإفادة اللزوم والثبات، وهو نهج عبادتهم على دين الإسلام، فهو الموروث الجامع لبني إبراهيم جميعا في بني إسرائيل وبني إسماعيل.

قوله تعالى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾

قوله (تلك أمة قد خلت) اسم الإشارة للتنويه بإبراهيم وبنيه، وسموا أمة لعظم شأنهم كونهم قدوة يقتدى بهم، ووصفها بالخلو يراد بها مضي السيرة المحمودة وشأن الكرامة عند ربهم التي يجدر بمن يأتي من بعدهم ممن يدعي الانتماء إليهم أن يمضي على ما مضوا من دين الحنيفية وأن يسلموا لله وألا يتسموا بغير ذلك.

قوله (لها ما كسبت ولكم ما كسبتم) تحتمل الجملة أن يكون موقعها الحال. واللام في (لها) للملك والاستحقاق وضمير الغائب عائد إلى الأمة والتقديم يفيد القصر، والكسب ما ينتفع به من عمل، وضمير الخطاب في (لكم) ليهود المدينة، والكلام من باب المقابلة يراد به تأكيد العمل دون الاتكال على النسب، فكما أن أولئك لا ينفعهم سوى عملهم كذلك أنتم لا ينفعكم إلا ما عملتم، وروى صاحب الكشاف عن النبي ﷺ قوله: يا بني هاشم، لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم. انتهى.

قوله (ولا تسألون عما كانوا يعملون) إخبار تقريري آخر للمعنى نفسه، أي: وكما لا تنفعكم حسنات آبائكم كذلك لا تؤاخذون بسيئاتهم. ونفي السؤال بمعنى لا تحاسبون على فعل الآباء وبالضمن تحاسبون على أفعالكم.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٣٥ ﴾

قوله (وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا) الواو للعطف على قوله (ومن يرغب عن ملة إبراهيم)، وضمير الجمع في فعل القول عائد إلى اليهود والنصارى، والخطاب في (كونوا) على الحكاية من كلامهم إلى النبي ﷺ والمسلمين بمعنى: اتبعوا، فقد قيل إن بعض أحبار اليهود ونصارى نجران ادعى كل فريق منهم أفضلية دينه ونبيه وكتابه على الإسلام وقرروا أن اتباعهم سبيل الاهتداء، وتفيد (أو) التقسيم بعد الجمع في (كونوا) لأن في الكلام إيجازا أصله: أن كل فريق قال ذلك الكلام ودعا لنفسه، أي: وقالت اليهود كونوا هودا تهتدوا، وقالت النصارى كونوا نصارى تهتدوا، ومعنى (تهتدوا) إصابة طريق الحق، وجزم لأنه جواب الأمر في (كونوا).

قوله (قل بل ملة إبراهيم حنيفا) قل: أي أجبهم يا محمد ﷺ، و(بل) للإضراب عما تقدم، ونصب لفظ الملة على تقدير العطف على المعنى في (كونوا) أي نتبع ملة إبراهيم، والملة الدين والشريعة، أو يحتمل على تقدير الحذف بمعنى: بل نكون ملة إبراهيم، وهي الحنيفية التي وقت وصفية حالية

في (حنيفا) والحنيف المستقيم العادل عن طريق الباطل إلى الحق، وفي وجوب اتباع ملة إبراهيم لما فيها من استقامة وسلامة من الانحرافات والتناقضات التي حفلت بها اليهودية والنصرانية.

قوله (وما كان من المشركين) الواو للحال، والإخبار بنفي كون إبراهيم عن الشرك دال على إثباته على اليهود والنصارى فقد قالت اليهود عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله.

قوله تعالى ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾

قوله (قولوا آمنا بالله) الخطاب للنبي ﷺ وقومه ردا على ما طلب منهم أن يكونوا هودا أو نصارى، وقدم الإيمان بالله لأنه أصل كل استقامة، والعدول عنه أصل كل باطل.

قوله (وما أنزل إلينا) أي: آمنا بالقرآن وإنما العدول إلى التكنية عنه بفعل الإنزال لتعظيم المنزل، وحرف الجر لانتهاء الغاية واستقرار شريعته بالوساطة عن النبي فإن إسناد الفعل إلى ضمير الجمع مجاز عقلي لنكتة المبالغة لأن حقيقة الإنزال على النبي وحده.

قوله (وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط) والأسباط جمع سبط وهو نسل يعقوب من أولاده الاثني عشر وهم بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل، ولا يدل ظاهر فعل الإنزال على أن جميعهم كانوا أنبياء.

قوله (وما أوتي موسى وعيسى) فعل الإتيان بمعنى الإعطاء والذي أوتيه موسى التوراة وما أوتيه عيسى الإنجيل وخصا بالذكر لأنه احتجاج على اليهود والنصارى، وفي التسلسل التاريخي لأسماء الأنبياء وإيراد الترتيب الزمني دقة لا يشوبها الريب أنها من الإعجاز القرآني التاريخي للأمم السابقة، ولاسيما مراعاة الفاصل التاريخي للأزمان بين إبراهيم وبنيه وبين موسى وعيسى عليهم السلام الممتد، فليس التفنن الكلامي السبب وحده في التغاير بين فعل الإنزال والإتيان بل للإشارة إلى الأزمان المختلفة فكأنه جمع إبراهيم وبنيه بزمن، وأشير إلى زمن آخر لقوم موسى وعيسى عليهما السلام.

قوله (وما أوتي النبيون من ربهم) أي: ما أعطي النبيون كزبور داوود.

قوله (لا نفرق بين أحد منهم) جملة حالية من ضمير الجمع في (آمنوا)، ونفي التفرقة بمعنى نفي الإيمان ببعض والكفر ببعض كما تفعل اليهود والنصارى، والظرف (بين) يحتاج متباينين لذلك الكلام فيه حذف للإيجاز والتقدير: لا نفرق بين أحد وآخر منهم، والضمير في (منهم) أي من الأنبياء.

على أن الإيمان بالأنبياء السابقين ـ على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ـ وبكتبهم وشرائعهم لا يعني الالتزام بالعمل بها بل لنا شريعتنا الناسخة لكل الشرائع السابقة.

قوله (ونحن له مسلمون) تقدم نظيرها في الآية (١٣٣).

قوله تعالى ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٣٧ ﴾

قوله (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا) الفاء للتفريع على جملة (آمنوا بالله)، وضمير الجمع في فعل الإيمان راجع إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والإيمان التصديق والباء في (بمثل) للتعدية، والجملة تربط الهداية الصحيحة بالإيمان الصحيح الذي فصل فيه الكلام في الآية السابقة وهو الإيمان الكامل غير المجزأ كما يؤمن المسلمون غير مفرقين بين الرسل فلا يؤمنون ويكفرون ببعض، وصيغة الافتعال في فعل الاهتداء للمبالغة في الإخبار عن هداهم، وفي الكلام تنويه بدين الإسلام، وتبكيت لأهل الكتاب، لأن دين الحق واحد هو دين الإسلام وبه نسخت جميع الأديان.

قوله (وإن تولوا فإنما هم في شقاق) الواو للعطف لأن الكلام للحصر بين الإيمان والإعراض، والتولي هنا كناية عن الجحود والإعراض، وجواب الشرط جملة الحصر عدل بها عن الجملة الفعلية لإفادة قصر الشقاق عليهم،

و(في) مجاز للظرفية الزمانية وهو استعارة للمبالغة في دخول المخالفين دخولا مشتملا عليهم.

قوله (فسيكفيكهم الله) الفاء للتفريع، والكفاية الاغتناء، والإخبار وعد منه سبحانه لنبيه ولذلك خصه وحده به عناية وتكريما، وقد أنجز الله وعده فدفع عن النبي ﷺ كيدهم ونصره عليهم ولا ريب في أن الله منجز وعده وسيتمه يوما ما.

قوله (وهو السميع العليم) جملة تذييل وتعليل، والله السميع لكل ما يسمع والعليم بما خفي عن كل خاف سواه، وفي الكلام تأكيد شديد بالقصر، والفصل بين الصفتين لتلازمهما ولأن موصوفهما واحد.

قوله تعالى ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨ ﴾

قوله (صبغة الله) الصبغة مصدر الفعل صبغ وهو ما يصبغ به، وانتصب على تقدير اتبعوا، والمراد اتبعوا فطرة الله وما أودع فيكم من العقل الذي ميزكم به عن سائر المخلوقات، فاصطبغوا بهذه الصبغة لا ما يدعيه الكهنة لليهود من الاغتسال للكفارة أو ما يعمد به النصارى أولادهم بماء أصفر ويدعون ذلك تطهيرا لهم، لذا أمر الله المؤمنين أن يقولوا: آمنا وصبغنا الله بصبغة الايمان، من باب المشاكلة في الكلام.

قوله (ومن أحسن من الله صبغة) الواو للعطف، والاستفهام يفيد الإنكار، أي: لا أحد صبغته أحسن صبغة من الله.

قوله (ونحن له عابدون) الواو للحال أي ونحن عابدون لله وحده، وفي الكلام تأكيد باختصاص الله بالعبادة من دون سواه.

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ ﴾

قوله (قل) الخطاب للنبي ﷺ على سبيل العناية والتلقين.

قوله (أتحاجوننا في الله) الاستفهام للإنكار في التوبيخ، والخطاب إلى أهل الكتاب من اليهود والنصارى لأنهم ادعوا أن الدين يلتمس من طريقهم لأنهم أسبق في الكتاب والنبوة، والمحاج والمحاججة الجدال، وتفيد (في) الظرفية المجازية، أي: لا ينبغي لكم الجدال في أمر عبادة الله لأن المعبود واحد.

قوله (وهو ربنا وربكم) جملة حالية، والضمير (هو) للقصر، والرب المالك المدبر.

قوله (ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم) الإخبار بمعنى لا أحد يحاسب على أعمال غيره، واللام في (لنا) و (لكم) للاستحقاق، والأعمال لفظ جامع لكل ما يصنعه الإنسان من عبادات أو معاملات.

قوله (ونحن له مخلصون) جملة حالية تحاذي قوله تعالى (ونحن له عابدون)، والإخلاص صفة عالية في الإيمان والعبادة، وفي المجمع: روي عن حذيفة بن اليمان قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت جبريل عليه السلام عن ذلك، قال: سألت رب العزة عن ذلك فقال هو سر من سري، استودعته قلب من أحببته من عبادي، وروي عن أبي إدريس الخولاني، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن لكل حق حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شيء من عمل الله. انتهى.

وفي نهج البلاغة: أول الدين معرفته وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه. انتهى.

قوله تعالى ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾﴾

قوله (أم تقولون) بحسب الخطاب الموجه في (تقولون) تكون (أم) متصلة بما قبلها من الاستفهام المفيد للإنكار في قوله (أتحاجوننا)، والخطاب إلى أهل الكتاب زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله (إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى) فقد ثبت أن إبراهيم عليه السلام وبنيه حنفاء مسلمون لله ومن جاء من

بعدهم أقروا بذلك وإنما اليهودية والنصرانية من ابتداع الكهنة والأحبار، فاليهودية تطلق على من تمسك بشريعة التوراة والنصرانية على من دان بشريعة الإنجيل وكلاهما أنزلا من بعد إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ولذلك وبخهم القرآن لأن هؤلاء الأنبياء كانوا على الحنيفية.

قوله (قل أأنتم أعلم أم الله) الاستفهام إنكاري يراد به الاحتجاج والتوبيخ لأنهم ألزموا أنفسهم بهذا الادعاء أنهم أعلم من الله لأن الله أخبر أن إبراهيم وبنيه لم يكونوا هودا ولا نصارى وفي ذلك غاية الخزي للمدعين من أهل الكتاب.

قوله (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) أي: لا أحد أظلم، والكلام من جملة أمر القول، استفهام مجازي يفيد الإنكار، و(ممن) مكونة من حرف الابتداء(من) و(من) اسم موصول بمعنى الذي، والكتمان والكتم والكتمان الإسرار، والشهادة إقرار باللسان، والضمير في (عنده) راجع إلى الضمير في اسم الموصول (من)، و(من) في قوله (من الله) ابتدائية بمعنى: شهادة بلغة من الله بوساطة رسله، وعلماء اليهود والنصارى هم المخصوصون بالكتم فقد عرفوا أن هؤلاء الأنبياء ـ أعني إبراهيم وبنيه ومن ذكروا ـ حنفاء لا يهود ولا نصارى ولكنهم كتموها وأضلوا عامة أمتهم وتركوهم مسترسلين على عقائد باطلة.

قوله (وما الله بغافل عما تعملون) تتمة القول المحكي، وفيه اشد النفي عن نسيان الله لأعمالهم وجحودهم وإنكارهم، وهو إخبار متضمن معنى التهديد لأهل الكتاب.

قوله تعالى ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ﴾

تكررت الآية لأن أهل الكتاب كانوا يبالغون في ادعاء أن إبراهيم كان يهوديا، لذلك أعادت الذكر بأن ما يجب الانتفاع به من ذكر الأمم القديمة الاعتبار والاتعاظ لا الادعاء والكذب.

قوله تعالى ﴿ ۞ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾

ذكرت الآيات فيما سبق إبراهيم عليه السلام وبنيه وأن ملتهم الحنيفية وذكرت من خلاله البيت الحرام ومن نافذة قصته ذكر تحويل القبلة من بيت المقدس إلى البيت الحرام فكان أن تم الربط على أتم ما يكون بين زمني إبراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فقربت المسافة الزمنية الممتدة لأربعة آلاف سنة بينهما.

قوله (سيقول السفهاء من الناس) دخول السين على الفعل مضارع فعل القول يدل على إن الإخبار عن المستقبل القريب بشأن تحويل قبلة المسلمين من بيت المقدس، وتعريف السفهاء للعهد ويراد بهم اليهود والمشركون،

والسفيه خفيف العقل ضعيف الرأي. و(من الناس) أي من بعض الناس زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله (ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) السؤال بـ (ما) للاستفهام التعجيبي المحكي عن السفهاء، والتولي الانصراف والتحويل والضمير (هم) فيه راجع إلى المؤمنين أي: ما الذي صرف المسلمين عن بيت المقدس، وأريد بالقبلة جهة بيت المقدس لأنهم كانوا يتجهون في الصلاة إليه قرابة عام نصف ـ وقيل أقل ـ في أول هجرتهم إلى المدينة وكان اليهود يعيرون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بذلك وأنه تابع لهم، وقد كان في العدول بالقبلة إلى مكة ضربة قوية لتباهي اليهود على العرب المسلمين وتعزيز للمسلمين في الانشداد أكثر إلى الإسلام والبيت الحرام.

قوله (قل لله المشرق والمغرب) تقديم الظرف للاختصاص، فالله تعالى المالك لجميع الجهات التي تشير إليها جهة مسير الشمس من شروقها إلى غروبها، والإخبار متضمن معنى أن العبرة تكمن في الإيمان لا الجهة، وفي الكلام إبطال للقائلين من اليهود إن الأرض المقدسة أولى بالتوجه إليها، لأن الله تعالى له الأرض كلها، بحكمته يُشرّف أيّ جهة يشاء.

قوله (يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) الجملة موقعها الوصف للفظ الجلالة، فالله تعالى هو المالك الهادي، والإشاءة انبنت لحكمتها على المجازاة والاستعداد من العبد، و(إلى) لانتهاء الغاية، والصراط إشارة إلى

دين الحق الإسلام وتنكيره لتعظيمه وخصوصيته، ووصفه بالمستقيم لأنه مفض إلى النجاة والراحة.

قوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾

قوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) الكاف في (كذلك) إشارة إلى الهداية التي انعم الله بها على الأمة في قوله (يهدي من يشاء) وفي هذه الآية إنعام بعدالتهم ووسطيتهم، والأمة الطائفة من الناس التي يجمعها المعتقد الواحد أو الأرض الواحدة، ولفظ الوسط معناه العدل فقد جعلهم الله واسطة وعدلا بين الرسول والناس، وقيل: هم أهل البيت، وفي الكافي للكليني روي عن الباقر عليه السلام قوله: نحن الأمة الوسط، ونحن شهداء الله تبارك وتعالى على خلقه، وحجته في أرضه. انتهى.

وفي نهج البلاغة قول أمير المؤمنين عليه السلام في ذكر أهل البيت: إليهم يفئ الغالي، وبهم يلحق التالي. انتهى.

وروى الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل بإسناده عن سليم بن قيس الهلالي عن علي (عليه السلام): إن الله تعالى إيانا عنى بقوله (لتكونوا شهداء على الناس) فرسول الله شاهد علينا، ونحن شهداء الله على خلقه، وحجته في أرضه، ونحن الذين قال الله تعالى: (كذلك جعلناكم أمة وسطا). انتهى. فعلى هذا تكون صفة شهادة الأمة صفة فضيلة فيهم لا بمعنى اتصاف كل فرد بها، بل المراد إن فيهم من يشهد على الأمم.

قوله (لتكونوا شهداء على الناس) اللام للتعليل، والشهداء جمع شاهد ويراد بهم الحجج على الخلق يوم القيامة يشهدون عليهم بأعمالهم عند الله.

قوله (ويكون الرسول عليكم شهيدا) أي: والرسول يكون حجة على الشهداء يوم القيامة، وحرف الجر (على) يفيد معنى الاستعلاء لأن الشاهد رقيب مهيمن على المشهود له، وتأخرت صلة الشهادة في الجملة الأولى (على الناس) بينما تقدمت في الثانية (عليكم شهيدا) لأن في الأولى يراد إثبات شهادة أمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على الأمم، وفي الثانية أريد اختصاصهم بكون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شهيدا عليهم.

قوله (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) أي: وما جعلنا القبلة التي كنت تتوجه بها إلى بيت المقدس إلا لنعلم المتبع المخلص لك من المنافق، فتعريف القبلة للعهد ويراد بها بيت المقدس، وفي (عليها) استعارة من المجاز الاستعلائي كأنه كان يطير بها متجها إلى بيت المقدس، و(إلا) أداة استثناء للحصر، وفعل العلم وإسناده

إلى نون العظمة يراد به التبيين والإظهار لا العلم بعد جهل لأن ذلك لا ينطبق على الله تعالى، واتباع الرسول كناية عن طاعته من دون تشكيك، و(ممن) مكونة من حرف الابتداء (من) واسم الموصول (من) والانقلاب على العقبين كناية عن النكوص والارتداد ويراد بهم المنافقون، لأن النكوص يستوجب إظهار عقب القدم على وجه الحقيقة.

قوله (وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله) أي: وإن كانت تحويلة القبلة عن بيت المقدس ثقيلة والاستثناء تأكيد لمن هداهم الله فإن إيمانهم ثابت لا يهتز بتحويل الاتجاهات، و(إن) حرف تأكيد مخفف، واللام في (لكبيرة) للتأكيد واقعة في خبر (إن)، ولفظ الكبير مستعار للشاق الثقيل، والضمير العائد إلى الموصول في (هدى الله) محذوف تقديره هداهم الله مفهوم من السياق.

قوله (وما كان الله ليضيع إيمانكم) الجملة حالية، والإخبار مؤكد بحفظ الله لأعمال المؤمنين، واللام في (ليضيع) تفيد التأكيد وتسمى بلام الجحد المسبوقة بالكون المنفي. والإضاعة تضييع الحق، وقوله (إيمانكم) للمبالغة وأراد به أعمالكم النابعة من إيمانكم.

قوله (إن الله بالناس لرءوف رحيم) جملة تذييل، وصيغت بأشد التأكيدات للزوم المعنى وثباته، فـ (إن) حرف تأكيد، واللام في (لرؤوف) للتأكيد واقعة في خبر (إن)، وتقديم الظرف (بالناس) للأهمية، وصيغتا الرؤوف الرحيم مبالغة للتكثير والرأفة أخص من الرحمة بالمعنى.

ومن بديع نظم الآية اشتمالها على أربعة لامات اثنان منها للتعليل وهما قوله (لتكونوا شهداء) وقوله (إلا لنعلم)، واثنان للتأكيد وهما قوله (وإن كانت لكبيرة) وقوله لتأكيد النفي (وما كان الله ليضيع).

قوله تعالى ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾

قوله (قد نرى تقلب وجهك في السماء) الآية مقامها التعليل لتشريع القبلة نحو مكة وهو تطييب خاطر النبي ﷺ لأن اليهود عيروه بتبعيته لهم ولا يعني رضاه القبلة لبيت الله الحرام نفي ارتضاه لبيت المقدس أن يكون قبلة إذ ليس للنبي ﷺ إلا الطاعة وإنما السبب لأن الكعبة قبلة أبيه آدم، وأدعى للعرب إلى الإيمان لأنها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم، ولما ذكر من تفاخر اليهود عليه وتعييرهم للمسلمين بأنهم الأمة الأقدم التي منها يؤخذ الدين، وأصل استعمال (قد) مع الفعل للتأكيد، وهي هنا بمعنى التكثير، وجيء بالفعل المضارع للتجدد للازم فعل الرؤية وهو الوعد، والرؤية للعلم.

وتقلب الوجه في السماء كناية عن إدامة الرسول ﷺ في التفكر وارتقاب أمر الله، فقد قال المفسرون ـ ومنهم صاحب أسباب النزول ـ في سبب نزولها: كانت الكعبة أحب القبلتين إلى رسول الله ﷺ، فقال لجبريل: وددت

أن الله صرفني عن قبلة اليهود إلى غيرهما، فقال له جبريل عليه السلام: إنما أنا عبد مثلك، وأنت كريم على ربك، فادع ربك وسله، ثم ارتفع جبريل، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يديم النظر إلى السماء رجاء أن يأتيه جبريل بالذي سأل ربه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله (فلنولينك قبلة ترضاها) الفاء للتعقيب، واللام موطئة للقسم، والنون في الفعل للتأكيد ودلالة الفعل المضارع المؤكد وعد للرسول بتحقيق تحويل القبلة، والتولي التوجيه والانصراف، والقبلة جهة الأمام، مصدر غلب على قبلة الصلاة، و(ترضاها): بمعنى: تحبها وترغب بها، لا بمعنى سخطه على القبلة الأولى.

قوله (فول وجهك شطر المسجد الحرام) الفاء للتفريع على الوعد، وفعل أمر التولي بمعنى حول وجهك للصلاة، وخص الوجه بالذكر لأنه به يعرف التوجه إلى الصلاة، فهو مجاز مرسل يراد به نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والشطر معناه الجهة والناحية، والمسجد الحرام هو بيت الله في الكعبة ووصف بالحرام للتعظيم، لأنه يمنع فيه الاعتداء والقتال والصيد ونحو ذلك مما عرف قبل الإسلام، وفصّلته الشريعة أكثر.

قوله (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) التفات في الخطاب إلى عموم المسلمين في التوجه في الصلاة إلى الكعبة أينما يكونون، في بر أو بحر، في سهل أو جبل.

قوله (وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم) الواو للعطف، والابتداء لأهمية الخبر، والذين أوتوا الكتاب هم علماء اليهود وتعريف الكتاب للعهد وهو التوراة، واللام في (ليعلمون) واقعة في خبر (إن) للتأكيد، والضمير في (أنه) راجع إلى تحويل القبلة، ولفظ الحق لأن أهل الكتاب متيقنون من أن تحويل القبلة حق وأمر من الله، لأنه كان في بشارة أنبيائهم برسول الله أنه يصلي إلى القبلتين لذلك أورد بأسلوب القصر بأل في لفظ الحق، و(من) ابتدائية.

قوله (وما الله بغافل عما يعملون) إخبار مؤكد متضمن معنى تهديد اليهود.

قوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾

قوله (ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك) الخطاب للنبي ﷺ تأييس له من إيمان أهل الكتاب به، والواو للعطف على قوله (وإن الذين أوتوا الكتاب)، و(لئن) قسم مُهِّد له باللام، وشرط حرفه (إن)، وإسناد الآية إلى النبي ﷺ في فعل الإتيان مجاز عقلي للمبالغة، لأن الآيات تنزل عليه من الله بوساطة الوحي، وفعل الإتيان بمعنى التبليغ، والباء في (بكل) للتعدية، والآية يراد بها عموم المعجزة، بمعنى أن مشكلة أهل الكتاب ليست

مع القرآن بل مع إرسال نبي من غير ملتهم لذلك لن يؤمنوا بك حتى لو أنزلت عليك مختلف المعجزات، وجملة نفي اتباع القبلة جواب الشرط، وهي كناية عن عدم طاعة النبي ﷺ لأنهم كانوا ينافقون المسلمين فلما تحولت القبلة إلى الكعبة انكشف نفاقهم ولم يتبعوا النبي في ذلك.

قوله (وما أنت بتابع قبلتهم) نفي مؤكد لاتباع النبي ﷺ قبلة اليهود كناية عن نفي نسخ الحكم مستقبلا.

قوله (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) أي: لا يتبع أهل الكتاب قبلة بعض، فالنصارى تتوجه إلى المشرق حيث ولد عيسى واليهود إلى بيت المقدس، لذلك محال أن يتبع بعضهم قبلة بعض، وفي مطاوي الكلام إخبار بالغيب إلى أن اليهود لن يكونوا نصارى كلهم ولا النصارى يصيرون يهودا كلهم.

قوله (ولئن اتبعت أهواءهم) العطف على ما تقدم، والقسم والشرط للتأكيد لبيان العلة وهو الجزاء، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد به نهي أمته عن طاعة الكتابيين، والاتباع يراد به الانقياد والتولية، وسماها أهواء إشارة إلى ضلال علمائهم وميولهم، وبيع ذممهم برخيص الدنيا.

قوله (من بعد ما جاءك من العلم) قيد لجملة فعل الشرط، أي: من بعد علمك بما أنزل عليك من الوحي والآيات، و(من) الأولى للتأكيد، و(من) الثانية ابتدائية.

قوله (إنك إذا لمن الظالمين) الجملة إسمية مؤكدة بـ (إن) واللام الواقعة في خبرها أقيمت مقام الجزاء، لإفادة لزوم الظلم وثباته في حال اتباع علماء

الدس والتحريف من الكتابيين ومداراتهم، والخطاب تهديد للأمة بوساطة الرسول ﷺ.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ﴾

قوله (الذين آتيناهم الكتاب) فصل الجملة، لأن مقامها التعليل للنهي عن اتباع أهواء أهل الكتاب، والضمير في اسم الموصول يراد به العلماء من حملة الكتاب، وفعل الإتيان هنا بمعنى الإعطاء، وتعريف الكتاب يراد به التوراة.

قوله (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) جملة (يعرفونه) مقامها الخبر، والهاء في الفعل عائد إلى النبي ﷺ أي: يعرفونه بصفته واسمه، لأن الكلام دال عليه، وفي بلاغة الإضمار من غير سابق ذكر له تفخيم، وإشعار بأنه لشهرته وكونه علما معلوم من غير إعلام، والتشبيه يراد به تمثيل المعرفة وتشخيصها، فهم يميزون النبي لشدة ما ثبت من صفته في كتبهم وتوضح، كما يميزون أبناءهم، قال صاحب الكشاف: وخصوصية صورة التشبيه بالأبناء، لأن الذكور أشهر وأعرف، وهم لصحبة الآباء ألزم للآباء وألصق بهم. انتهى.

قوله (وإن فريقا منهم ليكتمون الحق) إخبار ثان عنهم، وهو شدة كتمان أمر التبشير بالنبي ﷺ وأشير إليه بلفظ الحق، لثبات صدوره عن الله وتحقيقه

في التوراة، والتبعيض في (منهم) لإخراج الفئة القليلة من علماء اليهود، التي آمنت بالنبي ﷺ كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار.

قوله (وهم يعلمون) جملة حالية، قطع بها العذر عليهم، لأنهم كتموا الحق عن أهله في حال من العلم بما يفعلون فلم يكونوا غافلين فيعذروا.

قوله تعالى ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾

قوله (الحق من ربك) أي: ذلك الذي جاءك من الوحي والآيات هو الحق من ربك، وكونه حقا لأنه صادر عن الله مقطوع في يقينه وثبات صدقه، فلا شيء يغيره ولا باطل يعتريه، و(من) ابتدائية، وخصوصية إضافة لفظ الرب إلى كاف خطاب النبي ﷺ للعناية والتشريف.

قوله (فلا تكونن من الممترين) الفاء تفيد التفريع، التي بها صح تفريع نفي الشك عن ثبات الحق، والامتراء أصله الاستدرار، ومعناه الشك، والخطاب للأمة لأن النبي ﷺ غير شاك ولا ممتر.

قوله تعالى ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾

قوله (ولكل وجهة) أي: ولكل من الملل كاليهود والنصارى جهة وقبلة خاصة بهم، والوجهة اسم للجهة، ونون لفظ الكل الدال على العموم والإحاطة بتنوين العوض على تقدير مضاف بمعنى: لكل أمة.

وقوله (هو موليها) ضمير الفصل (هو) عائد إلى الضمير في (لكل)، ومعنى موليها: مقبل عليها، متول لها، والجملة الإسمية مقامها الصفة لوجهة.

قوله (فاستبقوا الخيرات) جملة مفرعة على الإخبار السابق عليها، بمعنى: اتركوا الشجار في أمر القبلة، وسارعوا إلى عمل الخير، واغتنموا الخيرات، والاستباق استعارة للظفر بما ينفع، تشبيها للخيرات بالمغانم، التي يستبق الناس إليها، ولذلك تعدى فعل الاستباق بنفسه، لتضمنه معنى الاغتنام.

قوله (أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا) أي: في أي جهة كنتم يجلبكم الله تعالى إليه، فلا يفلت أحد منه، لذلك مقام الكلام علة للتي قبلها باستباق الخيرات.

قوله (إن الله على كل شيء قدير) علة لذلك التعليل، وهو قدرته تعالى على كل شيء، لذلك لم يعطف الكلام وفصل عن سابقه، والإظهار في موقع الإضمار للفظ الجلالة للتعظيم، وتقديم الظرف (على كل شيء) للأهمية، ولفظ القدير صفة مشبهة عن كمال القدرة.

قوله تعالى ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٤٩ ﴾

قوله (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) الواو للعطف على ما تقدمن ودلالة الظرف (من حيث) المكان، ومعنى فعل الخروج الذهاب إلى أي مكان يحل فيه النبي ﷺ، والفاء في (فول) لعطف حكم على حكم، والتولي التوجه، والخطاب للنبي ﷺ وأمته في استقبال القبلة جهة الكعبة في البيت الحرام.

قوله (وإنه للحق من ربك) الواو للعطف، والكلام تأكيد للاهتمام بأمر القبلة، ووصفت بالحق لصدور تشريعها من الله تعالى، و(إن) حرف تأكيد واللام في (للحق) واقعة في خبرها للتأكيد، ويفيد تعريف الحق القصر.

قوله (وما الله بغافل عما تعملون) إخبار متضمن معنى الوعيد في عدم الامتثال لأمر الله.

قوله تعالى ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٥٠ ﴾

قوله (ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام) إعادة الكلام لأهمية التشريع، فتوجه بالخطاب إلى النبي ﷺ وأعقبه بأمر الأمة زيادة في التأكيد.

قوله (وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره) خطاب إلى عامة الأمة المسلمة بالتوجه إلى قبلة المسجد الحرام، وخصوصية ذكر الوجه لأن به يتوجه إلى القبلة.

قوله (لئلا يكون للناس عليكم حجة) جملة تعليل لأمر استقبال قبلة الكعبة، حتى لا يكون لليهود عليكم حجة، لأنه ثابت عندهم أن البيت الحرام قبلة النبي ﷺ.

قوله (إلا الذين ظلموا منهم) استثناء منقطع، أي: لكن الذين ظلموا من علماء اليهود لا ينقطعون بالحجة والبرهان ولا يخشون الله.

قوله (فلا تخشوهم واخشوني) الفاء للتفريع على ما ذكر من ظلم والخصومة، فنهى الله المسلمين عن الخوف من كيد علماء اليهود، ومن ناصرهم من المشركين، وأمرهم بالخوف منه تعالى، لأنه ـ سبحانه ـ من يكفيهم ويحفظهم، والخشية أشد الخوف.

قوله (ولأتم نعمتي عليكم) جملة تعليل ثانية من غرض تحويل القبلة، وهي إتمام النعمة على المسلمين بالهداية إلى قبلة إبراهيم التي ينتمون إليها، والإتمام الإكمال، والنعمة مصدر، وإفرادها لتعظيمها، ولاسيما بإضافتها إلى ياء الجلالة، وحرف الجر (على) في (عليكم) يفيد المجاز الاستعلائي من تمكن النعمة منهم.

وفي تفسير الثعلبي والمجمع: روي عن علي عليه السلام أنه قال: النعم ستة: الإسلام والقرآن ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم والستر والعافية والغنى عما في أيدي الناس. انتهى.

قوله (ولعلكم تهتدون) أي: رجاء أن يكون ذلك سببا إلى التوفيق في سبيل اهتدائكم إلى طريق الجنة، وقيل: ولعل من الله معناها الوجوب.

قوله تعالى ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ١٥١ ﴾

قوله (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) الكاف للتشبيه و(ما) بمعنى المصدرية، فيكون المعنى متصلا بقوله (ولأتم نعمتي عليكم) لأن بعثة الرسول من أكبر نعم الله على الأمة، فالنعمة في أمر القبلة كالنعمة بالرسالة، وتعدية فعل الإرسال بـ (في) لإظهار امتنان الله على العرب فإن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم منهم وفيهم يتحدث لغتهم ويعرفونه ويعرفهم وذلك آنس لهم وأقرب قال تعالى (لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) [آل عمران ١٦٤]، وفي غير هذا المقام قال تعالى (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم) [المزمل ١٥] فعدّى الفعل بـ (إلى) لأنه في سياق الاحتجاج عليهم، ولفظ الرسول مصدر أريد به المرسل، وهو حامل الرسالة من الغيب، بوساطة الوحي.

قوله (يتلو عليكم آياتنا) جملة وصفية للرسول، والتلاوة التتابع في القراءة، والآيات أريد بها آيات الكتاب العزيز بدلالة فعل التلاوة.

قوله (ويزكيكم) أي: ويطهركم من دنس الكفر ورذائل الأخلاق لتكونوا أزكياء أهلا لطاعة الله، والتزكية أصلها النماء ومعناها التطهير.

قوله (ويعلمكم الكتاب والحكمة) أي: يفهمكم علوم القرآن وحكمته.

قوله (ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون) أي: يعلمكم سبلا جديدة في التوصل إلى العلم غير جهة السماع الوحيدة عندكم في تحصيل الفهم، وبهذا نقل القرآن العرب من الشفوية الشائعة عندهم إلى حضارة الكتابة والتأليف فبعد أن كانت الأمة تلقب بالأمية أمست المعرفة تشع منها.

وفي نهج البلاغة قال أمير المؤمنين عليه السلام في الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: جعله الله بلاغا لرسالته، وكرامة لأمته، وربيعا لأهل زمانه، ورفعة لأعوانه، وشرفا لأنصاره، وقال: أما بعد فإن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وليس أحد من العرب يقرأ كتابا، ولا يدعي نبوة ولا وحيا، فقاتل بمن أطاعه من عصاه، يسوقهم إلى منجاتهم، ويبادر بهم الساعة أن تنزل بهم، يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته إلا هالكا لا خير فيه، حتى أراهم منجاتهم، وبوأهم محلتهم فاستدارت رحاهم، واستقامت قناتهم. انتهى.

قوله تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾

قوله (فاذكروني أذكركم) الفاء للتفريع على ما تقدم من ذكر النعم على المسلمين، وفعل أمر الذكر المسند إليه تعالى كناية عن الحضور الدائم في الذهن لامتنانه جل شأنه بالنعم وليكون سبيلا إلى طاعته، والجزم في (أذكركم) لأنه جواب الأمر وهو من باب المشاكلة في الكلام، فالله لا يغيب عنه شيء حتى يتذكر، وإنما هي كناية عن المجازاة على الطاعة بالأجر والثواب، وللذكر مراتب، روي في البحار: أن رسول الله قد خرج على أصحابه فقال: ارتعوا في رياض الجنة، قالوا: يا رسول الله وما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر اغدوا وروحوا واذكروا، ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل العبد الله من نفسه، واعلموا أن خير أعمالكم عند مليككم وأزكاها وأرفعها في درجاتكم، وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله تعالى، فإنه تعالى أخبر عن نفسه فقال: أنا جليس من ذكرني، وقال تعالى: فاذكروني أذكركم بنعمتي، اذكروني بالطاعة والعبادة أذكركم بالنعم والاحسان والراحة والرضوان. انتهى.

قوله (واشكروا لي ولا تكفرون) عطف على التي قبلها، والشكر أخص في الثناء على النعمة، وتعدية الفعل باللام للمبالغة، والنهي عن الكفر وتعديته بنفسه لتضمنه معنى الجحد أي لا تجحدوا منني عليكم.

وفي الدر المنثور في الخبر المرفوع عن ابن مسعود قال: قال: رسول الله، من أعطي أربعا أعطي أربعا، وتفسير ذلك في كتاب الله من أعطي الذكر ذكره الله، لأن الله يقول: (اذكروني أذكركم)، ومن أعطي الدعاء أعطي

الإجابة، لأن الله يقول: (ادعوني أستجب لكم)، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، لأن الله يقول: (لئن شكرتم لأزيدنكم)، ومن أعطي الاستغفار أعطي المغفرة لأن الله يقول: (استغفروا ربكم إنه كان غفارا). انتهى.

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة) الخطاب للمؤمنين يدل على الإقبال على تكليف شاق يحتاج على أدائه إلى الاستعانة بالصبر والصلاة. والصبر حبس النفس على ما تكره.

قوله (إن الله مع الصابرين) فصل الكلام ولم يعطف لأن الجملة تعليل لأمر الاستعانة بالصبر والصلاة، ففي الكلام تعليل وثناء للصابرين بمعية الله لهم، ومن كان الله فهو لا شك مؤيد ظافر، فالحرف (مع) مجاز استعاري للتأييد والنصر، وفي الكلام وعد للمسلمين بالنصر وتسكين لنفوسهم.

والاستعانة بالصبر والصلاة في حال وقوع المصائب فيه تفريج للكرب وتنفيس للهموم، وتقدم الصبر على الصلاة وخص بالذكر مرتين لأن المقام مقام صبر على أهوال الحرب وتثبيت النفس في مقارعة الأعداء.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾

قوله (ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات) تفيد (لا) النهي والخطاب لعامة المسلمين، والنهي عن القول بمعنى النهي عن الاعتقاد والظن، والضمير في اسم الموصول (من) عائد إلى المقتول المجاهد في سبيل الله، وسمي الجهاد سبيل الله لأنه يؤدي بسالكه إلى رضى الله وثوابه.

والأموات جمع ميت وهو المعدم الحركة والحس بمفارقة جسده الروح، وارتفاع اللفظ لأنه خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم أموات.

قوله (بل أحياء ولكن لا تشعرون) تفيد (بل) الإضراب عما تقدم لإثبات ما بعدها. وهو أنهم أحياء ولكن في حال من انعدام الشعور بهم، وارتفع لفظ الأحياء على تقدير: هم أحياء، والاستدراك بـ (لكن) على إثبات حياتهم راجع إلى أننا لا نحس بهم بيننا، وعلى هذا فالآية الكريمة تثبت للمقتولين في سبيل الله حياة أخرى غير الحياة الحسية التي يعرفها الناس بل حياة الذكر الخالد الذي لا يموت، نقل في الكافي وأمالي الطوسي في الخبر المرفوع عن يونس بن ظبيان، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالسا، فقال: ما يقول الناس في أرواح المؤمنين؟ قلت: يقولون تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش، فقال أبو عبد الله عليه السلام: سبحان الله المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، يا يونس، إذا كان ذلك أتاه محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والملائكة المقربون، فإذا قبضه الله عز وجل صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ﴾

قوله (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال) يفيد القسم في اللام والتأكيد في النون تحقيق فعل البلاء مستقبلا، والبلاء الاختبار بالمحن والمصائب ومنها التي عدتها الآية، والباء في (بشيء) للتعدية، ولفظ الشيء إشارة إلى أنه عارض غير باق تهوينا له وتقليلا لشأنه ولذلك أكده بتبعيضه بـ (من)، والخوف إشارة إلى ما نزل بالمسلمين في بعض الغزوات كبدر وأحد والأحزاب، والجوع ونقص الأموال إشارة إلى نقص بعض أزوادهم كما في يوم العسرة.

قوله (والأنفس والثمرات) ونقص الأنفس بمعنى فقدانها في الجهاد في سبيل الله، ونقص الثمرات كناية عن فقد الأبناء، فقد نقل صاحب الكشاف ما روي عن النبي ﷺ قوله (إذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم. فيقول: أقبضتم ثمرة قلبه؟ فيقولون: نعم فيقول الله تعالى: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمد واسترجع. فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد). انتهى. وما عدته الآية من خوف وجوع ونقص في الأموال والأنفس والثمرات سببه النفرة إلى الجهاد في سبيل الله لذلك وعدهم الله وعدا جميلا مكافاة على صبرهم.

قوله (وبشر الصابرين) أي أخبر المسلمين يا محمد ﷺ بالفوز بعاقبة صبرهم على المكاره، والبشر الخبر السعيد الذي تنفرج به أسارير الوجه فيبدو على بشرته.

وقال في المجمع عن الحكمة في الابتلاءات: وقيل في وجه اللطف في ذلك قولان أحدهما: إن من جاء من بعدهم إذا أصابهم مثل هذه الأمور، علموا أنه لا يصيبهم ذلك لنقصان درجة وحط مرتبة، فإنه قد أصاب ذلك من هو أعلى درجة منهم، وهم أصحاب النبي ﷺ، والآخر: إن الكفار إذا شاهدوا المؤمنين يتحملون المشاق في نصرة الرسول، وموافقتهم له، وتنالهم هذه المكاره، فلا يتغيرون في قوة البصيرة ونقاء السريرة، علموا أنهم إنما فعلوا ذلك لعلمهم بصحة هذا الدين، وكونهم من معرفة صدقه على اليقين، فيكون ذلك داعيا لهم إلى قبول الاسلام، والدخول في جملة المسلمين. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ ﴾

قوله (الذين إذا أصابتهم مصيبة) اسم الموصول بدل عن (الصابرين)، وجملة الشرط مقامها صلة الموصول جيء بها لبيان حال الصابرين، وفعل الإصابة بمعنى التعيين، والمصيبة مشتقة من الإصابة وهي المشقة الداخلة على النفس لما تصاب من مضرة، وتنكيرها لتهويلها، والكلام تلقين للمسلمين وتهيئة نفوسهم لما سينالهم من فقد الأنفس إثر جهاد الأعداء.

قوله (قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) ضمير الجمع في فعل القول راجع إلى الصابرين في ضمير الموصول (الذين)، واللام في (لله) للملك، وهو إقرار مؤكد بالعبودية لله، والجملة الثانية إقرار بالمعاد إليه، قال الطوسي: وإنما كانت هذه اللفظة تعزية عن المصيبة، لما فيها من الدلالة على أن الله يجزها إن كانت عدلا، وينصف من فاعلها إن كانت ظلما. وتقديره: (إنا لله) تسليما لأمره ورضا بتدبيره، (وإنا إليه راجعون) ثقة بأنا إلى العدل نصير. انتهى.

وفي نهج البلاغة، سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلا يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال عليه السلام : إن قولنا: إنا لله إقرار منا على أنفسنا بالمُلك، وقولنا: وإنا إليه راجعون إقرار على أنفسنا بالهُلك. انتهى.

والاسترجاع دليل الإذعان والتسليم بقضاء الله وقدره، وفي مجمع الزوائد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧ ﴾

قوله (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) لفظ الإشارة للتنويه بالصابرين. وحرف الجر في (عليهم) مجاز من التمكن، وتقديم الظرف للاهتمام، والصلوات جمع صلاة وأريد بها الثناء الجميل عليهم والمغفرة

لهم من الله، وفي المعاني عن الصادق ﷺ: الصلاة من الله رحمة، ومن الملائكة التزكية، ومن الناس دعاء. انتهى.

و(من) ابتدائية، وإضافة الرب إلى ضمير الغائبين العائد إليهم للعناية بهم. وتنكير لفظ الصلوات والرحمة للتكثير.

قوله (وأولئك هم المهتدون) العطف وإعادة ذكر لفظ الإشارة زيادة في التنويه بشأن الصابرين، والضمير (هم) وأل التعريف في لفظ المهتدين قصران والمعنى هم المهتدون إلى سبيل الحق.

قوله تعالى ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ١٥٨ ﴾

قوله (إن الصفا والمروة من شعائر الله) الفصل للابتداء بحكم جديد، والصفا أصله من الصفو ويراد به الحجر الأملس غير المخلوط، والمروة الحجر الصلب، وهما جبلان معروفان بالحرم ضمن معالم الحج في السعي، وتفيد (من) التبعيض، والشعائر جمع مشعر ويراد بها المعالم والعلامات وإضافتها إلى لفظ الجلالة للتعظيم.

قوله (فمن حج البيت أو اعتمر) الفاء للتفريع، و (من) للشرط، والحج القصد المتكرر، وتعريف البيت للعهد ويراد به البيت الحرام، وتفيد (أو)

الترديد بين الحج والعمرة، والاعتمار مبالغة في العمارة سميت بذلك لأن الزائر يعمر المكان بزيارته. والمراد إتيان العمرة بمناسكها المعروفة،

قوله (فلا جناح عليه أن يطوف بهما) الفاء واقعة في الجزاء، وتفيد (لا) الاستغراق في النفي، والجناح الميل عن الحق ويراد به نفي الإثم عنه، ومعنى التركيب التجويز، والطواف الدوران حول الشيء، ويراد به الدور حول الكعبة وهو أحد مصاديقه، ومنه السير الذي ينتهي آخره إلى أوله وعلى هذا المعنى أطلق على السعي بين الصفا والمروة، وضمير التثنية في (بهما) راجع إليهما، وذكر في التفسير عن سبب النزول: كان على الصفا صنم على صورة رجل يقال له أساف، وعلى المروة صنم على صورة امرأة تدعى نائلة، فكان أهل الجاهلية إذا طافوا بينهما مسحوا الوثنين، فلما جاء الإسلام وكسرت الأصنام تحرج المسلمون من الطواف بينهما لأجل الصنمين، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قوله (ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم) الواو للعطف لإفادة تحبيذ التطوف بعد أداء الفريضة، والتطوع مبالغة في الطاعة في عمل طواف الحج أو العمرة ترغيبا بهما، والفاء واقعة في جواب (من) والجملة الإسمية مقامها الجزاء، والشكر مقابلة الإحسان بالثناء قولا أو عملا، واستعمالها لله لطف منه تعالى بعباده، وكلا الاسمين الشاكر والعليم من أسمائه العلى سبحانه.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ ﴾

قوله (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) الفصل للاستئناف والابتداء لأهمية الخبر، والضمير في اسم الموصول لعموم من يخفون الحقائق والدلائل التي أنزلت من الله، ويدخل في ذلك العموم علماء اليهود النصارى، كما فعلوا في إخفاء البشارة بالنبي ﷺ عن الناس، والبينات جمع بينة، وهي الحجج، سميت بذلك لظهورها ووضوحها، والهدى الدلائل الواضحة.

قوله (من بعد ما بيناه للناس في الكتاب) تفيد (من) التأكيد، و(ما) مصدرية بمعنى: بعد تبيينه، وتعريف الناس للعموم، والكتاب يراد به الكتاب السماوي المنزل من الله كالتوراة والإنجيل والقرآن.

قوله (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) اسم الإشارة لتمييزهم، واللعن الإبعاد والطرد من رحمة الله، وتكرار فعل اللعن لاختلاف الدلالتين، فإن لعن الله بالطرد والتبعيد، ولعن اللاعنين يكون بالدعاء بسؤاله من الله، واللاعنون يراد بهم الملائكة والمؤمنون نحو قوله تعالى من السورة نفسها (عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) [الآية ١٦١] و[آل عمران ٨٧]. ونقل في التبيان: روي عن النبي ﷺ أنه قال: من سئل عن علم يعلمه فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام من نار. انتهى.

قوله تعالى ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾

قوله (إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا) الاستثناء لإخراج المستثنين من جملة من لعن الله واللاعنون، والتائبون النادمون من الذنب العازمون على تركه، والمصلحون المخلصون نياتهم في قابل أوقاتهم، والمبينون المظهرون إخلاصهم في عملهم، والعطف تقييد للتوبة إذ اشترط فيها الإصلاح والتبيين.

قوله (فأولئك أتوب عليهم) الفاء للتعقيب على توبتهم، واسم الإشارة لاستحضار شأن المستثنين، وإسناد فعل التوبة إلى الله بمعنى: أرجع عليهم بالتوبة وأقبلها، وهو من الألفاظ المشتركة يدل على اختلاف دلالتها متعلقها، قال في المجمع: إنما كان لفظه مشتركا بين فاعل التوبة والقابل لها للترغيب في صفة التوبة، إذ وصف بها القابل لها، وهو الله عز اسمه، وذلك من إنعام الله على عباده، لئلا يتوهم بما فيها من الدلالة على مفارقة الذنب أن الوصف بها عيب، فلذلك جعلت في أعلى صفات المدح. انتهى.

قوله (وأنا التواب الرحيم) الواو للعطف على ما سبقها (فأولئك أتوب)، ويفيد الضمير (أنا) القصر وأل التعريف في التواب قصر ثان بالتوبة والرحمة به تعالى، والتواب صيغة مبالغة لكثرة التوبة على عباده المذنبين، والرحيم صفة مبالغة لرحمته.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١ ﴾

قوله (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار) الفصل للاستئناف والتأكيد بالإخبار عن الكافرين المصرين على كفرهم بأن اللعن مشتمل عليهم، وجملة (وهم كفار) جملة حالية أي: ماتوا كافرين.

قوله (أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وإيراد المعنى بالجملة الإسمية للدلالة على لزومه لهم وثباته فيهم، وقوله (أجمعين) تأكيد لعن الجميع لهم، من الله بالحكم عليهم، ومن الناس بالدعاء عليهم باللعن.

وما أبلغ الالتفات في الآيات الثلاثة فحين ذكرت التوبة أسندت إليه تعالى بضمير الإفراد لبيان كمال رأفته فقال (أتوب عليهم)، بينما أسندت اللعنة إلى الغيب لبيان شدة سخطه تعالى فقال (يلعنهم الله) و(عليهم لعنة الله).

قوله تعالى ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢ ﴾

قوله (خالدين فيها) حال من ضمير الجمع في (الذين كفروا)، والخلود اللزوم أبدا، وضمير الهاء في (فيها) عائد إلى اللعن أو إلى النار وإن لم تذكر، ففي إضمارها دلالة تفخيم لشأنها وتهويل لفداحة امرها.

قوله (لا يخفف عنهم العذاب) الواو للعطف، والجملة حال ثان، والتخفيف استعارة من رفع الوزن تشبيها للعذاب بشيء ثقيل، والعذاب للإشارة إلى

استمرار ألم النار فيه فهو على وتيرة واحدة من الشدة لا يخفف حينا ويشتد أخرى.

قوله (ولا هم ينظرون) أي: ولا يؤخر عنهم الحساب والعذاب ولا يمهلون للاعتذار قال تعالى (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) [المرسلات ٣٦]، والجملة حال ثالثة.

قوله تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ ﴾

قوله (وإلهكم إله واحد) الواو للعطف على قوله (إن الذين كفروا وماتوا). والخطاب عام لكل مكلف، والإله الخالق المستحق للعبادة، وتنكير (إله) للنوعية لا للإفراد الذي استفيد من قوله (واحد)، ووصفه بالواحد لنفي التجزئة والقسمة لأن الوثنيين جعلوا الألوهية موزعة على الشركاء الذين افتروهم على الله، فالعدد من الأحدية لا بمعنى التعددية من الواحد الذي يأتي ثان بعده، روي في الخصال عن شريح بن هاني قال: إن أعرابيا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين أتقول إن الله واحد؟ قال فحمل الناس عليه، فقالوا: يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم القلب؟ فقال أمير المؤمنين: دعوه فإن الذي يريده الأعرابي هو الذي نريده من القوم، ثم قال عليه السلام : يا أعرابي، إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام فوجهان منها لا يجوزان على الله تعالى، ووجهان يثبتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه - فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد فهذا لا يجوز لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، أما ترى أنه كفر من

قال إنه ثالث ثلثه؟ وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز لأنه تشبيه وجل ربنا وتعالى عن ذلك، وأما الوجهان اللذان يثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربنا، وقول القائل إنه عز وجل أحدي المعنى يعني به: أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا. انتهى.

قوله (لا إله إلا هو) إثبات بأسلوب القصر لوحدانية الله وتفرده سبحانه بالألوهية.

قوله (الرحمن الرحيم) صفتان من أسمائه العلى سبحانه استحق بهما العبادة، والرحمن الموصوف بكثرة الرحمة بعامة عباده، والرحيم الموصوف بكثرة رحمته بعباده المؤمنين، واتسمت جمل الآية بكمال اتصال في المعنى لذلك فصلت ولم تعطف على بعض.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾

قوله (إن في خلق السماوات والأرض) مقام الآية تقديم الحجة على ألوهية الله تعالى وتفرده بها، فسيقت الدلائل على ذلك، إذ لا يقدر على ما عدت الآية من دلائل غير رب واحد هو الله تعالى، وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما سمعوا بقوله (وإلهكم إله واحد) تعجبوا وقالوا: إن كنت صادقا فأت بآية نعرف بها صدقك فنزلت (إن في خلق السموات).

و(في) للظرفية المجازية، والخلق الإيجاد والتكوين لا على احتذاء بل إنشاء وإبداع، وجمع السموات دائما لأنها جاءت في القرآن مفصلة على سبع طبقات ولإفادة اختلافها، قال الشيخ الطوسي في التبيان: وإنما جمعت السموات ووحدت الأرض لأنه لما ذكرت السماء في قوله تعالى (ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) وقوله (خلق سبع سموات) جمع، لئلا يوهم التوحيد معنى الواحدة من هذه السبع، وقد دل مع ذلك قوله (ومن الأرض مثلهن) على معنى السبع، ولكنه لم يجر على جهة الإفصاح بالتفصيل في اللفظ، ووجه آخر: وهو أن الأرض لتشاكلها تشبه الجنس الواحد كالرجل والماء الذي لا يجوز جمعه إلا أن يراد الاختلاف، وليس تجري السماوات مجرى الجنس، لأنه دبر في كل سماء أمرها والتدبير الذي هو حقها. انتهى.

ويقترن بذكر السموات لفظ الأرض دائما في آيات الكتاب العزيز للإشارة إلى نظام الكون الفسيح من أجرام سماوية وكواكب سيارة ترتبط ببعض بدقة متناهية من نظام الدوران والجذب فلا يسبق أحد الآخر في فضاء لا

يسع الإنسان بلوغه إلا بتصورات تقديرية، لذلك تقدمت هذه الآية على سائر ما عدت الآية من آيات دالة على وحدانية الله تعالى.

قوله (واختلاف الليل والنهار) والاختلاف التعاقب بأن يخلف هذا هذا في حركة دائمة خاصة بالأرض ينتفع بها أهلها، ولذلك ذكرت عقيب ذكر آية السماوات والأرض، والليل والنهار ظرفان زمنيان ينتجان من دوران الأرض حول نفسها وتسلط ضياء الشمس عليها نهارا أو بواسطة انعكاس ضوئها من القمر ليلا.

قوله (والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) أي: السفن الدائرة في البحر تمشي على ظهر الماء للتنقل والحمل، وسميت السفن فلكا لأنها تدور كفلكة المغزل، وتجري بمعنى تعدو سريعا، و(في) للظرفية المجازية بمعنى (على)، والباء في (بما) للمصاحبة و(ما) اسم موصول، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة آية جري الفلك وهي لنفع الناس.

قوله (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها) وهي الآية الثالثة ويراد بها إنزال المطر من السماء لغيث الأرض وإحيائها بالنبات بعد أن يبسا مواتا، وفعل الإنزال يقتضي الهبوط من علو ويراد به الماء النازل من السماء، والسماء تطلق على كل ما علا الأرض، وهنا يراد به السحاب، و(من) الأولى ابتدائية، و(من) الثانية زائدة للتأكيد، والفاء في (فأحيا) للتعقيب، وفعل الإحياء استعارة لخروج النبات من الأرض تشبيها لها بالكائن الميت الذي لا روح فيه ولا حياة، والباء في (به) للسببية،

وضمير الهاء عائد إلى الماء، وتعريف الأرض للعموم، ولفظ الموت استعارة من يبسها.

قوله (وبث فيها من كل دابة) عطفت على جملة إنزال الماء لأن انتشار حركة الأحياء من الحيوان والدواب يتم بوجود الماء في الأرض وبدء الحياة فيها، والبث النشر والتفريق، والهاء في (فيها) عائد إلى الأرض، و(من) للاستغراق، والدابة كل ما يدب ويتحرك من الحيوان.

قوله (وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض) والتصريف التحويل والتوجيه والتقليب، والرياح جمع ريح وتستعمل للخير بينما الريح للعذاب، وتصريفها بأن جعلها الله متفاوتة الشدة فمنها الصبا ومنها العاصفة ومنها القاصفة ومنها للعذاب، واقترن بها لفظ السحاب لأن بها تسير فينزل المطر، والسحاب الغيوم المشتملة على الماء كأنها تسحب منجرة في السماء، ووصفت بلفظ التسخير لأن ذلك تذليل من الله تعالى لها تمضي مطواعة بأمره، والسحاب ماء متكاثف في طبقات الجو العليا بفعل أبخرة البحار والمحيطات الأرضية، وإليه الإشارة بقوله (بين السماء والأرض) لأنه متعلق بينهما.

قوله (لآيات لقوم يعقلون) اسم (إن) المتأخر جمع ما تقدم من دلائل القدرة بلفظ الآيات، والآيات جمع آية وهي العلامة الدالة الواضحة على معنى ما، واللام المقترن فيها للتأكيد، وخصوصية ذكر فعل العقل لأن به وحده تدرك هذه الآيات، فهم يبصرون بعيون العقل، أما الذين لا عقل لهم ولا إدراك

فهم والبهائم سيان، لأن الدلائل واضحة على عظيم القدرة ولا سبيل إلى إنكارها مع وجود العقل، وفي الكشاف روي عن النبي ﷺ قوله: ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها، أي: لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾

قوله (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا) أي: من بعض الناس وهم الوثنيون الذين يتخذ الأصنام آلهة له يجعلهم ندا لله في الألوهية والعبادة، وتفيد (من) التبعيض فليس كل الناس وثنيين، و(من) اسم موصول، والاتخاذ افتعال وتكلف في عبادة الأصنام لأن عبادة الله من الفطرة لو لم يفسد الإنسان بما يحاط من ظروف، و(من) في (من دون الله) زائدة للتأكيد، وفي هذا التركيب إفراغ لمعنى الندية المفتعلة لله في مقامه المتفرد به وهو العبودية والألوهية.

قوله (يحبونهم كحب الله) أي: الوثنيون من بعض الناس يميلون بأهوائهم ورغباتهم إلى الأصنام مثل حب المؤمنين لله، وقيل: يراد بهم أئمة الضلالة، وإذا أريد بهم الأصنام فضمير جمع التذكير في (يحبونهم) لإنزالهم الأصنام منزلة العقلاء، والجملة موقعها الحال.

قوله (والذين آمنوا أشد حبا لله) المؤمنون أشد حبا لله لأن حبهم أدوم وأثبت، لأن المؤمن يعبد عن إدراك بلا واسطة كحال من يعبد الصنم.

قوله (ولو يرى الذين ظلموا) إخبار غيبي بطريق الافتراض بالأداة (لو)، وفعل الرؤية للمعرفة والعلم يوم القيامة، وأريد بالذين ظلموا المشركون لأنهم ظلموا أنفسهم وظلموا ربهم ببخس حق الله في العبودية.

قوله (إذ يرون العذاب) تفيد (إذ) معنى الظرفية بمعنى حين أو وقت، وفعل الرؤية للبصر والعيان للعذاب وهو رؤيتهم النار يوم القيامة، والجملة معترضة بين جملة فعل الرؤية الأولى ومعمولها وهو قوله (أن القوة لله جميعا) لذلك صح أن يكون (يرى) للمعرفة، والقوة القدرة ملك لله وحده، ولفظ (جميعا) حال، وتعليق فعل الرؤية بذلك اليوم لأنه سيسلب من كل مخلوق القدرة على الحياة فلا تخويل بملك كما في عالم الدنيا ولا كلام لأحد إلا بإذنه سبحانه، وجواب (لو) محذوف في الآية حذف يراد به التفخيم وتصور هول العذاب، والمعنى (لرأوا أمرا عظيما).

قوله (وأن الله شديد العذاب) الجملة معطوفة، لأنها ضمن الإخبار الغيبي برؤيتهم يوم القيامة بإيعادهم بشدة العذاب.

قوله تعالى ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾

قوله (إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) الكلام زيادة في تفصيل مواقف الظالمين يوم القيامة، لذلك العامل لـ (إذ) قوله (وأن الله شديد العذاب)، وهو موقف التفصي والتزيل والتبرؤ للأتباع من المتبوعين لأنّ كلا منهم يلقي باللائمة على الآخر في الإضلال، والذين اتُبِعوا يعني بهم رؤوس الضلال وأئمة الظلم وهم الذين يعبر عنهم القرآن دائما بالملأ، والذين اتبعوا هم المستضعفون المنقادون الأذلة المقلدون لغيرهم بغير علم، وبين (اتبعوا) و (اتبعوا) جناس بديعي لافت.

قوله (ورأوا العذاب) أي: رأوا العذاب راي العين، وهم الأتباع والمتبوعون، يرونه يوم القيامة وقت التبرؤ.

قوله (وتقطعت بهم الأسباب) أي: انفصل بعضهم عن بعض باشتمال العذاب عليهم، فلا أحد يدفعه عنهم.

قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾

قوله (وقال الذين اتبعوا) أي: قال الأتباع متمنين يوم القيامة بدلالة العطف على ما تقدم، وقوله (لو أن لنا كرة) تفيد (لو) تمني المحال، فهو تمن منهم في العودة إلى الحياة الدنيا، ولفظ الكرة والكرور معناه الإعادة والرجعة.

قوله (فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا) الفاء للتفريع على ما منوا به أنفسهم، وهو تبرؤهم من أسيادهم مثلما تخلوا عنهم.

قوله (كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) التشبيه بالكاف ولفظ الإشارة بمعنى كمثل ذلك التمني بالعودة إلى حال التكليف، وفعل الرؤية للعلم ويمكن أن يكون للبصر، وإراءة الله أعمالهم حسرات لأنهم يندمون عليها ويتمنون لو لم يعملوها، ومن مصاديقه ما روي في التبيان عن الباقر عليه السلام قوله: هو الرجل يكتسب المال، ولا يعمل فيه خيرا، فيرثه من يعمل فيه عملا صالحا، فيرى الأول ما كسبه حسرة في ميزان غيره. انتهى.

قوله (وما هم بخارجين من النار) الواو للحال، والمعنى يريهم الله أعمالهم حسرات في حال من الخلود في النار، وأورد المعنى بالجملة الإسمية المؤكدة لدلالة اللزوم والثبات.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ١٦٨ ﴾

قوله (يا أيها الناس) الخطاب عام لكل المكلفين مؤمنهم وكافرهم، ويدخل فيه مشركو العرب لأنهم افتروا على الله بادعاء المنع كثقيف وخزاعة وبني عامر بن صعصعة وبني مدلج فحرموا على أنفسهم أشياء من الحرث والأنعام والبحيرة والسائبة والوصيلة، وكذلك بعض اليهود فعل مثل ذلك.

وقوله (كلوا مما في الأرض حلالا طيبا) الأمر بالأكل يراد به الإباحة مع مراعاة كونه حلالا طيبا، و(من) في (مما) ابتدائية، و(ما) اسم موصول لغير العاقل من الحيوان والنبات في البر والبحر بشرط ألا يدخل في المحظور وهو معنى كونه حلالا، وألا تشوبه شائبة الخبائث وهو معنى كونه طيبا.

قوله (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) النهي أعقب الإباحة لما فيه من استجلاب لكمال الإنسان، والاتباع الطاعة والانقياد والموالاة فكلها معان تنطبق على معنى هذا الفعل. وخطوات الشيطان استعارة لاقتفاء الأثر، والخطوات جمع خطوة وأصله نقل القدم، والشيطان صفة إبليس سمي بذلك لبعده من رحمة الله وأصله الشطن، واتباع خطواته استعارة لاتباع وسوسته التي يغوي بها ابن آدم في عمل المعصية.

قوله (إنه لكم عدو مبين) فصل الكلام لأنه علة للنهي وهو كونه عدوا ظاهرا مجاهرا بعداوته للإنسان، وتقديم الظرف (لكم) على عامله (عدو) للاهتمام، ووصفه بأنه مبين مع أن الشيطان كائن لا يرى لظهور آثاره الداعية إلى عمل المعصية وأولها الوسوسة الخفية والاستنان بسننته التي يحدث بها نفس الإنسان لإغرائه على عمل ما لا يقبل، وتكون في الخلوات وفي عمل السوء، بتزيينه وتسويغه وإقناع المقدم عليه، ومن مصاديق خطواته ما قاله الباقر والصادق عليهما السلام: إن من خطوات الشيطان الحلف بالطلاق، والنذور في المعاصي، وكل يمين بغير الله تعالى. نقله صاحب المجمع. انتهى.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ١٦٩ ﴾

قوله (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء) الكلام زيادة في تفصيل عداوته للإنسان المخاطب (إنه لكم عدو مبين)، وهي في إغرائه بمخالفة دينه وفطرته، فبدأ الكلام بصيغة الحصر بـ (إنما) فقصره على الأمر بفعل المعاصي التي سميت بالسوء لسوء عاقبتها أو نفرة الإنسان السوي منها، والسوء كل ما نهى عن فعله الشرع والعقل، والفحشاء القبائح من الذنوب، وأصل الفحش التجاوز ولذا يطلق على الزنا غالبا.

وقوله (يأمركم) مجاز لإغوائه بالفعل ولا يراد به القول بـ: افعل الذي هو أصل الأمر.

قوله (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) وهو القصر الثاني مما يدعو إليه الشيطان المعطوف على (إنما)، وهو دعوة الإنسان إلى الشرك بالله والافتراء عليه سبحانه باتخاذ الأنداد والشركاء في الألوهية والعبادة، وفعل القول مجاز في اتخاذ الأصنام آلهة، وحقيقة في الافتراء بأن الله جعلها شركاء له.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ١٧٠ ﴾

قوله (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله) الكلام يقص حالة من حالات الكافرين، وهي عنادهم في الكفر وتمسكهم بسنة فاسدة، وفاعل (قيل) دعوة الأنبياء ومنها دعوة النبي ﷺ لمشركين مكة، والأمر بالاتباع بمعنى: أطيعوا أوامر الله التي نزلت على رسوله في توحيده وترك الشرك ونبذ الأخلاق الذميمة والاعتداء على الآخرين، وفي قوله (ما أنزل الله) دليل يقوي شرعية الاتباع قبال ما يحتج به الكافرون من اقتفاء سنة آبائهم الضالين.

قوله (قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) وهذا جواب الكافرين طوال تاريخ الأمم العاصية، وهو تمسكهم بسنن آبائهم وتقليدهم لهم بغير عقل في عبادة غير الله، وتفيد (بل) الإضراب والتأكيد، والإلفاء الوجدان على نحو المصادفة، وحرف الجر (على) في عليه مجاز استعلائي، والآباء الأسلاف، ومن أسوأ أفعال الإنسان الجاهل التمسك بسنة لا يفقهها فيقدسها لمجرد أنه ورثها من أسلافه من غير تدبر أو تفكر، وكأنه جعل من مضي القدم عليها حقا مكتسبا له لا يمكن سلبه منه، لذلك يحارب من يدعوه إلى نبذها أو حتى مجرد الوقوف عليها لتأمل صحتها.

قوله (أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) الاستفهام إنكاري للتوبيخ، وهو في مضمونه احتجاج إذ كيف يتبع الجاهل لمجرد أنه صادف أن يكون أبا، ونفي الاهتداء عنهم بمعنى مجانبتهم طريق الصواب.

قوله تعالى ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾

قوله (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) الآية في تصوير المستنين بسنن آبائهم وتقليدهم لهم بغير علم في عبادة غير الله، والتمثيل التشبيه بالهيأة فحالهم وهم يعبدون غير الله تقليدا لآبائهم وحجبا لعقولهم كحال البهائم تسمع صوت الراعي فتتبعه من غير فهم، والنعيق صياح الغراب استعارة للبهائم من رفع الصوت ويضرب به الشؤم، والباء في (بما) للملابسة، ونفي السمع كناية عن عدم الفهم، والاستثناء لحصر السمع بالصوت العالي، فالبهائم تسمع نداء راعيها ولا تتبين معناه فلا تفهم منه إلا الانقياد والاتباع وهو معنى لفظ الدعاء لأن مضمونه الطلب.

قوله (صم بكم عمي) ارتفعت الجموع على تقدير مبتدأ محذوف: هم صم بكم عمي، وهو من التشبيه البليغ إذا افترضنا وجود الضمير، وإلا فهي استعارات تصريحية. والصم جمع أصم وهو انعدام حاسة السمع، والبكم جمع أبكم وهو العاجز عن النطق، والعمي جمع أعمى وهو المنعدم الإبصار، وخصوصية ذكر هذه الحواس مع أنها فيهم حقيقة لإفادة نفي الفهم

عن الكافرين بحجب مدارك المعرفة ومنعها من إعمال العقل، لذلك فرع على ذلك نفي العقل عنهم فقال (فهم لا يعقلون) لإثبات الجهل في نفوسهم، فمثل هؤلاء في اتباع آبائهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع إلا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته، فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالم ولا يفقهون أهم على حق أم باطل، وأسلوب الأمثال ظاهرة قرآنية فريدة لتوضيح المعاني بأسلوب تكثيرها في كل طرف من طرفي الصورة التشبيهية المركبة، وهي أكثر تأثيرا في السامع وأبلغ في إيصال المعنى، لذلك جاء المثل هنا للمقلد الأعمى الذي يحجب عقله ويغلق منافذ تفكيره عندها سيكون مجرد صوت يردد من دون وعي، ومن هنا أفرد في الخطاب بأسلوب الالتفات (وإذا قيل لهم) بضمير الغائب بعد أن كان مباشرا، للنداء على ضلالهم، لأنه لا ضال أضل من المقلد، كأنه يقول للعقلاء أنظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) خطاب خاص بالمؤمنين بعد الخطاب العام للناس، سيختلف فيه السياق مراعاة لخصوصية المؤمنين.

قوله (كلوا من طيبات ما رزقناكم) فعل أمر الأكل للدلالة على إباحة مطلق ما يؤكل، و(من) ابتدائية وليست تبعيضية، ولفظ الطيبات معناه الأكل

الزاكي الخالي مما يشينه من خبائث، و(ما) اسم موصول، والرزق كل ما ينتفع به، وإسناد الفعل إلى الله للإشعار بكرامة أهل الإيمان مقابل قوله في الخطاب العام (كلوا مما في الأرض).

قوله (واشكروا لله) الشكر إظهار ما يدل على إحسان الغير بالقول أو العمل، وشكر الله من دلائل الإيمان به وتوحيده لذلك أظهر اسم الجلالة بالعدول في الخطاب فلم يقل: واشكروا لنا.

قوله (إن كنتم إياه تعبدون) يفيد الشرط تعليق الشكر على قصر العبادة به سبحانه لذلك استعمل مفعول النصب (إياه) بدلا من: تعبدونه، ليكون أدل على الأمر بالتوحيد. كذا قال في الميزان. انتهى بتصرف.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾

قوله (إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) تفيد (إنما) الحصر والتأكيد لإثبات ما بعدها، وعدت الآية المحرمات المنهي عن أكلها بعد ذكر إباحة أكل طيباته، والتحريم أصله المنع، ويكون بتشريع من الله ورسوله لا بأهواء تتبع. وحرف في (عليكم) مجاز استعلائي في تسليط الحرمة على المؤمنين، والميتة مصدر صفة أقيمت مقام الموصوف ويراد بها البهيمة، والميتة بتخفيف الياء دون تثقيلها بمعنى ما كان ميتا، وقد يجمعان بمعنى

واحد، والدم كذلك محرم أخذه من الذبائح كما كان يفعل المشركون بما ينحرون لأوثانهم فيتبركون بدمائها، وحرمة لحم الخنزير مما لا اجتهاد فيها وخص منه اللحم لأنه المعظم والمقصود للأكل وإلا فكله محرم.

قوله (وما أهل به لغير الله) جملة عطف لأنها من جملة المحرمات، والإهلال أصله رفع الصوت، ويراد به نحر الذبائح بالتسمية عليها باسم الأصنام لا باسم الله، واللام في (لغير) بمعنى لأجل، وغير الله بمعنى الأصنام.

قوله (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه) الفاء لتفريع حكم على ما تقدم من المنهيات، وهو الجائع المضطر إلى أكل ما ذكر من المحرمات دفعا للهلكة، والاضطرار الإجبار، ومتعلق الفعل محذوف يقدر من سياق الآية، أي: من اضطر إلى الأكل مما ذكر، و(غير باغ) بمعنى: غير ظالم متجاوز للمحرمات، والباغي وصف الفاسد الظالم، ونصب (غير) على الحال، وقوله (ولا عاد) من العدوان وهو الاعتداء على الغير، وموقعه الحال أيضا.

قوله (إن الله غفور رحيم) فصل ولم يعطف لأنه تعليل للاستثناء، فالله تعالى غفور كثير الستر للذنوب، ورحيم وسعت رحمته كل شيء، وكلا الاسمين من أسمائه العلى.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ ﴾

قوله (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب) استئناف كلام جديد عن كتمان علماء اليهود والنصارى عن قومهم البشارة بالنبي ﷺ وصفته وتغيير الأحكام طلبا للرئاسة والتسلط واستمرار الهدايا لهم، و(من) للتبعيض، ولفظ الكتاب يراد به التوراة والإنجيل.

قوله (ويشترون به ثمنا قليلا) أي يقبضون بهذا الكتمان للآيات ثمنا قليلا، كأنها معاملة بيع وشراء للانتفاع، لأنهم اعتادوا الرشوة في إصدار أحكامهم.

قوله (أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار) اسم الإشارة لتمييز علماء السوء من أهل الكتاب، وفعل الأكل استعارة بالكناية عما يقبض ظلما من ثمن لأنه في الغالب يستعمل فيما يؤكل، وخص ذكر البطون لمناسبتها مع فعل الأكل، ولفظ النار مجاز مرسل باعتبار ما يؤول أي يأكلون أكلا حراما يؤدي بهم إلى النار، والنفي والاستثناء للتأكيد.

قوله (ولا يكلمهم الله يوم القيامة) إخبار عنهم في يوم القيامة بأنهم مخزيون مهانون لا شرف لهم عند الله، وهذا هو المستفاد من نفي تكليم الله لهم لنفي

الكرامة والقدر لأن نفي التكليم عنهم كناية عن غضبه تعالى عليهم لأن من يكلمه الله يشرِّفه بالإقبال عليه والترضي عنه.

قوله (ولا يزكيهم) أي: لا تطهير يستحقونه لشمولهم بمغفرته سبحانه بل يبقون بأدناسهم.

قوله (ولهم عذاب أليم) اللام لاستحقاقهم استمرار العذاب فيهم، والأليم صفة مبالغة يراد به المؤلم.

قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ ١٧٥ ﴾

قوله (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) إعادة ذكرهم بلفظ الإشارة للتأكيد باستحضار حالهم في الذهن وتمييزهم، واسم الموصول وصلته لبيان قبح تمييزهم، والاشتراء البيع والاستبدال، والضلالة تضييع طريق الحق والتفريط به، والباء في (بالهدى) للملابسة، والهدى المستبدل المباع والمفرط به ويراد به طريق الحق. وصورة الاشتراء من الصور القرآنية الشائعة، وهي استعارة من الاستبدال، بصفقة خاسرة، لذلك وقع التهكم بهم بأسلوب التعجب (فما أصبرهم).

قوله (والعذاب بالمغفرة) العطف بمعنى: واشتروا العذاب بالمغفرة أي باعوا المغفرة بالعذاب، لأن فعل الاشتراء مستلزم لمعنى الاستبدال.

قوله (فما أصبرهم على النار) الفاء للتفريع، والتعجب بصيغة (ما أصبر) للتهكم بهم يوم القيامة بسبب جرأتهم على هذا الاشتراء.

قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦ ﴾

قوله (ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق) الآية تعليل لقوله (فما أصبرهم على النار)، واسم الإشارة بمعنى: ذلك الأمر أو ذلك العقاب، والباء في (بأن) تفيد السبب، والتنزيل مجاز من مقام الرفعة، والكتاب يراد به التوراة والإنجيل لأن الكلام عن علماء أهل الكتاب، والباء في (بالحق) للمصاحبة، ويراد بلفظ الحق أن آيات الله لا تتبدل ولا تتغير، وأن تحريفها إثم عظيم.

قوله (وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد) إخبار عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى بأنهم مختلفون لا يجتمعون على أمر واحد، لأنّ كلا منهما يُكفّر الآخر، والاختلاف نقيض الاتفاق قال في المجمع: ثم استعمل الاختلاف في المذاهب تشبيها بالاختلاف في الطريق من حيث أن كل واحد منهم على نقيض الآخر من الاعتقاد. انتهى. والشقاق خلاف بعداء، ووصفه بالبعيد لبعده عن الألفة والاجتماع.

قوله تعالى ﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ

وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

قوله (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) رجع الكلام إلى معنى تحويل القبلة للدعوة إلى النظر إلى روحها لا إلى مجرد شكلها وجهتها، والبر لفظ جامع لمعاني الخير والطاعة لله، والتولي التوجه والتحول وذكر الوجوه لأنه بها تتمايز الجهات، و(قبل) النوع من الجهة ومنه القبلة، والمشرق كناية عن قبلة الكعبة والمغرب كناية عن قبلة بيت المقدس، والمراد: نفي أن تكون القبلة مجرد جهة من دون عمل، والقبلة قبلة المصلين التي تؤدى في اليوم خمس مرات فهي رمز مهم بالنسبة للمسلمين ولغيرهم ولهذا كثر الحديث في تحويل القبلة وظهر أهل النفاق من الكتابيين على حقيقتهم.

قوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين) عطف واستدراك لبيان معنى إتيان البر، ورفعه من مجرد مظهر إلى مظهر وعمل فكان أول مظاهره الإيمان بوحدانية الله، ثم أعقبته بالإيمان باليوم الآخر لأن المشركين وبعض أهل الكتاب لا يؤمنون بالمعاد، ثم الإيمان بالملائكة رسلا لله لأن منهم من جاهر بعداوة جبريل، وعدت الآية الإيمان

بالكتاب وأريد به مطلق الكتب السماوية، وبلفظ النبيين الإيمان بهم جميعا من غير تبعيض، كما فعل اليهود يؤمنون بموسى فقط، أو ما فعل النصارى يؤمنون بموسى وعيسى وينكرون النبي محمد ﷺ.

ذلك في الكلام تعريض بهذه الزمرة من المجزئين للإيمان بسبب أهوائهم، وفي التقارب الشكلي بين مفردتي (من آمن) تفنن بديعي من الجناس الناقص.

قوله (وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب) فعل الإتيان بمعنى الإعطاء، أي: أنفق المال في هذه الموارد التي عدتها الآية. وتقدم الإيمان على الإنفاق لأن الإيمان بالله باعث على الإنفاق في سبيله، ولفظ المال يدخل فيه الأنعام، و(على) مجاز للتمكن، والهاء في (حبه) عائد إلى المال، أو يمكن أن يعود إلى الله، وتقديم (ذوي القربى) في تعداد صلة المحتاجين لأنهم الأحق بذلك، ولأنهم يرقبون من أقاربهم الموسرين مثل ذلك، وروي في التبيان عن النبي ﷺ قوله: صدقتك على المسكين صدقة، وعلى ذي رحمك اثنتان لأنها صدقة وصلة. انتهى. ولفظ اليتامى جمع يتيم وهو الفاقد لأبيه حتى يبلغ فلن يكون يتيما، واليتم في الإنسان من جهة الأب، وفي الحيوان من جهة الأم.

ولفظ المساكين جمع مسكين وهو أخص من الفقير لأنه فقر وعوز أسكن صاحبه عن الحركة وطلب الرزق.

وقوله (ابن السبيل) كناية عن الغريب المنقطع عن أهله ووطنه، وأصله استعارة بالكناية عن المسافر الذي انقطع به الطريق عن أهله، وجعل ابنا للطريق لملازمته له.

وقوله (وفي الرقاب) أي فك رقاب المحتاجين، كعتقهم، أو فك أسرهم، أو سداد الدين عنهم، وهو من المجاز المرسل وعلاقته الجزئية، فقد أطلق الجزء وأراد الكل.

قوله (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) العطف على اسم الموصول (من آمن)، وإقامة الصلاة أداؤها على أتم ما يكون في مواقيتها، لأن معنى الإقامة القيام على الشيء وتدبيره، وهي من أشرف مظاهر المؤمن، وغالبا ما يقترن بذكرها إنفاق المال في مورد الزكاة ونحوه.

قوله (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا) الإيفاء بالعهد إشارة إلى الالتزام بالمعاملات الاجتماعية، ومنها أداء الأمانة وهي من أجل صفات المؤمنين.

قوله (والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس) لم تقع الواو للعطف على (الموفون) كما يتوقع، فجاء ما بعدها منصوبا إعلاء لهذه الفئة من المؤمنين، فالنصب هنا على الاختصاص والمدح إظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الأعمال. كذا قال في الكشاف. انتهى.

وقد يقع مثل هذا الاختلاف في الإعراب بسبب إطالة الكلام قال في المجمع: لأن مذهبهم في الصفات والنعوت إذا طالت أن يعترضوا بينها بالمدح أو الذم، ليميزوا الممدوح أو المذموم. انتهى.

ولفظ (البأساء) كناية عن الفقر والشدة، و(الضراء) كناية عن المرض والزمانة، أي المرض الملازم لصاحبه، و(حين البأس) أي وقت شدة الحرب، ومنه قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله، فلم يكن أحد منا أقرب إلى العدو منه. انتهى.

قوله (أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) لفظ الإشارة للاختصار والتنويه بذكر من تقدم واسم الموصول وصلته للتنويه بإعلاء شأنهم وحذف متعلق فعل الصدق لإفادة عموم الصدق في أفعالهم وأقوالهم، وتكرار اسم الإشارة زيادة في الذكر لأهمية المتكلم عنهم، واتصلت الجملتان لاتحادهما في المعنى والإعراب.

وفي الآية إعلاء لمنطق العقل والروح معا، وربط للأسباب بمسبباتها، قطع به دابر الخلاف لمن يدعي أفضلية الصلاة بهذا الاتجاه أو ذاك من دون اقترانها بالروح والعمل، فرسمت الآيات الشريفة لجميع الناس ولاسيما أهل الكتاب من اليهود من النصارى وعيا عميقا لطبيعة العلاقة مع الله تعالى، ربطت فيه الاعتقاد والايمان بالعمل والسلوك الحياتي. والآية جامعة لكمال الفضائل من اعتقاد القلب وعمل الجوارح ولذا روي في الدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله فيها: من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان. انتهى.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) يبدو من خصوصية خطاب المؤمنين أن الحكم بعد هذا النداء خاص بهم، لذلك نودوا بالإقبال عليه والتنبه له.

قوله (كتب عليكم القصاص في القتلى) فعل الكتابة بمعنى الحكم والقضاء الموثق بالكتابة لأنه فرض ووجوب، وحرف الجر في (عليكم) مجاز في التمكن. والقصاص التتبع من قص الأثر ويراد به تتبعه بإنزال الضرر بالجاني كما أنزله بغيره. والقتل إزهاق النفس ظلما والقتلى جمع قتيل ويراد به هنا القتل العمد.

قوله (الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى) فصل الكلام لأنه تفصيل لمعنى ما تقدم من القصاص في القتلى، وذكر الحر والعبد والأنثى بمعنى المساواة في القصاص، وليس كما يفعل أهل الجاهلية أنهم يأخذون بدم الوضيع الشريف أو بدم العبد الحر، بل يؤخذ بالقصاص من الجاني أيا كان نوعه ورتبته.

قوله (فمن عفي له من أخيه شيء) الفاء للتفريع، والضمير في الموصول عائد إلى القاتل، والعفو يراد به الصفح المتضمن معنى الترك لذلك عدي باللام، قال الزمخشري: العفو هو المحو والإزالة ومعناه هنا الترك. وفي العادة يتعدى (عفا) بحرف الجر(عن) فلماذا تعدى هنا باللام؟ قيل: إذا تعدى بـ (عن) فهو يتعدى إلى الجاني وإلى الذنب، تقول عفوت عنه وعن ذنبه. وإذا تعدى إلى الذنب والجاني معا، قيل: عفوت لفلان عما جنى. فعلى هذا تكون الآية قصدت الاستغناء عن ذكر الجناية. انتهى. و(من) ابتدائية، والتعبير بلفظ الأخ ترغيبا بالعفو والصفح ويراد به: دم أخيه، والهاء فيه راجع إلى القاتل المفهوم من ضمير الموصول، ولفظ (شيء) بمعنى الحق، ومراد الآية ترك القود والرضى بالدية.

قوله (فاتباع بالمعروف) الفاء واقعة في جواب (من)، والكلام أصله: فليتبع اتباعا بمعروف، والباء تفيد المصاحبة، والمقصود بالمعروف الرضا والقبول، فارتفع لإفادة الإسمية لأنها اثبت للمعنى، والاتباع المتابعة في طلب الدية بيسر من دون شدة في الطلب وزيادة على الحق، وكذلك قوله (وأداء إليه بإحسان) أي: فليؤد أداء بإحسان، والأداء الدفع وإبلاغ الحق وإيصاله لولي الدم، والباء في (بإحسان) للمصاحبة أي بإعطاء مال الصلح من دون نقص أو مطل أو جفوة في الكلام.

قوله (ذلك تخفيف من ربكم ورحمة) اسم الإشارة بمعنى الانتقال بالحكم من القصاص إلى الدية، والتخفيف استعارة من رفع الثقل لأن الرخصة في أخذ القصاص عدل والترغيب بالعفو رحمة، ولأن دفع الدية أهون على القاتل

من أيقاع الموت به، و(من) ابتدائية، وإضافة ضمير الخطاب الجمعي إلى الرب للتذكير بالمالك المدبر لهم، وذكر الرحمة كون حكم الدية فيه حفظ لنفس الجاني.

قوله (فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) الفاء للتعقيب، ويراد بالاعتداء الاعتداء بالقتل بعد العفو وأخذ الدية، والفاء في (فله) واقعة في الجزاء، واللام للاستحقاق، والعذاب الأليم يراد به المؤلم.

قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٩ ﴾

قوله (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) الواو للعطف لأن الكلام متصل عن القصاص، وتقديم الظرف (لكم) للاختصاص، والخطاب للمؤمنين لأن الحكم يخصهم، و(في) للظرفية المجازية، والمراد في أثر القصاص، وخص أولي الألباب ـ وهم أولو العقل ـ بالنداء لأنهم الأولى بفهم معنى حقن الدم بحكم القرآن بالقصاص.

قوله (لعلكم تتقون) أي: ليكون سببا لحفظ أنفسكم من تعريضها للقتل.

والآية من الكلم الجامع، والبناء العجيب، فكل شيء وضع فيه بإتقان، كتقديم (لكم) للأهمية، وتعريف(القصاص) لإفادة الحكم القرآني، وتنكير(حياة) للدلالة على سعتها، وفوق ذلك المفارقة الغريبة في الجمع بين القصاص وتعني الموت وبين الحياة، وقد كان العرب قالوا: (القتل أنفى للقتل) بينما

القرآن قال (ولكم في القصاص حياة)، أي القصاص من واحد بالصيغة التي حددتها الآيات السابقة هو حفظ حياة للجميع، بدلا من أخذ الجميع بالواحد، كما كان يفعل أهل الجاهلية في الأخذ بالثأر فقد كان يقتل بالمقتول غير قاتله، مثلما فعل (مهلهل) ثأرا لأخيه كليب، حتى كادت تفنى قبيلة بكر بن وائل في الجاهلية.

قوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ ﴾

قوله (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت) فعل الكتابة مستلزم معنى الفرض والوجوب مما يدل على الحكم القطعي الملزم أي: قدر الله لكم، وما كتبه الله لا يمكن محوه أو تغييره، وحضور الموت من الصيغ القرآنية الجديدة التي لا عهد للثقافة العربية بها، ولاسيما مع خصوصية تقديم المفعول على الفاعل فقد تكرر أربع مرات في آيات الكتاب العزيز مع تغاير فعل الحضور بـ (جاء ويأتي)، وهو نابع من الفلسفة القرآنية الجديدة في الإشارة إلى الوجود الغيبي للعالم الآخر الذي يستوجب الايصاء قبل الموت روي عن النبي ﷺ أنه قال: من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية. نقل في التبيان. انتهى.

وحضور الموت مجاز عقلي للمبالغة يراد به حضور سببه من مرض ونحوه، والحضور معناه وجود الشيء بحيث يمكن أن يدرك.

قوله (إن ترك خيرا) الشرط مقامه الحال، وفاعل فعل الترك هو الموصي المشار إليه في (أحدكم)، والخير يراد به المال، واختلف في مقدار المال الذي يوجب الإيصاء قلة وكثرة، وروي عن علي عليه السلام أنه دخل على مولى له في مرضه، وله سبعمائة أو ستمائة درهم، فقال: ألا أوصي؟ فقال: لا، إن الله سبحانه قال: (إن ترك خيرا) وليس لك كثير مال. نقله الجصاص في أحكام القرآن، والشيخ الطبرسي في مجمع البيان. انتهى.

قوله (الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف) يمكن أن يكون ارتفاع لفظ الوصية لأن الجملة موقعها الرفع على الحكاية فمعنى (كتب عليكم) قيل لكم الوصية

للوالدين، ويمكن أن تكون نائب فاعل الفعل (كتب) وإنما ذكر حملا على الايصاء، وخص الوالدين والأقربين دون الأبناء بالذكر، لأنهم كانوا مبعدين من الوصية والإرث في الجاهلية.

والوصية ما يوصي به المورث من كلام يوثق في توزيع الإرث ونحوه على الوالدين والأقربين بما يتعارف عليه أهل التمييز أنه لا جور فيه، والباء في (بالمعروف) للمصاحبة وموقع الظرف الحال، واختلف في أن الآية نسخ حكمها بآية المواريث وأكثر المفسرين قالوا إنها غير منسوخة.

قوله (حقا على المتقين) انتصب لفظ الحق على الحال، والتقدير حقا واجبا على المتقين، والحق الحكم الثابت الذي لا يتغير، وخصوصية ذكر المتقين ترغيبا للوصول إلى هذه المرتبة ولأنهم الأدرى بهذا الحق.

قوله تعالى ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٨١ ﴾

قوله (فمن بدله بعدما سمعه) الفاء للتفريع على وجوب ترك الوصية، والتبديل التغيير ويراد به تحريف الوصية، والهاء في الفعل للإشارة إلى الإيصاء، وكذا في فعل السمع، والتأكيد بقوله (بعدما سمعه) للإشارة إلى تعمده التبديل وأنه ليس عن غفلة، وقوله (فإنما إثمه على الذين يبدلونه) الفاء واقعة في جواب (من) الشرطية، والهاء في لفظ الإثم راجع إلى التبديل، وقصر الإثم على محرفي الوصية لإخراج الميت من الإثم.

قوله (إن الله سميع عليم) فصل الكلام إخبار استئنافي متضمن معنى التهديد، والتصريح بلفظ الجلالة للتعظيم، والسميع مبالغة في سماع كل مسموع والعليم كذلك تكثير لمعنى العلم بكل ما غاب ودق وخفي، وكلاهما من أسماء الله العلى.

قوله تعالى ﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨٢ ﴾

قوله (فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه) الفاء للتفريع على جملة حرمة تغيير الوصية لإخراج حكم منها، واستعمال أسلوب الشرط لتبيان الحالة، ومعنى الآية: من توقع انحيازا عن الحق في

وصية الموصي أو وقوعا في الإثم والظلم فلا إثم عليه في أن يشير على الموصي بتعديل الوصية ويصلح بين الموصي وأهله.

ومعنى (خاف) أي: خوفه من توقع المكروه، وفي الكلام حذف تقديره: ومن خاف جنفا كائنا من موص، فيكون المحذوف والظرف موقعه الحال، والجنف الميل عن الحق، وتفيد (أو) الترديد، والفاء في فعل الإصلاح للتفريع من جملة الخوف، والصلح إزالة الخلاف بين الموصي وورثته، والفاء في (فلا إثم عليه) واقع في جواب (من)، والإثم الذنب، والهاء في (عليه) عائد إلى الموصى له المفهوم من الضمير في اسم الشرط، قال في المجمع: ولم يقل: يستحق الأجر، لأن المتوسط إنما يجري أمره في الغالب على أن ينقص صاحب الحق بعض حقه بسؤاله إياه، فبين سبحانه لنا أنه لا إثم عليه في ذلك إذا قصد الإصلاح. انتهى.

قوله (إن الله غفور رحيم) الفصل للاستئناف والتأكيد بالإخبار يدخل في عمومه الساعين بالإصلاح، والغفور الرحيم من صيغ المبالغة في كثرة المغفرة للمذنبين والرحمة بالعاصين.

قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) النداء بصفة الإيمان للإقبال على الاهتمام بتكليف جديد، وهو مما اختصت به أمة النبي ﷺ فقد كانت

الأمم تخاطب بصفات المكان أو الأقوام نحو يا قوم نوح أو يا بني إسرائيل، أو يا أيها المساكين، ونقل في المجمع: روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: لذة ما في النداء، أزال تعب العبادة والعنا، وقال الحسن: إذا سمعت الله عز وجل يقول:(يا أيها الذين آمنوا) فارع لها سمعك، فإنها لأمر تؤمر به، أو لنهي تنهى عنه. انتهى.

وصيغة البناء للمجهول في (كتب) بمعنى قدر وفرض عليكم، والفاعل معلوم فهو الله تعالى مصدر الأمر والتشريع، والصيام الإمساك عن أشياء حددها الشرع في وجه مخصوص.

قوله (كما كتب على الذين من قبلكم) أي: فرض الصيام مثلما فرض على الأمم التي سبقت أمة الإسلام، وتفيد الكاف في (كما) التشبيه و(ما) مصدرية بمعنى: كتب كتابة مثل كتابته على الأمم السابقة، والتشبيه على أساس الأصل لا على التفصيل لأن خصوصية صيام المسلمين من جهة التوقيت وعدد الأيام تختلف عن الأمم الأخرى.

قوله (لعلكم تتقون) جملة تعليل لتشريع الصوم ليتوصل به إلى مرتبة المتقين، وفي الحديث النبوي المشهور في الأسانيد والصحاح والتفاسير: يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء. انتهى.

وسأل هشام بن الحكم أبا عبد الله عليه السلام عن علة الصيام فقال: إنما فرض الله عز وجل الصيام ليستوي به الغني والفقير، وذلك أن الغني لم يكن ليجد مس

الجوع فيرحم الفقير، لأن الغني كلما أراد شيئا قدر عليه، فأراد الله سبحانه أن يسوي بين خلقه، وأن يذيق الغني مس الجوع والألم ليرق على الضعيف فيرحم الجائع. ذكر في الفقيه للصدوق. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ ﴾

قوله (أياما معدودات) انتصب الظرف لأنه متعلق بالفعل (كتب) والتقدير: كتب عليكم الصيام في أيام معدودات، وصفتها بالمعدودات ولم يقل: شهر، للإشارة إلى أنها أيام قلائل لتخفيف ثقلها على المؤمنين الصائمين، كما قال تعالى (دراهم معدودة)، ومن الغريب تأويل لفظ الأيام بعيد عن سياقها فافترض أنها غير أيام رمضان ثم نسخت بقوله (شهر رمضان) والأغرب منه رواية المراد بالأيام صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصوم عاشوراء ولا أدري لماذا تخصيص يوم عاشوراء بالصوم ألقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته في هذا اليوم الذي يحتفل فيه بنو أمية وأتباعهم وروجوا له إلى يوم الناس هذا؟ ولذلك هذا الدس فيه إبعاد عن غرض الآية وإدخالها في شأن لا علاقة له بالصوم.

قوله (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) جملة تفريع على فرض الصوم بأسلوب الشرط لتفصيل الحالة، وهو رفع الحرج عن المريض أو المسافر، والمريض المعتل بعلة الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان، كذا قال الراغب. انتهى بتصرف.

وتفيد (أو) العطف، وحرف الجر في (على سفر) مجاز في التمكن والاستعلاء، لأن المسافر مستعل على دابة أو نحوه للانتقال من مكان إلى آخر، والعطف بالظرف على الاسم لتضمنه معنى الاسم أي: مريضا أو مسافرا. والسفر الانتقال من بلد إلى آخر واصل اللفظ الانكشاف وسمي المسافر بذلك لانكشاف أخلاقه وسجاياه.

والفاء في (فعدة) واقعة في الجزاء، واختيار لفظ العدة دون لفظ الصيام لإفادة تقدير: فعليه صيام أيام أخر بعدد أيام الفطر في المرض والسفر، فارتفع لفظ (عدة) على تقدير (فعليه)، و(من) للتبعيض، و(أخر) جمع أخرى وهي وصف للأيام.

قوله (وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين) العطف لإخراج حكم من حكم، وهم الذين لا يستطيعون أداء الصيام إلا بمشقة وبما يوقع الضرر على النفس فرخص الشرع بفدية طعام للمساكين حدده الفقه عن كل يوم، و(على) حرف استعلاء مجازي، وفعل الإطاقة أصله من الطوق والطاقة ومعناه المشقة، والهاء في الفعل عائد إلى الصوم، والفدية الافتداء

والعوض، ولفظ الطعام بدل من (فدية) ويراد به ما يؤكل ولذلك يحد بقدر طعام كل يوم للمساكين بمد أو مدين بحسب تفاصيل الفقه في ذلك.

قوله (فمن تطوع خيرا فهو خير له) الفاء للتفريع، والتطوع مبالغة في الطوع مقابل الكره، والمراد أن الصوم مكتوب عليكم فأتوه بطوع وأقبلوا عليه بأريحية ورضا

من دون إكراه للنفس واستثقال، و(من) للشرط وجوابه (فهو خير له) والهاء في (له) عائد على فاعل تطوع.

قوله (وأن تصوموا خير لكم) أي: وصومكم أفضل لكم، والكلام لعموم الصائمين، وليس مقصودا به أهل الرخصة من الإفطار والفدية، والله أعلم.

قوله (إن كنتم تعلمون) أي: إن كنتم تعلمون أفضل أعمالكم. وفي الشرط نفي العلم، أو فيه ترغيب بالسعي للعلم بأفضل الأعمال.

قوله تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾

قوله (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) ارتفاع لفظ الشهر لأنه يجوز فيه الابتداء والبدل من (الصيام) والتقدير على (هو شهر رمضان) أو (شهر رمضان هو)، والشهر أصله الظهور، ولاشتهاره بالهلال، والرمض شدة الحر على الرمل، وسمي رمضان بذلك كما ذكر في التبيان: لأنهم سموا الشهور بالأزمنة التي فيها، فوافق رمضان أيام رمض الحر. انتهى.

وشهر رمضان هو الشهر التاسع من الأشهر العربية وهو الشهر الوحيد الذي خص بالذكر في القرآن الكريم.

والكلام في الآية عن ذكر وقت الصوم وفضيلة الشهر وهو نزول القرآن فيه ليلة القدر دفعة واحدة، ثم أنزل نجوما على النبي ﷺ بعد ذلك، والقرآن أصله الجمع.

قوله (هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) موقع هدى وبينات الحال، والهدى مصدر بمعنى الهادي، وتعريف الناس للعموم، والبينات جمع بينة ويراد بها الحجج والبراهين الدالة على الهدى والتفريق بين الحق والباطل وهو معنى الفرقان، و(من) ابتدائية، ولفظ الهدى الأول يراد به الهدى من الضلالة أو يراد به العلم، وباللفظ الثاني معنى التفريق بين الحلال والحرام أو بما يشتمل عليه من ذكر الأنبياء وشرائعهم وأخبارهم لأنها تدرك بالقرآن، فبين اللفظين عموم وخصوص، الأول لعموم الطبقة البسيطة الفهم من الناس، والثانية خاصة بالمؤمنين بالقرآن، وبهذا فليس إعادة لفظ الهدي من قبيل التكرار.

قوله (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) جملة تفريع على ما تقدمها، والشهادة الحضور بأن دخل عليه الشهر ورأى هلاله، وتعريف الشهر للعهد يراد به شهر رمضان، والفاء في (فليصمه) واقعة في الجزاء، والأمر بصومه بمعنى صوم جميع أيام الشهر.

قوله (ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) استثناء من حكم صوم جميع الشهر وتقدم تفسيره، وإنما أعاده لبيان الحكم لا للتكرار والتأكيد لأن ذكره في الآية السابقة كان توطئة لتهيئة نفوس المسلمين في تقبل حكم الصيام لثقله على النفوس التي تجبر على المنع من الاقتراب من ملذاتها من الأكل والشرب والجماع، ولذلك مهد لذلك بذكر أن التشريع شامل لمن كان قبل المسلمين وأن فيه تقربا لمرتبة المتقين، وأنه أيام معدودات.

وحد المرض الموجب للإفطار أن يكون مما يلحق الضرر بالنفس، نقل في المجمع: روى أبو بصير قال: سألت أبا عبد الله عن حد المرض الذي على صاحبه فيه الإفطار؟ قال: هو مؤتمن عليه، مفوض إليه، فإن وجد ضعفا فليفطر، وإن وجد قوة فليصم، كان المرض على ما كان. انتهى. وأما حد السفر الموجب للإفطار فهو ثمانية فراسخ وفيه تفصيل فقهي.

قوله (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) قطع الكلام ولم يعطفه لأنه علة لعموم تشريع الصوم وضمنه الرخصة فيه، وهو أنه تعالى شأنه

التخفيف على عباده، وفعل الإرادة مجاز في حكمه تعالى وقضائه، وبين الجملتين تقابل بديعي لافت يزيد من انتباه المتلقي.

قوله (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم) جمل تعليل لرخصة الإفطار والفدية، واللام في (لتكملوا) للغاية، والإكمال الإتمام لعدة شهر رمضان بقضاء الصوم في أيام أخر من باقي الأشهر، والتكبير التعظيم لله على تفضله بهذه الهداية فإن الصوم من أجل ما يتقرب به العبد إليه سبحانه، وإن فسرت الهداية بمعنى الولاية لأهل البيت عليهم السلام فهو من باب الجري والتطبيق لا الحصر والقصر.

قوله (ولعلكم تشكرون) أي: ليكون ذلك سبيلا إلى شكر الله على إنعامه، والصوم من نعم الله على عباده وفضله يعلمه الله ففي الحديث القدسي المتفق عليه: قال الله تعالى: الصوم لي وأنا أجزي به.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ١٨٦ ﴾

قوله (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب) جملة عطف على قوله (ولعلكم تشكرون)، وفي الآية التفات واضح في أسلوب الخطاب من جمع المؤمنين إلى النبي ﷺ، والأداة (إذا) ظرف زمان للفعل الذي يدل عليه، وفعل السؤال دال على غاية الدعاء فهو لفظ جامع لكل مرجي من جلب نفع ودفع ضر، والسؤال عن الله سؤال عن صفته لا عن فعله فتطلب منه الرحمة

كونه الرحيم ويسأل الغفران بوصفه الغفور وهكذا، ولفظ العباد جمع عبد وهم المملوكون حقيقة لله وإضافتهم إليه سبحانه إضافة تشريف، والفاء في (فإني) في جواب (إذا)، وفي الكلام حذف تقديره: فقل إني قريب، وإنما حذف ليدل على شدة قربه من عباده إلى درجة استغنائه عن الوسيط، و(إن) حرف تأكيد، ولفظ القريب صفة مجازية عن سرعة إجابة السؤال فإن القريب راء سميع، وفي جعل جواب الشرط بالجملة الإسمية دون الفعلية قصدية لزوم المعنى وثباته.

قوله (أجيب دعوة الداع إذا دعان) الجملة خبر ثان لـ (إن)، والإجابة أصلها القطع، وإجابة السائل القطع بالسؤال لأن سؤاله على الوقف أيكون أم لا يكون، كذا قال في التبيان. انتهى.

ولفظ الدعوة والدعاء واحد، وهو الطلب على سبيل الضراعة لله، وفيها معنى الإقبال والتوجه، والدعاء في نفسه عبادة، والداعي هو السائل، وفي الظرف (إذا) تعليق للإجابة بشرط إخلاص الدعوة لله وصفاء حقيقتها، وليس التفنن البديعي المراد وحده من اشتقاق ثلاثة ألفاظ متتالية من فعل الدعوة بقدر الالتفات إلى قصد التركيز على معنى اللفظ في خلوص إقبال الداعي على المدعو، وحذف الياء من (دعان) للتخفيف في القراءة.

قوله (فليستجيبوا لي) جملة تفريع على الأمر بالدعوة، واللام للأمر والسين والتاء في فعل الإجابة مبالغة في طلب الإقبال على إجابة دعوته سبحانه، واللام في (لي) للتأكيد، ويحتمل أن يكون الفعل بمعنى الإذعان لله والالتزام

بأوامره ونواهيه، ولذلك تعدى الفعل باللام، وفي معنى الآية روي عن النبي ﷺ: إن أعجز الناس من عجز عن الدعاء، وإن أبخل الناس من بخل بالسلام. ذكر في أمالي الشيخ المفيد والطوسي وفي الكنز، وغيره. انتهى.

قوله (وليؤمنوا بي) الإيمان بمعناه الاصطلاحي متحقق ضمنا من السياق لذلك يرجح أن يكون الإيمان هنا بمعنى التحقق والتصديق بأن الله قادر على إعطاء العباد ما سألوا، وهو المروي عن الصادق عليه السلام.

قوله (لعلهم يرشدون) لعل من أفعال الرجاء، وتستعمل هنا بمعنى الوجوب، والرشد نقيض الغي، والمعنى لعلهم يهتدون إلى طريق الحق في دعائه.

ومن جميل النظم اشتمال الآية على ضمير التكلم العائد إلى الله تعالى سبع مرات في دلالة على كمال عنايته سبحانه بعبده في دعوته لدعائه واجابته، وتحبيذ الدعاء والترغيب به لما في أصله من معنى العبادة لأنه إظهار الخضوع والتذلل لله، وحقيقة فعله الطلب باللسان مع انعقاد القلب عليه بالنية وقد ضمن الله تعالى سرعة الإجابة وإنما تكون الإجابة بما تقتضي المصلحة النافعة للعبد الداعي وللغير تلك المصلحة التي لا يعرف حكمتها سوى المدعو وهو الله سبحانه ولذلك قد تتأخر استجابة الدعاء لهذه الحكمة. نقل في المجمع: ويؤيد ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: ما من مسلم دعا الله سبحانه بدعوة ليس فيها قطيعة رحم ولا إثم، إلا أعطاه الله بها إحدى خصال ثلاث: إما أن يعجل دعوته، وإما أن يؤخر له في الآخرة، وإما أن يدفع عنه من السوء مثله، قالوا: يا رسول الله إذا نكثر؟

قال: الله أكثر، وفي رواية أنس بن مالك: الله أكثر وأطيب، ثلاث مرات. وروي عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله: إن العبد ليدعو الله وهو يحبه، فيقول: يا جبرائيل، لا تقض لعبدي هذا حاجته وأخرها، فإني أحب ألا أزال أسمع صوته، وإن العبد ليدعو الله وهو يبغضه، فيقول: يا جبرائيل، اقض لعبدي هذا حاجته بإخلاصه وعجلها، فإني أكره أن أسمع صوته. وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ربما أخرت عن العبد إجابة الدعاء، ليكون أعظم لأجر السائل، وأجزل لإعطاء الآمل. انتهى.

قوله تعالى ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾

قوله (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) فعل الإحلال بمعنى التجويز والإباحة لما حرم من منهيات الصيام وقت النهار، واللام في (لكم) بمعنى لأجلكم، والخطاب إلى المؤمنين الصائمين، والظرف (ليلة الصيام) بمعنى

الليلة التي تسبق نهار الصيام، والرفث كناية عن الجماع وأصله القول الفاحش بين الزوجين وتعدى المصدر بحرف الجر (إلى) لتضمنه معنى الإفضاء، والنساء اسم جمع لا مفرد له من لفظه ويراد به الزوجات.

قوله (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) فصل الكلام لأنه تعليل للإفضاء، والتشبيه نوعه بليغ شبه كلا من الزوج والزوجة بالثياب التي تستر البدن وتغطيه، وبين الجملتين تقابل بديعي يراد به التبادل أي كل منهما يؤدي وظيفة الستر لصاحبه.

قوله (علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم) واختيان النفس خيانتها بإيهامها الحق باطلا والباطل حقا، والاختيان أصله انتقاص الحق على جهة المساترة، ومنه خائنة الأعين أي السرقة في النظر إلى ما لا يحق لها. وقد كان المسلمون يعصون الله سرا بالخيانة لأنفسهم في ليل الصيام فيأتون النساء وذلك قبل نسخ الآية، فقد قيل إن رفع حرمة الجماع نسخ بقوله (أحل لكم ليلة الصيام).

قوله (فتاب عليكم وعفا عنكم) فرع على جملة علم الله باختيانهم معنى التوبة عليهم والعفو عنهم، وتقدمت التوبة لأنها التمهيد للعفو والمغفرة، والتوب أصله العود والعفو المحو.

قوله (فالآن باشروهن) الفاء للتعقيب من جملة الترخيص في التوبة والعفو، ولفظ (الآن) ظرف مبني معناه الترخيص لا التعيين الظرفي، والمباشرة استعارة قرآنية للجماع تراعي الحياء الإنساني.

قوله (وابتغوا ما كتب الله لكم) الابتغاء زيادة في طلب ما يرجى، واسم الموصول وصلته للإشارة إلى طلب الذرية التي من أجلها تنعقد حرمة الزواج فهو غايته لا مجرد انقضاء الشهوة، فإن تكثير النوع الإنساني الصالح من الغايات السامية التي يدعو إليها الفكر الإسلامي.

قوله (وكلوا واشربوا) أمر بالإباحة بعد المنع نهار الصيام، يبدأ من وقت أذان المغرب وينتهي بطلوع الفجر، وقوله (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر) وتفيد (حتى) انتهاء الغاية. والتبيان التوضيح والانكشاف، والخيط الأبيض استعارة للضوء الرقيق من ضوء الشمس الظاهر وقت طلوع الفجر وسط الليل الذي استعير له الخيط أيضا للإشارة إلى انقضائه واضمحلاله، والخيط السلك الذي يخترق خرم الإبرة لدقة سمكه، وتفيد (من) الأولى معنى التمييز، والثانية تفيد بعض الفجر لا كله.

قوله (ثم أتموا الصيام إلى الليل) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، لأن وقت الصيام يبدأ عقيبه مباشرة، ولذلك استعمل فعل الإتمام لأنه بلا توقف، ولم يستعمل فعل الإكمال لأن الإكمال انتهاء وجود ما لكل من أجزائه أثر مستقل وحده بخلاف الإتمام، واستعمال مصدر الصيام دون الصوم لإفادته معنى الحركة بينما الصوم مصدر جامد، وتفيد (إلى) انتهاء الغاية الصيام وهو دخول الليل فيكون إتمام الصيام إلى الليل شامل وقت النهار كله.

قوله (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد) العطف على ما تقدم، لأنه حكم آخر عن النهي عن الاتصال بالزوج وقت الاعتكاف في المساجد،

والواو في (وأنتم) تفيد الحال، والاعتكاف اللزوم، و(في) للظرفية المجازية، والاعتكاف على روايات أهل البيت عليهم السلام لا يصح إلا في المساجد الأربعة المسجد الحرام والمسجد النبوي ومسجد الكوفة ومسجد البصرة.

قوله (تلك حدود الله فلا تقربوها) أي: تلك النواهي مما تقدم، ولفظ الحدود جمع حد استعارة للحرمة والمنع، وإضافتها إلى لفظ الجلالة لتعظيم شأنها، والفاء للتفريع والتقريب كناية عن اقترافها، مبالغة في النهي عن فعلها.

قوله (كذلك يبين الله آياته للناس) أي: كمثل ذلك الأمر، والتبيين التوضيح بما لا يكون معه إبهام، والآيات الدلائل والبراهين، وتعريف الناس للعهد.

قوله (لعلهم يتقون) أي: لعلهم يصونون أنفسهم عما حرم الله ويتورعون عن الوقوع في شبهاته.

وقد كثر في الآية استعمال الفنون البيانية كالكنايات عما يقبح ذكره صريحا من علاقة المرء بزوجه، لأنه في صدد تنظيم هذه العلاقة في ظل الإباحة ليالي شهر رمضان، وهو من الأدب القرآني الرفيع مثل (الرفث، لباس، باشروهن)، و(لباس لكم) كناية عن الستر والتلبس، وهي هنا صورة تشبيهية من صور التشبيه البليغ كما ذكر، وكالصور الاستعارية في قوله (الخيط الأبيض من الخيط الأسود) عن ظهور ضوء النهار، وقوله (حدود الله) استعارة مكنية للحق والباطل، شبه شرائع الله بالحيز أو الحمى، فمن كان في طاعة الله فهو في حيز الحق، فإذا تعداها دخل الباطل، ومبالغة في

النهي عن الوقوع في الباطل قال (لا تقربوها)، فكأن مجرد القرب من النواهي التي هي الحدود أو الحواجز بين الحق والباطل دخل في المحذور.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨﴾

قوله (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) الآية في النهي عن تضييع حقوق الآخرين بالسرقة أو الظلم أو الغصب أو الخيانة، وفعل الأكل استعارة من أكل الطعام، لأن الأموال المأخوذة مأخوذة غالبا لمعظم الانتفاع وهو الأكل، وبكثرة الاستعمال أصبحت تدل على أكل المال الحرام، فالمراد بالأموال الأموال المجاز الذي يؤول إلى طعام، والظرف (بينكم) إشارة إلى المعاملات التجارية بين الناس، وقوله (بالباطل) تقييد لأكل المال للاحتراس من المعاملات الصحيحة. والباء فيه للملابسة، والباطل يقصد به الفساد.

قوله (وتدلوا بها إلى الحكام) من الدلو، أي: لا تلقوا أمرها والحكم فيها إلى الحكام ليكونوا سببا لضياع الحقوق بسبب الرشوة أو شهادة الزور أو اليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن المقضي له غاصب للحق، ذكر في التبيان: قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: علم الله أنه سيكون في هذه الأمة حكام يحكمون بخلاف الحق، فنهى الله المؤمنين أن يتحاكموا إليهم، وهم يعلمون أنهم لا يحكمون بالحق. انتهى.

ونقل في الكشاف أنه: أثر عن النبي قوله لمتخاصمين: إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا، فإن ما أقضي له قطعة من نار، فبكيا، وقال كل واحد منهما: حقي لصاحبي، فقال: اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل منكما صاحبه. انتهى. ولا أحسب هذه الروايات تستقيم وعصمة الرسول من الخطأ، والباء في (بها) للملابسة، والهاء عائد إلى الأموال المأكولة بالباطل، وحرف الجر (إلى) لانتهاء الغاية، والحكام جمع حاكم وهو القاضي بالحكم الذي يفصل بين المتخاصمين.

قوله (لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم) جملة غائية، واللام للتعليل، أي الاستعانة بالحكام وسلطتهم بغمط حقوق الناس، والفريق القطعة المفروقة المعزولة من الشيء، و(من) للتبعيض، والباء في (بالإثم) للمصاحبة، والإثم الذنب.

قوله (وأنتم تعلمون) جملة حالية، والعلم هنا كناية عن الاحتيال، لأنه غمط للحقوق عن معرفة قطع به عذر المتعللين.

قوله تعالى ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ ﴾

قوله (يسألونك عن الأهلة) الفصل في الكلام لأنه ابتداء بتشريع جديد، والسؤال بمعنى طلب الفهم، والكاف في فعله موجه إلى النبي ﷺ، ودلالة المضارع استمراره وتكراره، و(عن) حرف تعدية لفعل السؤال، والأهلة المسؤول عنها ويراد السؤال عن حقيقة فائدتها وتحولاته، ومفردها هلال سمي بذلك لاستهلال الناس برفع الصوت حين رؤيته.

قوله (قل هي مواقيت للناس والحج) الإجابة عن السؤال بلسان النبي ﷺ تلقين له وعناية من الله، والمواقيت جمع ميقات وهو مقدار من الزمان جعل علما لما يقدر من العمل، بينما التوقيت تقدير الوقت، والميقات منتهى الوقت ومنه قوله تعالى (فتم ميقات ربه) [الأعراف ٤١]، والآخرة ميقات الخلق والإهلال ميقات الشهر، وظهور هلال القمر بداية إعلان لنهاية شهر وبدء آخر وبتكرارها على مر الأزمان ضبط بها الإنسان أوقات عباداته وأسفاره وشؤونه المعيشية المختلفة، والانتقال في ذكر عموم الناس إلى فريضة الحج تخصيص بعد تعميم لأن الأهلة تضبط به مواقيت الحج أيضا وهو تمهيد لما سيذكر بعده.

قوله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) نفي البر بمعنى ليس من عمل الخير والاستقامة التي أمرتم باتباعها فكما إن أموركم مقدرة بأوقاتها فلتكن أفعالكم جارية على ما أمر الله من اتباع أوامره واجتناب نواهيه، والباء في (بأن) زائدة لتأكيد النفي، فيكون قوله (تأتوا البيوت من ظهورها) كناية عن عدم مباشرة الأمور من وجوهها، وإتيانها (من أبوابها) تكنية عن أخذها من أخذها من وجوهها الصحيحة من غير عكس، لأنهم كانوا إذا

أحرموا للحج نقبوا دورهم من الخلف ليكون دخولهم وخروجهم منها منعا للحرج. لذلك ارتبط سياق الآية مع السؤال عن مواقيت الحج، والمراد العام وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسال عنه لما في السؤال من الاتهام بمفارقة الشك (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون). كذا ذكر في الكشاف. انتهى.

قوله (واتقوا الله لعلكم تفلحون) الأمر بالتقوى أمر بصيانة النفس عن الوقوع عما نهى الله عنه أو نفي الطاعة لما أمر الله به ليكون ذلك سبيلا للفلاح والظفر برضوان الله ونعيمه الذي ضمنه للمتقين.

قوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾

قوله (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم) مضمون الآية تشريع للمؤمنين لقتال أهل مكة، والقتال والمقاتلة والتقاتل محاولة كل واحد من المتعاديين قتل الآخر، ويفيد الظرف (في) معنى السببية و(سبيل الله) كلمة التوحيد، واسم الموصول وصلته لبيان الحال، أي: قاتلوا المشركين الذين حالهم قتال المسلمين، فهو إذن ابتدائي بالقتال، لا يعني الاشتراط والقيد بمعنى: قاتلوهم إن قاتلوكم.

قوله (ولا تعتدوا) أي: لا تسرفوا في قتال من لم يعلن القتال عليكم أو يبدأكم فيه.

قوله (إن الله لا يحب المعتدين) الفصل في الكلام تعليل للنهي عن الاعتداء، وهو أن الله لا يريد المعتدين، فنفي المحبة بمعنى نفي الإرادة فهو كناية عن سخط الله وغضبه.

قوله تعالى ﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ ﴾

قوله (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) الأمر بالقتال توضح في الآية السابقة وهو الكافر الذي شأنه محاربة المسلمين، والأمر هنا في تحديد أمكنة القتال وهو قتلهم حيثما وجدوا، والتثقيف أصله التقويم والفعل منه يراد به الظفر والإيجاد بمعنى وجدتموهم وظفرتم به.

قوله (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) أي: أخرجوهم من مكة لأن المشركين فعلوا ذلك من قبل، فقد أمعنوا في فتنة المسلمين قتلا وتعذيبا حتى اضطروا إلى الخروج من مكة خفية سلامة لدينهم وأنفسهم.

قوله (والفتنة أشد من القتل) جملة تذييل، والفتنة الاختبار، قال الراغب: أصل الفتن إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته، واستعمل في

إدخال الانسان النار، وتارة في الاختبار، وجعلت الفتنة كالبلاء في أنهما يستعملان فيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء وهما في الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالا، والفتنة من الافعال التي تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة، ومتى كان من الله يكون على وجه الحكمة، ومتى كان من الإنسان بغير أمر الله يكون بضد ذلك، ولهذا يذم الله الإنسان بأنواع الفتنة في كل مكان. انتهى بتصرف.

والفتنة إشارة إلى الكفر لأنه مؤد إلى الهلاك أي تعريض المؤمن بفتنة التعذيب إلى ترك الإيمان والعودة إل الشرك فهذا هو فتنة الدين التي هي أعظم من القتل في الشهر الحرام، قال في التبيان عن مناسبة الكلام: وروي أن هذه الآية نزلت في سبب رجل من الصحابة قتل رجلا من الكفار في الشهر الحرام، فعابوا المؤمنين بذلك فبين الله تعالى أن الفتنة في الدين أعظم من قتل المشركين في الشهر الحرام وإن كان محظورا لا يجوز. انتهى.

قوله (ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه) النهي عن القتال من حيث الابتداء به أي لا تكونوا أول من يبدأ بالقتال عند المسجد الحرام.

قوله (فإن قاتلوكم فاقتلوهم) الفاء للتفريع، والفاء الثانية واقعة في الجزاء، والشرط لبيان الأمر، والمقصود بالمقاتلة: إن بدؤكم بالقتال فدافعوا عن أنفسكم واقتلوهم.

قوله (كذلك جزاء الكافرين) التشبيه بمعنى: بمثل ذلك الجزاء يكون جزاء الكافرين، والجزاء معناه المكافاة على الفعل.

قوله تعالى ﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٢﴾ ﴾

قوله (فإن انتهوا) الفاء للتفريع على معنى قتالهم السابق، والانتهاء الترك والإقلاع عن الشيء، والنهي زجر عن الفعل المكروه، وبدلالة جواب الشرط العدول عن الشرك إلى الإيمان.

قوله (فإن الله غفور رحيم) الفاء واقعة في جواب (إن)، وجملة (إن) أقيمت مقام الجزاء، لأن الجملة الإسمية أدل على الثبات واللزوم من الفعلية في معنى تكثير الغفران والرحمة لله تعالى.

قوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ﴾

قوله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الآية تعليل لقتال المشركين وهي القضاء على فتنة الدين التي تفضي إلى الشرك، و(حتى) تفيد الغاية هنا.

قوله (ويكون الدين لله) وهي الغاية الثانية خلوص الطاعة لله بتوحيده وعبادته بظهور الإسلام على البلاد كلها فلا شرك ولا أصنام، والدين هنا بمعنى الانقياد والطاعة، وأصله العادة.

قوله (فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) الفاء للتفريع على أمر القتال، وهو منحهم فرصة التوبة بالانتهاء عن الشرك، والفاء في (فلا عدوان) واقعة في جواب (إن)، والنفي بـ (لا) يفيد الاستغراق وخبرها مقدر بمعنى موجود، والمعنى فلا عقوبة عليهم، لأن القتل عقوبة على الكافرين، فأطلق لفظ العدوان على القتل من باب المشاكلة من عدوانهم وهو الظلم.

قوله تعالى ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾

قوله (الشهر الحرام بالشهر الحرام) في الكلام حذف تقديره: قتال الشهر الحرام بقتال الشهر الحرام، والشهر الحرام هو الشهر الذي يحرم فيه القتال ويحل في غيره والأشهر الحرم أربعة هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، والآية مقامها التعليل لقتال المشركين في البيت الحرام، والباء بمعنى التعويض والمجازاة كما قالوا: يوم بيوم.

قوله (والحرمات قصاص) حكم عام لا يخرج الحرمات من المماثلة بالقصاص لمجرد حرمتها بل يؤكدها، فلا حرمة للأزمنة والأمكنة وإنما الحرمة للنفس وخصت هذه الأشهر بالحرمة لضمان الأمن في زيارة البيت الحرام فمن انتهكها واعتدى على الناس فلابد من الاقتصاص منه على جنايته، والجمع أريد به كل حرمة تستحل أو أريد به حرمة البلد وحرمة

الشهر وحرمة الإحرام. والقصاص مر ذكره ومعناه أخذ الحق للمظلوم من الظالم.

قوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم) تفريع على معنى (الحرمات قصاص)، والاعتداء أصله العدو ويراد به إلحاق الضرر بالغير، وسمي الرد على المعتدين اعتداء مشاكلة للفظ مع أنه ليس اعتداء على الحقيقة، قال في المجمع: ولكن سماه اعتداء لأنه مجازاة اعتداء، وجعله مثله وإن كان ذلك جورا وهذا عدلا، لأنه مثله في الجنس، وفي مقدار الاستحقاق، ولأنه ضرر كما أن ذاك ضرر فهو مثله في الجنس والمقدار والصفة. انتهى.

قوله (واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين) وأمر الله المسلمين المقاتلين بالاحتراز والحذر من الوقوع في تجاوز الحد في الرد على المعتدين فأمرهم بالتقوى الذي يدخل في معناه العموم والخصوص، ورغبهم في التزام التقوى فذكرهم أن المتقين يحظون بتأييد الله، وحرف الجر (مع) تفيد المعية المجازية ويقصد بها التأييد.

قوله تعالى ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥ ﴾

قوله (وأنفقوا في سبيل الله) الكلام في التجهيز للقتال وذلك بالإنفاق في أمور الجهاد والإعداد لمؤونة الحرب من تجهيز لعدة السلام وميرة المقاتلين

وعلف الخيل والإبل ونحو ذلك، والإنفاق إخراج المال، والمال يدخل فيه الإبل والخيل فإنها من المال. و(سبيل الله) كناية عن الجهاد لأنها طريقه الموصل إلى رضاه وثوابه سبحانه.

قوله (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) كناية عن امتلاك التهلكة لزمام الأمر، أي لا تعطوا التهلكة قيادة أنفسكم، وذلك بالذهاب إلى القتال من دون تهيئة مستلزمات الدفاع عن النفس وحفظها، والإلقاء الطرح على الأرض، ومفعوله محذوف تقديره: أنفسكم، والباء في (بأيديكم) للسببية، أي بسبب اختياركم، وذكر الأيدي مجاز للمبالغة والتأكيد، وحرف الجر (إلى) لانتهاء الغاية، والتهلكة مصدر نادر بمعنى الهلاك ويراد به ما يكون عاقبته الهلاك، وقال الشيخ في التبيان: وأصل الهلاك الضياع وهو مصدر ضاع الشيء بحيث لا يدرى أين هو، ومنه يقال للكافر هالك، وللميت هالك، وللمعذب هالك. انتهى.

قوله (وأحسنوا إن الله يحب المحسنين) الإحسان إيصال النفع الحسن إلى الغير، ويراد به والله أعلم إحسان الظن بالله ببذل النفس والمال بأن يعود أثر ذلك عليهم بالنفع والخير، وفي الفصل بعد الأمر بالإحسان تعليل، وهو أنه سبحانه يثيب أهل الإحسان ويجزيهم عليه، وهو معنى حبه تعالى لهم فحبه عين إرادته.

وفي مجمل سياق الآيات الآمرة بالتنظيم القتالي التي أعقبت آيات التنظيم العبادي توضحت أوامر الاستعداد للقتال والدفاع عن النفس، ولهذا كثر

اشتقاق مفردة (القتل)، وفي الحق إن ظاهرها الأمر وفي مضمونها الدفاع عن النفس لأن الإذن بالقتال وتشريعه للمسلمين جاء متأخرا بعد أن عانوا من قتل المشركين وتعذيبهم وقتلهم مرارا على الغدر والغيلة، لذا تحمل أوامر القتال على الدفاع عن النفس، وأنها رد الاعتداء، بل حتى في حالة الرد ثمة نهي عن تجاوز فعل الدفاع عن النفس (لا تعتدوا). وكذا الأمر بفعل القتل (واقتلوهم) يدخل في الرد، كون قريش بدأت بذلك، فهي أوامر ينبغي النظر إليها ضمن أجواء الحرب، ولذلك نجد الايصاء بتساوي مقدار الفعل بتكراره (أخرجوهم من حيث أخرجوكم)، (واعتدوا عليهم بمثل ما اعتدوا عليكم)، ورغم أجواء العنف والشدة في هذه الحالات تدخل مبادئ الرحمة والمغفرة خلالها، وسمى فعل النفي من الوطن والإخراج منه عنوة بالفتنة، وعدها (أشد من القتل)، لما في ذلك من بلاء ومحن يتمنى المرء عندها الموت لذلك هي أشد منه.

قوله تعالى ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ

إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ﴾

قوله (وأتموا الحج والعمرة لله) الكلام في بيان فريضة الحج بعد بيان فريضة الجهاد، واعتبر بالحج الاستمرار في تتابع مناسكه لذلك استعمل فعل الإتمام، والعمرة الإعمار ويراد بها الزيارة والعطف لأن الحج والعمرة مكانهما بيت الله الحرام، واللام في (لله) للتعليل أي لأجل الله.

وأركان أفعال الحج: النية والإحرام، والوقوف بعرفة، والوقوف بالمشعر، وطواف الزيارة، والسعي بين الصفا والمروة، وأما الفرائض التي ليست بأركان فالتلبية، وركعتا الطواف، وطواف النساء، وركعتا الطواف له، وأركان فرائض العمرة: النية والإحرام وطواف الزيارة والسعي، وأما ما ليس بركن من فرائضها، فالتلبية، وركعتا الطواف، وطواف النساء، وركعتا الطواف له. كذا ذكر في التبيان. انتهى.

قوله (فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي) التفريع لبيان حالة المنع من الحج بسبب من عدو أو مرض أو خوف، والحصر المنع والصد، والخطاب لعموم المسلمين، والفاء في (فما) واقعة في جواب (إن)، والمراد: فاهدوا ما سهل عليكم من الهدي، والهدي مصدر أريد به ما يهدى فدية من الذبائح كالبقر والشياه وأيسرها الشاة إذا أريد الإحلال من الإحرام.

قوله (ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدي محله) أي: لا تتحللوا من إحرامكم قبل أن تذبحوا ذبائحكم يوم النحر، ومحل الهدي الحرم فعندئذ يحل الإحلال، وتحليق الرؤوس قص الشعور منها كناية عن الانتهاء من أعمال المناسك.

قوله (فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك) أي الذي به مرض يحتاج فيه إلى الحلق للمداواة فإنه يخير بإحدى ثلاث أما صيام ثلاثة أيام أو التصدق على ستة أو عشرة مساكين أو يفتدي بشاة، وقوله (به أذى من رأسه) كناية عن الوسخ الشديد والقمل لكراهة التصريح به، و(من) للابتداء، وقوله (ففدية) أي: فعليه فدية.

قوله (فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي) الفاء تفريع على الإحصار، والأمن يراد به رفع موانع الخوف من العدو والمرض والخوف، فيؤدي المناسك كما ينبغي، و(استيسر) مبالغة في طلب اليسر.

قوله (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم) الفاء تفريع على ما سبق، أي من لم يملك ثمن الهدي أو نحر الذبيحة فعليه صيام ثلاثة أيام قبل التروية وبعدها ويوم عرفة، وسبعة أيام يصومها بعد رجوعه إلى وطنه.

قوله (تلك عشرة كاملة) أي: عشرة أيام كاملة بدلا من الهدي، وجيء بـ (كاملة) للتأكيد.

قوله (ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام) لفظ الإشارة لاختصار ما تقدم ذكره من التمتع بالعمرة إلى الحج، فإنه ليس لأهل مكة، ومن يجري مجراهم، وإنما هو لمن لم يكن من حاضري مكة، وهو من يكون بينه وبينها أكثر من اثني عشر ميلا من كل جانب، وهو ما نقل عن التبيان والطبرسي.

وأهل الرجل خاصته من الزوجة والأولاد، وقوله (حاضري المسجد الحرام) أي من سكنة الحاضرة مكة التي فيها البيت الحرام والتعبير كناية عن المسافر البعيد عن وطنه، قال السيد الطباطبائي: وفيه إيماء إلى حكمة التشريع وهو التخفيف والتسهيل، فإن المسافر من البلاد النائية للحج، وهو عمل لا يخلو من الكد ومقاساة التعب ووعثاء الطريق، لا يخلو عن الحاجة إلى السكن والراحة والإنسان إنما يسكن ويستريح عند أهله، وليس للنائي أهل عند المسجد الحرام، فبدله الله سبحانه من التمتع بالعمرة إلى الحج والإهلال بالحج من المسجد الحرام من غير أن يسير ثانيا إلى الميقات. انتهى.

قوله (واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب) أي: واتقوا الله فيما نهاكم عنه. والإخبار يراد به التحذير من الوقوع في عقاب الله، والتشديد يدل على أنهم كانوا منكرين لأحكام الحج التي فصلها الرسول ﷺ وبينها لهم لأنهم لم يكونوا معتادين على ذلك، ذكر في الكافي عن الحلبي عن الصادق عليه السلام قال: ان رسول الله ﷺ حين حج حجة الاسلام خرج في أربع بقين من ذي القعدة حتى اتى الشجرة وصلى بها ثم قاد راحلته حتى أتى البيداء فأحرم

منها وأهل بالحج وساق مائة بدنة وأحرم الناس كلهم بالحج لا ينوون عمرة ولا يدرون ما المتعة، حتى إذا قدم رسول الله ﷺ مكة طاف بالبيت وطاف الناس معه ثم صلى ركعتين عند المقام واستلم الحجر، ثم قال: أبدا بما بدأ الله عز وجل به فأتى الصفا فبدأ بها ثم طاف بين الصفا والمروة سبعا، فلما قضى طوافه عند المروة قام خطيبا وأمرهم ان يحلوا ويجعلوها عمرة، وهو شيء أمر الله عز وجل به فأحل الناس، وقال رسول الله: لو كنت استقبلت من أمري ما استدبرت لفعلت كما أمرتكم، ولم يكن يستطيع من أجل الهدي الذي معه، إن الله عز وجل يقول: (ولا تَحْلِقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهديُ مَحِلَّه)، قال سراقة بن جُعشُم الكناني: علمنا ديننا كأنا خلقنا اليوم، أرأيت هذا الذي أمرتنا به لعامنا أو لكل عام؟ فقال رسول الله ﷺ: لا بل للأبد، وإن رجلا قام فقال: يا رسول الله نخرج حجاجا ورؤوسنا تقطر من نسائنا؟ فقال رسول الله ﷺ: إنك لن تؤمن بها أبدا. انتهى.

قوله تعالى ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾

قوله (الحج أشهر معلومات) أي: الحج في أشهر معلومات والمراد تقييد زمانه، و(أشهر) جمع للقلة لأنه يكون في شهرين شوال وذي القعدة وعشرة

أيام من ذي الحجة، وقد يقع الجمع على الاثنين، والحج أصله القصد، ومعلومات: معروفات غير منكرات لا يجوز أن تنسأ كما يفعل الجاهليون.

قوله (فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) الفاء للتفريع، والفرض الإيجاب والعزم، أي فمن عزم وأوجب على نفسه، والضمير في (فيهن) عائد إلى أشهر الحج ويجوز تأنيث غير العاقل، والرفث كناية عن الاتصال بين الزوجين، والفسوق أصله الخروج ويراد به المعاصي عموما، والجدال المراء والتخاصم، ونفيها بـ (لا) للاستغراق، للمبالغة عن نهي الحاج أنزل فيه معنى انتهائه وامتثاله للنهي حتى أخبر عنه ونفيت أجناسها، وتكرار لفظ الحج ثلاث مرات من باب وضع الظاهر موضع المضمر رآه السيد الطباطبائي ضربا من الإيجاز: فإن المراد بالحج الأول زمان الحج، وبالحج الثاني نفس العمل، وبالثالث زمانه ومكانه، ولولا الإظهار لم يكن بد من إطناب غير لازم كما قيل. انتهى.

قوله (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) أسلوب شرط يفيد تحذير المسلمين بأن أعمالكم غير غائبة عنه تعالى لذلك يجب حضور التقوى دائما في العمل، و(ما) جازمة، و(من) زائدة للعموم، ولفظ الخير لعموم الاعمال الصالحة.

قوله (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) أي: خذوا من أعمالكم في الدنيا لتنفعكم في سفر الآخرة، والتزود التجهز لأمور السفر والزاد ما يتخذ من طعام للسفر، والفعل استعارة كما اتضح للراحل من عالم الدنيا تشبيها له بالمسافر، والفاء في (فإن) للتفريع، والجملة المفرعة تبيان لمعنى الأمر

بالتزود، فإن أفضل زاد الميتين هو التقوى، والتقوى صيانة النفس عن المحرمات وهي أعلى رتب الإيمان.

قوله (واتقون يا أولي الألباب) الأمر بتقوى الله بمعنى الانتهاء عن معاصيه والامتثال لأوامره سرا وجهرا، وخص أولي الألباب ـ وهم أصحاب العقول ـ بالخطاب لأنهم الأولى بالاتقاء، وفي الكلام التفات من الغيبة إلى ضمير التكلم لإفادة كمال العناية والاهتمام.

قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾

قوله (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم) الآية تصريح بالإذن في التجارة، فقد كانوا يتأثمون بالتجارة في الحج فرفع الله الإثم عمن يتجر في الحج، وحرف الجر (على) في (عليكم) للمجاز الاستعلائي، والجناح الميل عن الطريق المستقيم ويراد به الإثم، والابتغاء المبالغة في الطلب، و(من) للابتداء والمقصود طلب الرزق من الله تعالى في المعاملات التجارية وقت موسم الحج.

قوله (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) الفاء للتعقيب في الكلام، والإفاضة الاندفاع بكثرة وهي استعارة من صب الإناء، وأخذ فيه مجموع الحجاج النازلين من جبل عرفات إلى المزدلفة، وسميت عرفات بذلك لأن إبراهيم عرفها من وصف جبريل للوقوف بها.

قوله (واذكروه كما هداكم) أي: واذكروه ذكرا مثل هدايته تعالى لكم، وذكر الله كناية عن عبادته وشكره على إنعامه التي لا تحصى ومنه هدايته.

قوله (وإن كنتم من قبله لمن الضالين) أي: وإنكم كنتم، فـ (إن) ليست للشرط وإنما مخففة للتوكيد بدلالة دخول اللام في خبرها في (لمن)، و(من) زائدة للتأكيد، والهاء في (قبله) عائد إلى لفظ الهدى، ولفظ الضلالة يقصد به الضلالة عن النبوة والشريعة فقد كان حج الجاهلية لا صلة بشريعة إبراهيم.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩ ﴾

قوله (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، والإفاضة النزول باندفاع وكثرة من عرفات إلى المزدلفة للرمي والنحر وهو معنى التشبيه (كما أفاض الناس) فقد قيل معناه كما أفاض إبراهيم لأنه وحده كان أمة، أو بمعنى أفيضوا جميعا لأن أهل مكة من قريش وحلفائها وهم الحمس كانوا لا يقفون بعرفة بحجة أنهم أهل الحرم فكانوا يفيضون من مزدلفة فأمروا أن يفعلوا كما يفعل سائر العرب الحجيج

في الإفاضة من عرفات، والأمر بالاستغفار يراد به المداومة عليه في الدعاء بالمغفرة عما سلف من المعاصي.

قوله (إن الله غفور رحيم) جملة تذييل وتعليل، وهو أن الله تعالى موصوف بكثرة المغفرة لعباده والرحمة بهم.

قوله تعالى ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ ﴾

قوله (فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا) الفاء للترتيب وعطف جملة على جملة، والقضاء الفراغ والانتهاء من الأمر بإحكام، والمناسك أعمال الحج ومنها نحر الهدي، وضمير الخطاب الجمعي عائد إلى عموم الحجيج، والفاء في (فاذكروا) واقعة في جواب (إذا)، والأمر بالذكر يراد به ـ والله أعلم ـ دوام استحضار الدعاء لله واستغفاره، وخصوصية التشبيه بذكر آبائهم لأنهم كما روي عن الباقر عليه السلام قوله: كانوا إذا فرغوا من الحج يجتمعون هناك [أي: بين المسجد بمنى وبين الجبل] يعدون مفاخر آبائهم، ويذكرون أيامهم القديمة، وأياديهم الجسيمة، فأمرهم الله سبحانه أن يذكروه مكان ذكرهم آباءهم في هذا الموضع. نقل في المجمع. انتهى.

والحرف (أو) ليس للتخيير بل للإضراب بمعنى (بل)، لتأكيد تشديد الذكر لله فهو المنعم الأعظم الذي تتصاغر دون نعمه النعم كلها حتى لو كانت من الآباء.

قوله (فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق) الفاء للتفريع على قوله (كذكركم آباءكم) لأن من الناس من لا يرى أبعد من لذات الدينا فلا يطلب غيرها ولا حظ له من الآخرة في شغله واهتمامه، وتفيد (من) معنى بعض أصناف الناس، وفعل القول ومقوله يراد به وصف لسان الحال لا القول الحقيقي، والإيتاء بمعنى الإعطاء، وبين الدنيا والآخرة طباق، و(من) الثانية زائدة لتوكيد النفي، والخلاق النصيب.

قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾

قوله (ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة) التبعيض في (منهم) أي من أصناف الناس وهم المؤمنون، والحسنة في الدنيا طلب نعيمها، وتنكير لفظ الحسنة وإفرادها للتعظيم.

قوله (وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) أي: وآتنا النعيم في الآخرة، والوقاية التجنيب، والعذاب صفة استمرار لألم حر النار وحرقها، والكلام في الآية على الحكاية من قول المؤمنين يقابل ما تقدم من الحكاية عن طالبي الدنيا فحسب، وقد تفسر الحسنة في الدنيا بالمرأة الصالحة والحسنة

في الآخرة الجنة ففي الخبر المروي في المجمع عن علي عليه ﴿عليه السلام﴾ عن رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ قال: من أوتي قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وزوجة مؤمنة تعينه على أمر دنياه وأخراه، فقد أوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ووقي عذاب النار. انتهى. وأحسب أن ذلك من مصاديق الآية لأن الكلام في الحسنة ورد على إطلاقه ولم يخصص.

قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢ ﴾

قوله (أولئك لهم نصيب مما كسبوا) لفظ الإشارة لتمييز طائفة المؤمنين، والنصيب الحظ من الأجر الذي كسبوه وانتفعوا به، لأن الكسب هنا دلالته فيما ينتفع به.

قوله (والله سريع الحساب) أي: سريع المجازاة على الأعمال سواء لمن أرادوا الدنيا أم لمن أرادوا ثواب الآخرة، والسريع كناية عن سرعة المجازاة على العمل، فقد أثر أن محاسبة كثرة الخلائق تكون بمقدار لمح بالبصر، فلا يشغله حساب أحد عن أحد، والحساب معناه العد، ويراد به الجزاء لأنه كفاء للعمل، وروي عن أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ أنه قال: معناه أنه يحاسب الخلق دفعة، كما يرزقهم دفعة. كذا نقل في المجمع: انتهى.

قوله تعالى ﴿ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٠٣ ﴾

قوله (واذكروا الله في أيام معدودات) هذا الأمر للحجيج يراد به في أيام التشريق الثلاثة بعد النحر، ولذلك وصفت بالقلة بأنها معدودات، والذكر المأمورون به كما جاء في الكافي عن الصادق عليه السلام: هو أن تقول عقيب خمس عشرة صلوات: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، الله أكبر على ما هدانا، والحمد لله على ما أولانا، والله أكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام. انتهى.

قوله (فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه) تفريع على ما تقدم من أمر الذكر، وهو جواز النفر في اليوم الثاني من أيام التشريق، والتعجيل التسريع، ونفي الإثم عنه باعتبار توقع المغفرة الحاصلة من حجه المبرور.

قوله (ومن تأخر فلا إثم عليه) أي: تأخر في النفرة إلى الثالث من أيام التشريق وهو الأفضل، وإنما أكد نفي الإثم على المزاوجة.

قوله (لمن اتقى) متعلق بقوله (فمن تعجل)، أي: إن هذا الحكم في تعجيل النفرة لمن اتقى الله فيما نهى عنه من تروك الإحرام ونحوها إلى انقضاء النفر الأخير، أما من لم يتق فيقيم في منى حتى نهاية أيام التشريق، أي:

الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة، ولا يجوز له النفر في الأول.

قوله (واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون) فعل الأمر بالتقوى بمعن اجتناب المعاصي، والتذكير بالإخبار بقصر حشر الناس إليه تعالى للتحذير، والحشر أصله الجمع من كل مكان على نحو من القهر، وفي ذكره مناسبة لحال جموع الحجيج، ووجوب تذكرهم المحشر.

قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ٢٠٤ ﴾

قوله (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا) العطف على قوله (ومنهم من يقول ربنا آتنا) لأنه صنف آخر من الناس تقسيمه بحسب ظاهره، والإعجاب استحسان ما يسر النفس ويروقها، والخطاب للنبي ﷺ، والقول ظاهر الكلام دون الإيمان به كناية عن النفاق، و(في) للظرفية الزمانية، وخصوص الحياة الدنيا بمعنى قوله للنبي: آمنت بك، وأنا صاحبك، وفداء لك، ونحو ذلك.

قوله (ويشهد الله على ما في قلبه) زيادة في بيان النفاق، بأن يؤكده القول الذي يزعمه بالقسم بالله كأن يقول: اللهم اشهد علي به.

قوله (وهو ألد الخصام) الواو للحال، أي: في حال من العداوة الشديدة لله ولرسوله، والألد الشديد الخصومة.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾

قوله (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها) التولي التسلط على رقاب الناس، والسعي المشي السريع كناية عن الاهتمام بالأمر، و(في) للظرفية الزمانية، وتعريف الأرض للعموم، واللام في (ليفسد) للغاية، والإفساد الاعتداء وظلم الآخرين.

قوله (ويهلك الحرث والنسل) أي: هلاك النوع الإنساني: لأن الحرث كناية عما يتغذى به من النبات، ولفظ النسل العقب من الذرية والأولاد، وفي المجمع روي عن الصادق عليه السلام: إن الحرث في الموضع الدين، والنسل الناس. انتهى.

قوله (والله لا يحب الفساد) أي: يسخط عليه ويهلكه، والفساد مصدر ذكر للمبالغة ويراد به المفسدون.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ ﴾

قوله (وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم) أي: إذا قيل للمنافق، والأمر بتقوى الله يشمل مطلق الاتقاء، ومنه الانتهاء عن الإفساد في الأرض، وهلك الحرث والنسل، وفعل الأخذ جواب الشرط بمعنى الإلزام، والعزة

نقيض الذلة، ويراد بها القوة التي يمتنع بها عن الذلة، وهي ليست بعزة حقيقية، بل يتصورها المنافق كذلك، وإنما هي استعارة من الحمية الجاهلية، التي حملته على التمسك بالإثم، عنادا وإصرارا، وعلى هذا فالظرف (بالإثم) متعلق بلفظ العزة، لا فعل الأخذ، والباء أما للتعدية أو السببية.

قوله (فحسبه جهنم ولبئس المهاد) الفاء للتفريع، والحسبان الكفاية، واللام في فعل الذم (بئس) موطئة للقسم، والمهاد الوطاء والفراش، كناية عن السكن والقرار.

قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧ ﴾

قوله (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله) العطف على قوله (ومن الناس من يعجبك قوله)، لأنه بيان لصنف آخر من الناس، يقابل أهل النفاق، وهم المؤمنون، وفعل الشراء هنا بمعنى البيع، وهو من الأضداد، وهو استعارة بالكناية عن الموت في سبيل الله، تشبيها للنفس بشيء يباع مقابل رضا الله تعالى، والابتغاء شدة الطلب، وانتصب لأنه مفعول لأجله، و(مرضاة) مصدر ميمي من الرضا، وإضافته إلى اسم الجلالة للتعظيم.

قوله (والله رءوف بالعباد) خصوصية ذكر الرأفة بالعباد بعد ذكر هذا النوع من المؤمنين، لأن بهم يحفظ الله الدين والإنسان، مقابل المنافق الذي يهلك

الدين والإنسان، وما ذاك إلا من رأفة الله بعباده في أن يقيض لهم من عباده من يفعل ذلك، والرأفة الرحمة الخاصة.

وروي في أمالي الشيخ الطوسي عن علي بن الحسين عليه السلام أن الآية: نزلت في علي عليه السلام حين بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. انتهى. وقد رواها كثر من المفسرين، والله العالم.

المحتويات

تفسير سورة الفاتحة ٦- ١٩

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ﴾ ١١-١٣

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ﴾ ....١٣ - ١٤

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ ﴾ .... ١٤ -١٥

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾ ١٥

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ﴾ ١٦

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ ١٦-١٧

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ ...٧ ﴾ ١٧-١٩

تفسير سورة البقرة ٢٠- ٢٩٤

﴿ الٓمٓ ١ ﴾ ٢٣-٢٤

﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ﴾ ٢٤-٢٦

﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ ٢٦-٢٨

﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ ... ٤ ﴾ ٢٨-٣٠

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ ﴾ ٣٠

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ ... ٦ ﴾ ٣١-٣٢

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ ...٧ ﴾ ٣٢-٣٣

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ....٨ ﴾ ٣٤

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ ....٩ ﴾ ٣٥

﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ ....١٠ ﴾ ٣٦-٣٧

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ ... ١١ ﴾ ٣٧-٣٨

﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢ ﴾ ٣٨

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ ....١٣ ﴾ ٣٨-٣٩

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ ....١٤ ﴾ ٣٩-٤٢

﴿ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥ ﴾ ٤٢

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت ....١٦ ﴾ ٤٣

﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ ....١٧ ﴾ ٤٤-٤٥

﴿ صُمٌّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ١٨ ﴾ ٤٥

﴿ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ ...١٩ ﴾ ٤٦-٤٧

﴿ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ ....٢٠ ﴾ ٤٧-٥٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ ...٢١ ﴾ ٥٠-٥١

﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ ....٢٢ ﴾ ٥١-٥٣

﴿ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ ....٢٣ ﴾ ٥٣-٥٥

﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ...٢٤ ﴾ ٥٦

﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ .... ٢٥ ﴾........... ٥٧-٥٩

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ....٢٦ ﴾ ٥٩-٦١

﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ .....٢٧ ﴾............... ٦١-٦٣

﴿ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا ...٢٨ ﴾ ٦٣-٦٤

﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا .... ٢٩ ﴾ ٦٤-٦

﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ .... ٣٠ ﴾ ٦٦-٦٧

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى.... ٣١ ﴾...................... ٦٧-٦٩

﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ .... ٣٢ ﴾...................... ٦٩- ٧٠

﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ....٣٣ ﴾.... ٧٠- ٧١

﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ .... ٣٤ ﴾..... ٧١-٧٢

﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا .... ٣٥ ﴾...... ٧٢-٧٣

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ .... ٣٦ ﴾.... ٧٣-٧٤

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ... ٣٧ ﴾......... ... ٧٥

﴿ قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن .... ٣٨ ﴾...... ٧٦

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ .... ٣٩ ﴾....... ٧٧

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ .... ٤٠ ﴾..... ٧٧-٧٨

﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ ....٤١ ﴾..... ٧٩-٨٠

﴿ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢ ﴾....... ٨٠-٨١

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣ ﴾..... ٨١

﴿ * أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ....(٤٤) ﴾..... ٨٢

﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ (٤٥) ﴾..... ٨٢-٨٣

﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (٤٦) ﴾....... ٨٣-٨٤

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ ...(٤٧) ﴾ ٨٤

﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ ....(٤٩) ﴾.... ٨٤-٨٦

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ...(٥٠) ﴾ ٨٦-٨٧

﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ...(٥١) ﴾... ٨٨

﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢) ﴾....... ٨٩-٩٠

﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣) ﴾........ ٩٠

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ...(٥٤) ﴾...... ٩١

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ....(٥٥) ﴾... ٩١ - ٩٢

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) ﴾............ ٩٣-٩٤

﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ ....(٥٧) ﴾...... ٩٤

﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ....(٥٨) ﴾ ٩٤-٩٥

﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا ...(٥٩) ﴾....... ٩٥-٩٦

﴿ * وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ....(٦٠) ﴾..... ٩٦-٩٧

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ ....(٦١) ﴾........ ٩٧-٩٨

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ.....(٦٢) ﴾..... ٩٨-١٠١

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ .....(٦٣) ﴾.......... ١٠٢-١٠٣

﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ....(٦٤) ﴾ ١٠٣

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا ....(٦٥) ﴾.......... ١٠٣-١٠٤

﴿ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً ....(٦٦) ﴾...... ١٠٤

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ .... (٦٧) ﴾........... ١٠٥-١٠٦

﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ ....(٦٨) ﴾... ١٠٦-١٠٧

﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ ....(٦٩) ﴾..... ١٠٧

﴿ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ .....(٧٠) ﴾.... ١٠٧-١٠٨

﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ .....﴿٧١﴾ ﴾..... ١٠٨-١٠٩

﴿ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ ....﴿٧٢﴾ ﴾ ١٠٩-١١٠

﴿ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ ....﴿٧٣﴾ ﴾... ١١١ -١١٣

﴿ ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ ....﴿٧٤﴾ ﴾... ١١٣-١١٥

﴿ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ ....﴿٧٥﴾ ﴾.... ١١٥-١١٦

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا ....﴿٧٦﴾ ﴾...... ١١٦-١١٧

﴿ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾..... ١١٨

﴿ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ .....﴿٧٨﴾ ﴾.... ١١٨-١١٩

﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ ....﴿٧٩﴾ ﴾ ١١٩-١٢١

﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ .....﴿٨٠﴾ ﴾..... ١٢١-١٢٢

﴿ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ .....﴿٨١﴾ ﴾....... ١٢٢-١٢٣

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ....﴿٨٢﴾ ﴾ ١٢٣-١٢٤

﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا .....﴿٨٣﴾ ﴾..... ١٢٤-١٢٦

﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا ..... ﴿٨٤﴾﴾..... ١٢٦-١٢٧

﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ ...... ﴿٨٥﴾﴾.... ١٢٧ -١٣٠

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا .... ﴿٨٦﴾﴾... ١٣٠-١٣١

﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ ..... ﴿٨٧﴾﴾..... ١٣١-١٣٣

﴿ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ ...... ﴿٨٨﴾﴾......... ١٣٣-١٣٤

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا ..... ﴿٨٩﴾﴾...... ١٣٥-١٣٦

﴿ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ ..... ﴿٩٠﴾﴾..... ١٣٦-١٣٧

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ .... ﴿٩١﴾﴾........ ١٣٨-١٣٩

﴿ ۞ وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ .... ﴿٩٢﴾﴾.... ١٣٩

﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ ..... ﴿٩٣﴾﴾...... ١٤٠-١٤١

﴿ قُلۡ إِن كَانَتۡ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةٗ .... ﴿٩٤﴾﴾ ١٤١-١٤٢

﴿ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ ... ﴿٩٥﴾﴾ ١٤٢-١٤٣

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ وَمِنَ ٱلَّذِينَ ...... ﴿٩٦﴾﴾ ١٤٣-١٤٤

﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ .....(٩٧) ﴾ ١٤٥-١٤٦

﴿ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ...(٩٨) ﴾ ١٤٦-١٤٧

﴿ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ ....(٩٩) ﴾.... ١٤٧-١٤٨

﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ .....(١٠٠) ﴾ ١٤٨

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ .....(١٠١) ﴾ ... ١٤٨-١٤٩

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ ....(١٠٢) ﴾ ١٤٩-١٥٣

﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَمَثُوبَةٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ خَيۡرٞۚ .....(١٠٣) ﴾ ١٥٤

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ......(١٠٤) ﴾ ١٥٥-١٥٦

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ....(١٠٥) ﴾ ١٥٦-١٥٧

﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ ....(١٠٦) ﴾ ١٥٨

﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ....(١٠٧) ﴾ ١٥٨-١٥٩

﴿ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ ....(١٠٨) ﴾ ١٥٩-١٦٠

﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم ....(١٠٩) ﴾ ١٦٠-١٦١

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ ....﴿١١٠﴾ ﴾ ١٦٢

﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا .....﴿١١١﴾ ﴾ ١٦٢-١٦٣

﴿بَلَىٰ ۚ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ ....﴿١١٢﴾ ﴾ ١٦٣-١٦٤

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ .....﴿١١٣﴾ ﴾ ١٦٤-١٦٦

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ....﴿١١٤﴾ ﴾ ١٦٦-١٦٨

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ ....﴿١١٥﴾ ﴾ ١٦٨-١٦٩

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ ......﴿١١٦﴾ ﴾ ١٦٩-١٧٠

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا ....﴿١١٧﴾ ﴾ ١٧٠-١٧١

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ ...﴿١١٨﴾ ﴾........... ١٧١-١٧٢

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ .....﴿١١٩﴾ ﴾ ١٧٢-١٧٣

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ .....﴿١٢٠﴾ ﴾ ١٧٣-١٧٤

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ ....﴿١٢١﴾ ﴾ ١٧٤-١٧٥

﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ .....﴿١٢٢﴾ ﴾ ١٧٥-١٧٦

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ .....﴿١٢٣﴾ ﴾ ١٧٦

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي .....﴿١٢٤﴾ ﴾ ١٧٦-١٧٨

﴿ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ .....﴿١٢٥﴾ ﴾.... ١٧٨-١٧٩

﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ .....﴿١٢٦﴾ ﴾... ١٧٩-١٨١

﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ .....﴿١٢٧﴾ ﴾ ١٨١-١٨٢

﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ .....﴿١٢٨﴾ ﴾ ١٨٢-١٨٤

﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ....﴿١٢٩﴾ ﴾......... ١٨٤-١٨٦

﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ ....﴿١٣٠﴾ ﴾ ١٨٦-١٨٧

﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ ١٨٧

﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ .....﴿١٣٢﴾ ﴾ ١٨٧-١٨٨

﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ .....﴿١٣٣﴾ ﴾ ... ١٨٨-١٩٠

﴿ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا .....﴿١٣٤﴾ ﴾ ١٩٠-١٩١

﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ ......﴿١٣٥﴾ ﴾ ١٩١-١٩٢

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ .....(١٣٦) ﴾ ١٩٢-١٩٤

﴿ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ ....(١٣٧) ﴾ ١٩٤-١٩٥

﴿ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ ....(١٣٨) ﴾ ١٩٥-١٩٦

﴿ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ ....(١٣٩) ﴾ ١٩٦-١٩٧

﴿ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ ....(١٤٠) ﴾ ١٩٧-١٩٩

﴿ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا ....(١٤١) ﴾ ١٩٩-٢٠١

﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن ......(١٤٢) ﴾ ٢٠١-٢٠٣

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ .....(١٤٣) ﴾ ... ٢٠٤-٢٠٦

﴿ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ ....(١٤٤) ﴾ ... ٢٠٦-٢٠٧

﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ ......(١٤٥) ﴾ ... ٢٠٨-٢٠٩

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ ......(١٤٦) ﴾....... ٢٠٩

﴿ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ (١٤٧) ﴾ ٢٠٩-٢١٠

﴿ وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ .....(١٤٨) ﴾......... ٢١٠-٢١١

﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ....﴿١٤٩﴾ ﴾ ٢١١-٢١٣

﴿ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ....﴿١٥٠﴾ ﴾....... ٢١٣-٢١٤

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ....﴿١٥١﴾ ﴾ ٢١٤-٢١٥

﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ ٢١٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ....﴿١٥٣﴾ ﴾ ٢١٦-٢١٧

﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢ ....﴿١٥٤﴾ ﴾.............. ٢١٧-٢١٨

﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ ....﴿١٥٥﴾ ﴾ ٢١٩-٢٢٠

﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ .....﴿١٥٦﴾ ﴾ ... ٢٢٠-٢٢١

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ......﴿١٥٧﴾ ﴾ ٢٢١-٢٢٢

﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ .....﴿١٥٨﴾ ﴾................. ٢٢٢-٢٢٣

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ ..... ﴿١٥٩﴾ ﴾...... ٢٢٣-٢٢٤

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ .....﴿١٦٠﴾ ﴾ ٢٢٤-٢٢٥

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ .....﴿١٦١﴾ ﴾........ ٢٢٥

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ١٦٢ ﴾...... ٢٢٦-٢٢٧

﴿ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٣ ﴾........ ٢٢٧-٢٣٠

﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ ....١٦٤ ﴾ ٢٣١-٢٣٢

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا ....١٦٥ ﴾................ ٢٣٢-٢٣٣

﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ.....١٦٦ ﴾ ٢٣٣-٢٣٤

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ ....١٦٧ ﴾ ٢٣٤-٢٣٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا ......١٦٨ ﴾ ٢٣٦

﴿ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ .....١٦٩ ﴾ ... ٢٣٧-٢٣٨

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ ....١٧٠ ﴾ ٢٣٨-٢٣٩

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا ......١٧١ ﴾ ٢٣٩-٢٤٠

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ.......١٧٢ ﴾ ...٢٤٠-٢٤١

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ ....١٧٣ ﴾ ٢٤٢-٢٤٣

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ......١٧٤ ﴾ ٢٤٣-٢٤٤

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ ....﴿١٧٥﴾﴾.................. ٢٤٤

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ ......﴿١٧٦﴾﴾.............................. ٢٤٤-٢٤٨

﴿ ۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ .....﴿١٧٧﴾﴾....... ٢٤٩-٢٥١

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ......﴿١٧٨﴾﴾ ٢٥١-٢٥٢

﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾..... ٢٥٢-٢٥٣

﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ .... ﴿١٨٠﴾﴾ ٢٥٤

﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ .... ﴿١٨١﴾﴾ ٢٥٤-٢٥٥

﴿ فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا ....﴿١٨٢﴾﴾........................ ٢٥٥-٢٥٦

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ....﴿١٨٣﴾﴾.......... ٢٥٧-٢٥٩

﴿ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا ....﴿١٨٤﴾﴾ ٢٥٩-٢٦٢

﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ .... ﴿١٨٥﴾﴾ ٢٦٢-٢٦٥

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ ....﴿١٨٦﴾﴾................ ٢٦٥-٢٦٩

﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ ....﴿١٨٧﴾﴾.... ٢٦٩-٢٧٠

﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ ....١٨٨ ﴾ ٢٧٠-٢٧٢

﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ ....١٨٩ ﴾ ٢٧٢-٢٧٣

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ....١٩٠ ﴾ ٢٧٣-٢٧٥

﴿ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡ .... ١٩١ ﴾ ٢٧٥

﴿ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ ﴾...................................... ٢٧٥-٢٧٦

﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ..... ١٩٣ ﴾................. ٢٧٦-٢٧٧

﴿ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ ..... ١٩٤ ﴾ ٢٧٧-٢٧٩

﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ ...... ١٩٥ ﴾ ٢٧٩-٢٨٣

﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ....١٩٦ ﴾ ٢٨٣-٢٨٥

﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ ....١٩٧ ﴾ ٢٨٥-٢٨٦

﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا .... ١٩٨ ﴾....... ٢٨٦-٢٨٧

﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ .... ١٩٩ ﴾...... ٢٨٧-٢٨٨

﴿ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ .... ٢٠٠ ﴾ ٢٨٨-٢٨٩

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ..... ﴿٢٠١﴾ ﴾..... ٢٨٩

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ... ﴿٢٠٢﴾ ﴾.... ٢٩٠-٢٩١

﴿ ۞ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍۚ .... ﴿٢٠٣﴾ ﴾.............. ٢٩١

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا .... ﴿٢٠٤﴾ ﴾..... ٢٩٢

﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ... ﴿٢٠٥﴾ ﴾ ٢٩٣

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ .... ﴿٢٠٦﴾ ﴾ ٢٩٣-٢٩٤

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ ... ﴿٢٠٧﴾ ﴾ ٢٩٤-٢٩٥